خوف ورعدة

تأليف

سرن كيركجور

ترجمة

فؤاد كامل

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني
تليفون ٩٠٤٦٩٦

خوف ورعدة

تأليف

سِرِن كيركجور

ترجمة

فؤاد كامل

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني
تليفون ٩٠٤٦٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الى الشاعر الكبير

صلاح عبد الصبور

رائد الشعر الحر ...

والذى كان أول من شجعنى على ترجمة هذا الكتاب

فؤاد كامل

مقـــدمة

بقلم

ولـــتر لاورى

مترجم الأصل الدنماركى الى الانجليزية

من الغـــريب أن « يوميات » كيركجور الكاملة لا تكاد تتضمن اية اشـارة الى اعداد أيا كان لهذا الكتاب : « خوف ورعدة » . فهنا ، كما هى الحال فى مؤلفاته الجمالية جميعا ، تكون المقدمة اللازمة ـ الزم ما تكون ـ هى معرفة قصة « سرن كيركجور » ، وهى فى هذه الحالة بوجه خاص ـ قصـة خطبته وفسخها المأساوى ، وهى القصـة التى يمكن أن يطالعها القارىء فى كتابى عن كيركجور . ولهـــذا سأقتصر هنا على ايراد مجـــرد قائمة بالتواريخ التى يتلاحق بعضها اثر البعض الآخر ، ومن ثم تكشف عن السرعة الخارقـــة التى تعاقب بهـــا انتاج كيركجور الأدبى . كان ١١ أكتوبر ١٨٤١ هو تاريخ قطيعته النهائية مع ريجينا ، وسرعان ما رحل الى برلين لمتابعة دراسة الفلسفة فى ظاهر الأمر ، ولكنه لم يتغيب عن وطنه الا فيما بين ٢٥ اكتوبر ١٨٤١ و ٦ مارس ١٨٤٢ . وفى ٢٠ فبراير ١٨٤٣ ظهر أول كتاب عظيم له فى مجلدين هو « اما .. أو » ، وكان يتباهى بأنه فرغ من كتابه فى ثمانية أشهر . وصحبت هـــذا العمل ـ وان يكن ذلك متأخـــرا بعض الوقت ـ « ثلاثة أحاديث تهـــذيبية » ، وضعت بين يدى الناشر فى ٦ مايو (وصدرت بعد ذلك بعشرة أيام) . وفى الثامن مـــن مايو رحل كيركجور مرة أخـــرى الى برلين . ولكنه لم

يمكث هناك أكثر من شهرين ، فلدينا من الشواهد ما يؤكد انه عاد الى كوبنهاجن فى شهر يوليو . وقد شرع فى هذه الفترة القصيرة فى تأليف كتابيه : « خوف ورعدة » و « التكرار » وانتهى من تأليفهما ، وهو أمر يبدو عصيا على التصديق ، ونشر الكتابان فى ١٦ أكتوبر من العام نفسه ، وعلى الرغم من هذه العجلة التى كتبا بها ، الا أنهما من اكمل انتاجه الشاعرى . وهما يحكيان كفاحه اليائس من أجل العزوف عن كل امل فى السعادة الأرضية عندما تنازل عن امكانية الزواج بالمرأة التى احبها . ونحن نعلم انه بينما كان يكتب هذين الكتابين ، كان صراعه للوصول الى ذلك التسليم يزداد تعقيدا بما خالطه من امل فى أن يتخذ من ريجينا حتى ذلك الحين زوجة له . يبدو ذلك واضحا فى « التكرار » بحيث كان عليه أن يغير النص عند عودته الى كوبنهاجن ، عندما علم ان ريجينا قد عقدت خطبتها فعلا على شخص آخر . ولما كان « خوف ورعدة » « أنشودة جدلية » ، فقد استوت على نسق من الجلال بحيث لم يكن فى الامكان ادخال أى تعديل عليها . اذ لم تكن النقطة الرئيسية فى القصة واردة قط فى أن يسترجع ريجينا كما استرد ابراهيم ابنه اسحق حيا .

وحتى عندما كان الأمل يراوده ، فانه كان يأمل ضد الأمل . فهو يقول فى « يومياته » التى كتبها حينذاك :

« ومن ثم ، فان الايمان يأمل أيضا فى هذه الحياة ، ولكن ينبغى أن نلاحظ أن ذلك بفضل اللامعقول ، لا بفضل العقل الانسانى والا كان الأمل حكمة عملية ، ولم يكن ايمانا . الايمان اذن هو ما يسميه الاغريق الجنون الالهى . وليست هذه مجرد ملاحظة تمليها البديهة الحاضرة ، ولكنها فكرة يمكن تفصيلها فى وضوح » .

وفى تدوينة من « يوميات » هذه الفترة نتبين أن كيركجور قبل نشره هذين الكتابين اللذين لم يستمدهما من تجربته فحسب ، بل اللذين تعرضا لمحبوبته أيضا — كان يفكر فى النذالة التي يمكن أن يتصف بها مثل هذا العمل :

« أن قانون الـذوق الـذى يخول للكاتب الحق فى استخـدام ما تعرض له من تجربة ، هو الا ينطق بالحقيقة ابـدا ، بـل عليه أن يحتفظ بهـا لنفسه ، وان يتركهـا تلوح بطرق شتى » .

وقد يشك المرء فى أن يكون هـذا القانون الخاص بحسن الـذوق قـد روعى مراعاة دقيقة فى « التكرار » ، ولكن من المؤكـد أن كتـابه « خوف ورعدة » لم يتضمن أية مجازفة فى أن يتعرف انسـان غيره على ريجينا فى شخصية اسحق ، بـل ربما وجـدت « ريجينا » صـعوبة فى التعرف على نفسـها فى شخصية « آجنس » Agnes التى حملهـا الغرانق * بعيدا . فهنا يتخلل نور الحقيقة الابيض الى درجـة أنـه حتى القارىء الذى يلم بقصة كيركجور كما كان يعرفها معـاصروه قـد يحتـاج الى أن نخبره بأن تضحية ابراهيم باسحق هى رمز على تضحيـة كيركجور بأعز شىء لديه على هـذه الارض . والقارىء الـذى لا يعرف هـذه القصة يجب أن نخبره بأنه لكى يحرر كيركجور ريجينا من ارتباطها به و « يطلقها للابحار » ، شعر كيركجور انه لكى يفعل ذلك ، فلابـد أن يكون من القسـوة بحيث يجعلها تعتقد أنـه كان مجرد وغـد يتلاعب بعواطفهـا .

وبغض النظر عن تـدوينة واحـدة فى اليوميات توحى بامكانية اعادة صياغة القصة المألوفة عن آجنس والغرانق ، فهناك فقرة واحـدة فحسب توحى بمشروع كتابه « خوف ورعدة » . وأنا أوردها كاملة لانهـا عميقة الدلالة على أن فكرة كتاب بأكمله تأتى الى كيركجور فى معظم الاحيان على هيئـة بارق خاطف (أوائل مايو ١٨٤٣) :

« فلنفترض (كمـا لـم يرد فى العهـد القـديم أو فى القرآن) أن

---

* مخلوق بحرى خرافى لـه جسد رجـل وذيل سمكة (المورد ـ ص ٥٧٢ ـ طبعة ١٩٧١) . (ف . ك)

إسحق كان يعلم ان موضوع الرحلة التى كان عليه أن يقطعها مع أبيه إلى جبل المريا هو تقديمه كقربان — ولو ان شاعرا يعيش الآن فى جيلنا ، لا مكنه أن يروى ما دار بين هذين الرجلين من حديث أثناء سيرهما. ويمكن أن يفترض المرء أيضا أن حياة ابراهيم السابقة لم تكن نقية من الاثم ، وربما دعته الآن ان يغمغم بين أنفاسه ان هذا عقاب الله ، بل ربما جعله المرء عرضة لان تخطر على باله هذه الفكرة الحزينة بأنه ينبغى عليه ان يؤيد الله فى أن تأتى العقوبة كأثقل ما تكون . وانى لافترض أن ابراهيم قد نظر فى بداية الامر الى اسحق بكل ما يملك من حب أبوى ، وان محياه المهيب ، وقلبه المنكسر قد جعلا حديثه شديد التأثير ، فهو يهيب بابنه ان يتحمل مصيره صابرا ، وأوحى اليه أن يفهم فى شيء من الغموض أنه — وهو أبوه — يعانى من هذا الامر أكثر مما يعانيه . ومع ذلك ، لم يكن وراء هذا كله من طائل . واظن بعد ذلك أن ابراهيم انصرف عنه لحظة ، وعندما التفت اليه مرة أخرى لم يكد اسحق يتعرف عليه ، فقد كانت عيناه ضاريتين وانتصبت خصلات شعره المهيبة فوق رأسه كما تنتصب خصلات ربات الغضب . واطبق بيديه على عنق اسحق ، واستل سكينه قائلا : « ان كنت تعتقد أننى أفعل هذا فى سبيل الله ، فأنت مخطىء ، انا رجل وثنى ، وقد استيقظت فى نفسى هذه النزعة من جديد ، وأريد أن اقتلك ، هذه مشيئتى ، فأنا أسوأ من أى آكل للحوم البشر ، فلتيأس أيها الولد الاحمق الذى يتخيل اننى أبوك ، أنا لست الا قاتلك ، وهذه مشيئتى » . وجثا اسحق على ركبته وصاح مستغيثا بالسماء : « أيها الاله الرحيم ، أرحمنى ! » وهنا حدث ابراهيم نفسه قائلا بصوت خفيض : « هكذا ينبغى أن يكون الامر ، فمن الافضل بعد كل هذا ان يعتقد أننى وحش ضار ، وان يلعننى لاننى كنت أباه ، بدلا من أن يعرف ان الله هو الذى قضى بهذا الامتحان ، فلربما ضاع رشده حينذاك ، وربما صب لعناته على الله » .

« ولكن أين فى عصرنا ذلك الشاعر الذى يستطيع أن يشعر بمثل هذه الصراعات ! ومع ذلك فان سلوك ابراهيم كان شاعريا بحق ، وكان شعهما بل أعظم شهامة من كل ما قرأته فى كتب المآسى »

« وعندما يصل الطفل الى سن الفطام ، فان الام تسود له ثـديها ، ولكن عينها مازالت تنظر الى طفلها بنفس الحنـان . ويظن الطفل أن الثـدى هو الذى تغير ، على حين أن الام لم تتغير . ولكن لمـاذا تسـود الام ثديها ؟ لانها تقول انه من العار أن يبدو لذيذا فى الوقت الـذى ينبغى فيـه على الطفل الا يناله ـ وهـذا التعارض ينحل فى يسر ، لان الثـدى ليس الا جزءا من الام نفسها . ومـا أسعد الانسان الـذى لم يعـان من صراعات أشـد هولا ، ولم يجد نفسـه فى حاجة الى تسويـد نفسه » ، ولم يتطلب منه الامر أن يدخل جهنم ليرى كيف تكون هيئـة الشيطان حتى يحاكى تلك الهيئة لانقـاذ شخص آخر ، أو على الاقل انقاذ علاقة ذلـك الشخص باللـه . هـذا هو الامتحان الذى تعرض له ابراهيم .

« ... والشخص الذى يفسر هـذا اللغز يكون قـد فسر حياتى . ولكن ، أين بين معاصرى من فهم هـذا ؟ » .

ولم يكن كيركجور يتوقع أن يكون مفهوما ، بـل لـم يكن يريد ذلك . ومن ثـم يقول المؤلف المستعار لكتاب « التكرار » فى ختام الكتاب « انـه مثـل كلمنت الكسندرينوس يكتب بطريقة بحيث لا يفهمـه الكفار » . وفى « خوف ورعدة » يوحى الاسم المستعار نفسه وهو « يوحنـا الصامت » Johannes de Silentio وكذلك الشعار المكتوب فى ظهر صفحة العنوان والتى استعارها من هامان ، تذكرنا بالقصة الشهيرة عن رومـا القديمـة التى تحكى انه عندما استطاع ابن تاركينيوس سوبربوس (ومعناها الفخم أو الجليل) ان يكسب بدهائه ثقة شعب جابى ، ارسل حينذاك رسـولا سريا الى والده فى روما يسأله عن الخطـوة التالية التى ينبغى أن يقـوم بها . غير أن والـده الذى لم يستطع ان يضع ثقته فى الرسول ـ أخـذه الى حديقة القصر ، وأثناء سيره جعل يضرب بعصـاه الرؤوس الطويلـة لنبات الخشخاش . وفهم الابن (عندما روى لـه الرسول مـا كان يفعله أبوه فى الحديقة) ان عليـه أن يقتل عليـة القوم فى المـدينة ، وشرع فى هـذا فعلا . ويقول كيركجور فى يومياته أن الشعار الذى خطر له بادىء الامر هو مثـل نشأ أول ما نشأ عنـد هردر ، وان كان قد استقاه هـو

أيضا من هامان مباشرة على الصورة التى (يكاد) يستخدمها به هنا :

« اكتب . » — « لمن ؟ » — « اكتب للأموات الذين احببتهم فى الماضى » — « وهل سيقرأوننى ؟ » — « أجل ، لانهم يعودون على هيئة الاجيال اللاحقة » . غير أن سرن كيركجور قام بتصحيح حزين ، فبدلا من الاجابة الاخيرة كتب ببساطة « كلا . » وفى حالة مزاجية اكثر تفاؤلا خطر له أن يتخذ من عنوان مسرحية شكسبير « العبرة بالخواتيم » شعارا له . وفى مأساوية أشد هذه المرة ، عن له أن يتخذ الشعار الذى استخدمه فعلا فى ذلك الجزء من كتابه « مراحل » Stages الذى يروى حكاية حبه«لقدهلكت ان لم اكن تدهلكت» Periisem nisi periisem وهذا الشعار أيضا اخذه عن هامان الذى عزاه بدوره الى « كاتب أغريقى » .

وافتقار « اليوميات » الى أية تلميحات بشأن « خوف ورعدة » يبدو امرا ملحوظا بوجه خاص اذا علمنا انه فى هذا الوقت بالضبط الذى كان يكتب فيه هذا الكتاب وكتاب « التكرار » ، وبسبب هذا الانشغال كتب تدوينات قلائل فى « اليوميات » عددها تسعة واربعون على أكثر تقدير ، منها خمس عشرة تدوينة تدل على أن ذهنه كان يروض افكارا لم يكن بد من تطويرها فى مؤلفات متأخرة ، وعددا آخر كان مازال فى طور الولادة . ومن هذه الافكار ستة موضوعات بارزة موحية ظهرت فى العام التالى فى كتابه « مراحل » . فشخصية « الترزى العصرى » الذى تحدث فى « المأدبة » قد رسم ملامحها الرئيسية فى خمس تدوينات . ومن القصص البارزة المروية فى « يوميات فلان » فى مكان التدوينة المخصصة للخامس من كل شهر فى منتصف الليل يقترح هنا أربع قصص هى : « مناجاة الابرص » و « حلم سليمان » و « المحاسب المجنون » (امكانية) ، و « نوبختنصر » . فضلا عن ذلك نجد اعدادا لقصة « ابيلارد وهلويزه » يتفق مع حالته ، والغريب فى الامر أن هذا الاعداد لم يستخدم لملء المكان الذى ظل شاغرا بتاريخ ٥ يوليو . وهناك أيضا خطة لكتابة « انتيجونتى » My Antigone التى تناولها فى

« أما .. أو » ، ولكنه لم يكتبها بالتفصيل قط ، ومشروع كتاب عنوانه :
« المقاطع المخروطية » Conic Sections دراسة للحياة فى كوبنهاجن
فى ساعات مختلفة من اليوم تبرز فيها طبقات شتى . ولا تنفصل كثيرا
عن هذه التدوينات فى « اليوميات » ، وان تكن مكتوبة فى تاريخ متأخر
نوعا ما ، توجد بعض الاقتراحات « للمأدبة » ، ول « يوميات المغرر رقم ٢ » ،
ولدراسة للشيطانى التى ربما ظهرت فى حديث المغرر خلال « المأدبة » ،
ودراسة لمغررة أنثى Female Seducer كان سيطلق عليها اسم
« يوميات هيترا » * The Diary of Hetera . وليس من شك
أن ازدحام عقل انسان بكل هذه الأفكار فى آن واحد شيء يخالف المألوف .
ولعل فى هذا ما يبرز قول كيركجور فى « اليوميات » التى كتبها آنذاك :
« اننى أعيش من خلال نفسى شعرا أكثر مما يوجد فى جميع الروايات
مجتمعة فى صعيد واحد » . ولم يلبث أن كتب الى صديقه « بويزن »
بعد عودته من برلين قائلا : « لقو انتهيت من كتابة كتاب أرى أنه مهم ،
وأنا بسبيلى الى كتابة كتاب جديد . كنت مريضا فى البداية ، ولكننى
تحسنت الآن تحسنا نسبيا ، أعنى أن روحى تنبسط ، واغلب الظن
أنها بهذا تقتل جسدى . ذلك اننى لم أعمل قط كما أكدح الآن . فأنا
أخرج قليلا فى الصباح ، ثم أعود الى المنزل ، واقبع فى حجرتى دون
انقطاع حتى الساعة الثالثة . وأكاد لا أبصر بعينى . ثم ترانى أستند
على عصاى متجها الى المطعم ، ولكننى فى حالة من الضعف بحيث لو
نادانى شخص بصوت مرتفع لسقطت من توى ميتا . وأعود الى
المنزل لأبدأ من جديد . ففى خلال الشهور الماضية أثناء اقامتى فى
كوبنهاجن ، كنت املأ على مهل خزان دش كبير ، والآن هاأنذا أشد
الحبل ، فتنهمر الافكار على رأسى — أطفالا أصحاء ، مرحين فرحين

---

* كان القانون الاثينى يحظر زواج الاثينيين من غير الاثينيات ،
ومن ثم كان الأثينيون يتخذون لهم خليلات من المدن الأخرى وخاصة
« ايونيا » . والترجمة الحرفية لكلمة هيثرا هى « رفيقات » وهن أشبه
اليوم بالغانيات أو فتيات الجيشا فى اليابان مثلا . (ف.ك)

متواثبين مباركين ، جاءوا الى الدنيا بولادة يسيرة ، ومع ذلك يحملون جميعا علامة شخصيتى .. اما فيما عـدا ذلك ، فأنا ضعيف ، كما سبق أن قلت ــ ساقاى ترتعشان ، وركبتاى لا تقويان على حملى » .

ولا أظن أن أفراح العبقرية وأحزانها يمكن أن توصف وصفا أشد تعبيرا . فقد كان كيركجور يعلم أنه عبقرية ، ولكنه كان يدرك ــ آسفا أيضا ــ كم كان عليـه أن يقاسي من اجـل ذلك . ومما له دلاله أنه اقتبس فى « يومياته » بشىء من الموافقة المتحفظة مثل لاتينيا يقـول :
« انه لم توجد قط عبقرية عظيمة دون شىء من الجنون » :
Nullum exstitit magnum ingenium sine aliqua dementia.
وهذا هو التعبير الدنيوى عن التأكيد الدينى بأن من يباركه الرب فانه فى الوقت نفسه **eo ipso** بالمعنى الدنيوى . وهكذا ينبغى أن يكون الامر . الاولى (اى البركة) ترجع الى قيود الطبيعة ، والثانية الى ازدواجها » .

وهنـا اقدم عدة ملاحظات ، وهى وان كانت تبدو خارجة عـن موضوع هذا الكتاب ، الا أنها تلقى كثيرا من الضوء على مؤلفه ، ذلك أن عبقرية سرن كيركجور لم تكن أشد ظهورا فى أى موضوع آخـر مثلما كانت فى « خوف ورعدة » .
والتفسير التالىلكتاب«خوفورعدة» كتبهالاستاذ ديفيد ف. سوينسون **David F. Swenson** « للمجلة الفلسفية » **Philosophical Review** وأنا سعيد لحصولى على اذن من سوينسون لاستخدامه هنا لأننى أعتقد انه أوضح عرض كتب على الاطلاق لهذا الكتاب . واليكم فيما يلى هذا العرض :

« بعد أن صور كيركجور الشعور الدينى بخلفية دينية كلية فى مؤلف سابق هو (اما .. او) ، عنى فى هذا المجلد ببعض السمات المتميزة للمفهوم الدينى للايمان ، مأخوذا بالمعنى الأكثر تخصيصا حيث يكون أساسا للشعور الدينى . فهو يوصف هنا باعتباره عاطفة انسانية كبرى ، تؤثر فى الحياة اليومية بكل نواحيها ، ومن حيث يؤلف مضمونه الواقع الماهوى كله لوجود الفرد . وأوهام الفورية الساذجة ، ونتيجة لصلابة قبضته على الحيـاة

المتناهية بوصفها متميزة عن الانسحاب منها ، ذلك الانسحاب الذى يتولد عندما يكون التسليم هو الكلمة النهائية ، وبالنظر الى صراعاته مع الخوف والقشعريرة اللذين يشعر بهما بـــدافع من احساسه بالمسئولية وبالنظر الى انتصاره عليهما ، يصبح هذا الايمان أرقى العواطف الانسانية . وهو يعرض هاهنا بوصفه شيئــا بطوليا ، كما يدرك فى صورة شاعرية بـذلك الوجدان الجمالى الاصيل النابع من وقائع حياة كيركجور الشخصية .

« والمقومات المطلقة الرئيسية التى تعزى الى الايمان ، ويقوم بتفصيلها فى هذه المحاولة هى : ١ ــ **خصوصية** علاقته بالله بحيث يستغنى عن أى شكل من أشكال الوساطة الكلية ــ كالمجتمع والدولة والانسانية ، والتراث ــ **بحيث يعقد الفرد بوصفه فردا علاقة مطلقة مع المطلق . ٢ ــ الزهد** اللامتناهى فى الخيرات المتناهية التى تفترضها نفسيا ، وبهذا يفصل نفسه كلية عن تلك الاحلام الخاصة بتحقيق الرغبات التى يخلطها بـــه الشخص الغرير . ٣ ــ **الحركة المزدوجة للروح التى تحيا بها فى المتناهى مرة اخرى** بعد تسليمها اللامتناعى ، ولكن بفضل صـــلة بالله لا تعتمد على حسابات **العقل . ٤ ــ التعليق الغائى المخيف لمـا هو اخلاقى كما يجسده ابراهيم** الذى يجعله خيال المؤلف الشاعرى يحيا فى الحاضر حياة زاخرة بالحيوية .

هذا التعليق suspension للشعور الاخلاقى يجـد تعبيرا اكثر جوهرية وشـــمولا فى الشعور المسيحى بالخطيئة وغفرانها ، وان يـكن علاج هذا (الدافع) منسحبا هنا ، ليفسح له مكانا فى مجلـد لاحق هـــو « مفهوم القلق » The Concept of Dread . وثمـــة أوجـــه أخرى للايمان يتناولها مجلد مصاحب هو « التكرار » .

ويركز كيركجور مقومات الايمـــان المتعـــددة فى مقولة واحـــدة هى (اللامعقول) مادامت حركة الايمان تبدو متسمة بالمفارقة بالنسبة للشعور العـــادى الذى ينشأ عنه الايمان . والمفارق Paradoxical هـــو تطوير كيركجور الدقيق المتقن لفكرة صورها الاغريق بصورة معتمة على انها الجنون

الالهى (محاورة فايدروس لافلاطون) . ولما كان من الممكن أن يسىء القراء – حتى المفكرون منهم – فهم هذه المقولة عندما يتناولها على نحو شديد من خلال التضاد التقليدى الناقص بين الايمان والعقل ؛ فلعلهم أن يغفروا لى كلمة تعقيب . فليس لهذه المقولة صلة أيا كانت بالتعارض المفترض بين العقل والارادة . والحق أن كيركجور يعتقد أن أى فرد يسمح لحياته أن تبلغ ذروتها فى الفكر النافع ، أو الفكر النظرى أو المعرفة ينبغى أن يؤخذ على أنه ملهاوى من حيث الجوهر فى شرود ذهنه ، وان يدان أخلاقيا لمحاولته التملص من المهمة الجوهرية المنوطة بالوجود الانسانى والتى تتألف فى رأيه من تحقيق نوع من « الحسم الروحى » decisiveness of spirit الذى يشكل الروح ويؤسسها . بيد أن هذا لا يقتضى وضعا للتعارض بين العقل والارادة ؛ بل على العكس – يحتج على ترك هذه الحركة ناقصة ، اعنى الحركة التى يقوم فيها العقل والشعور والارادة عادة بأدوارها المتعددة .

والمفارق يضرب بجذوره فى تعارض مختلف تمام الاختلاف ، واعنى به التعارض بين الله وبين الانسان ؛ بين فهم الاله لما ينبغى أن تكون عليه الحياة الانسانية ؛ وفهم الانسان لهذه الحياة . ولا يظهر هذا التعارض الا عندما يصبح الفرد ناضجا من الوجهة الاخلاقية ، وعندما يكون قد تطور أخلاقيا ودينيا الى الدرجة التى يمكن أن يكون ثمة تساؤل عن اخضاع نفسه للالهى حتى يتحول تحولا جذريا نتيجة للنظام الذى تفرضه هذه العلاقة . وفى هذا الصراع تكمن قوة الفرد فى ضعفه ؛ وانتصاره فى انكساره . أما الفهم الانسانى ؛ والانسانى جدا للحياة التى انتهى الى العزوف عنها فليس وظيفة عقلية مجردة ؛ وانما شعور عينى يحتضن العقل **والشعور والارادة . أو بعبارة أخرى هى عقله بوصفه تعبيرا عما هو كائن عليه أصلا ، فى مضاد ما يطمح أن يصير اليه بالايمان . ومن ثم لا توجد** حقا أية مفارقة للايمان حين يكون كاملا ؛ وانما تكون المفارقة بالنسبة للفرد الانسانى الذى لا يستطيع أن يتفادى الفارق paradoxical

فى عملية الصيرورة دون ان يحد من العملية الروحية تحديدا متعسفا.والحاح كيركجور على المفارق يأتى نتيجة لتفضيله عميق الجذور فى فهمه للحياة الروحية أثناء صيرورتها ، ومن ثم من الوجهة الاخلاقية لا من الوجهة الجمالية ، وفى منظور قصير النظر ، أو فى عبارات سكونية Static .

ولا يبدى معظم الكتاب الذين يؤلفون فى فلسفة الدين أى تلميح الى وجود مثل هذا الصراع ، واقل من هذا كثيرا أن يكشفوا عن أى فهم متعاطف لدلالته . واوصافهم للمواقف الروحية أشبه ما تكون بتلك التصاوير الساذجة التى ترسم منظرا بوجه عام فتفسح مكانا لكل شىء وللاشىء ووصف الدين بأنه تكريس لمثل أعلى دون تمييز لهذا من ذاك ، ودون ذكر كلمة واحدة عن هذا السؤال المهم جدا هو « كيفية » هذا التكريس ؛ يكاد هذا الوصف أن يكون على درجة من التنوير كتلك التى تخرج بها عندما نقول عن الحديد انه عنصر فزيائى . أما بالنسبة لهؤلاء الذين كانت تجربتهم الروحية عينية بما فيه الكفاية بحيث يحتاجون الى توجيه عقلى أدق ، فان كيركجور يقدم لهم سيكلوجية ثرية عينية للجوانب المتباينة من حياة الروح ، ومقولاته محددة تحديدا قاطعا بما فيه الكفاية بحيث ترضى أصحاب الطموح العقلى » .

وقد غامرت فى كتابى عن « كيركجور » بالتعبير عن رأى (وهو رأى علمت فيما بعد أن الاستاذ ايمانويل هيرش Emanuel Hirsch قد أيده فى « دراساته الكيركجورية » بمزيد من الحجج) مؤداه أن « التكرار » كتب أولا . وتلاه بعد ذلك كتاب « خوف ورعدة » . وليست هذه على أية حال مسألة عظيمة الخطر ، لان خطة الكتابين كانت تدور فى ذهن كيركجور أصلا فى آن واحد ، كما نشر الكتابان فى يوم واحد . وهذان المجلدان الصغيران اللذان ظهرا مباشرة بعد المجلدين اللذين ظهر فيهما كتاب « اما .. أو » لاول مرة فى ٢٠ فبراير ١٨٤٣ (ولم ينشر شىء خلال هذه الفترة فيما عدا «ثلاثة أحاديث تهذيبية» التى نشرت فى ١٦ مايو) ــ هذان المجلدان الصغيران يمكن أن نعدهما « اما .. أو » أخرى موجهة الى ريجينا ، واعتقد مع « هيرش » أن ما دفع كيركجور الى ترديد السؤال

بصورة مختلفة هو الارتباك العميق الذى عـــاناه عندما رأى ريجينا تومىء اليـــه براسها مرتين فى الكنيسـة أثنـــاء صلاة المساء يوم عيـــد الفصـــح (١٦ ابريل ١٨٤٣) . وليس من شك أن هذا مــــا دفعه مرة أخرى الى المسارعة الى برلين ، وهناك وضع هذين الكتابين ، كما كتب هنـــاك قبل ذلك بعام جزءا كبيرا من « أما .. أو » .

ولا مجال للشك لدينا فى أن ريجينا قرأت الكتب التى قصدت بهـــا ، لاننا نقرأ فى كتاب مـــاير Meyer بعنوان Forlovelsen (المقـــدمة ص IV) أنها طالعت كل كتبه ، ــ ولكنها طالعتها بصوت مرتفع فى حضرة زوجها . والاسئلة التى وجهت اليهـــا فى هذه المجلدات الاربعـــة ، قد تمت الاجابة عليهاـــ واحر قلباه ! ــ قبل أن توضع وضعا نهائيا .

ويلح هيرش بحق على أن خطبة ريجينا بوصفها مجرد واقعة بسيطة وكشفها لكيركجور عما فى انتاجه الشاعرى كله من باطل وغرور ، وارغامه على ادراك أن حياته حتى هـــذه اللحظة ، بما فيهـــا من فكر دينى وخبرة دينية ، لـــم يكن لها أساس الا مجرد « الامكان » ــ هـــذه الواقعـــة البسيطة كانت مناسبة لتحوله الدينى الاعمق .

ومن وجهة النظر الجمالية ، يعد كيركجور هذين الكتابين اكمل ما كتب على الاطلاق ، على الرغم من عملية البتر التى كان لابد أن يعانيها كتـــاب « التكرار » .وقد كتب فى « يومياته » بعد ستة أعوام : « أواه ، عندمـــا أموت سيكون كتاب « خوف ورعدة » كافيا وحده لمنحى لقب كاتب خالد . وعندئذ سيقرؤن الناس ، وسيترجم الى اللغات الاجنبية . وسيرتعد الناس من العاطفة الرهيبة التى تجتاح الكتاب . أما فى الوقت الذى كتب فيـــه ، عندما كان الرجل الذى ينظر اليه على أنه الكاتب يتسكع مغمورا ولا يبـــدو اكثر من داعر فاجر حاضر البديهة ــ فى ذلك الوقت لم يستطع احـــــد أن يفهم مــــا فيه من جدية . فيالكم من حمقى ، ما من كتاب كان على مثل هذا الجـــد . أما مظهره ذاك ، فكان تعبيرا صادقا عن الفزع . فلو ان الكاتب بدا جادا لكان الفزع أقل . والتكرار هو الشىء الضارى فى هـــذا الرعب .

ولكن ، عندما أموت سيخلق منى الناس شخصية خيالية ، شخصية كئيبة — وحينذاك سيكون الكتاب مرعبا .

« غير أن كلمة صادقة قد وردت فيه فعلا ، عندما وجهت الانظار الى الاختلاف القائم بين الشاعر والبطل . ففى نفسى ميل شاعرى سائد ، ومع ذلك كان الغموض الجوهرى فيه هو أن « خوف ورعدة » يعرض حياتى الخاصة . وبهذا المعنى أيضا أوحيت بالموضوع لاول مرة فى يومياتى المبكرة» . ويشير هنا الى التدوينة التى سبق أن أوردناها .

اما من وجهة النظر الدينية فقد أصبح هذان الكتابان — قبل نشرهما — من التراث القديم . وبالنظر الى تجربته الأعمق ، لم يكن كيركجور يستطيع أن يظل راضيا بمركزه الضئيل كشاعر فى مكان ما بين « فارس التسليم اللامتناهى » و « فارس الايمان » . والواقع أن هاتين المقولتين لم تبرزا بعد ذلك أبدا فى كتاباته ، وأصبح تصورهما واضحا كل الوضوح . اما فهمه الأعمق لمعنى أن يكون المرء مسيحيا فيتكشف فى « الأحاديث التهذيبية الثلاثة » التى نشرت فى نفس التاريخ ١٦ أكتوبر ، وان كتبت بعد « العاصفة » التى طهرت الجو تطهيرا تاما لم يكن يدور بخلده عندما أعاد كتابة الصفحات الأخيرة من « التكرار » .

وقد أدرك من وجهة نظره الجديدة أن « اما .. أو » الاول لم يخفق وحده فى تقرير الحالة تقريرا شافيا ، بل كان الاخفاق أيضا من نصيب « اما .. أو » الثانى . وانا أتفق مع الاستاذ هيرش فى التكهن بأن كيركجور شعر حينذاك بأنه مدفوع الى اعادة عرض حالته فى الكتاب الضخم الذى سماه : « مراحل على طريق الحياة » وربما فهمت « القصة العاطفية » الطويلة الواردة فى ذلك الكتاب على أنها تصحيح للـ « تكرار » ، كما فهمت الملاحظات الختامية التى أدلى بها الأخ الساكت على أنها تصحيح لكتاب « خوف ورعدة » . والى أن يكتمل ذلك الكتاب ، لم يكن كيركجور حرا فى المضى قدما فى كتابة « الحاشية » Postscript ، وهى التتمة المتأخرة « للشذرات » Fragments ومنها الى مؤلفاته الدينية الحاسمة .

خوف ورعدة

انشودة جدلية

تاليف

يوحنـــا الصـــامت

كوبنهاجن ١٨٤٣

(١٦ اكتوبر)

(ان ما تحدث به تاركينيوس سوبربوس الى ازهار الخشخاش فى حديقته قد فهمه الابن ، وان لم يفهمه الرسول(١) .

هـــامان

تصـــدير(٢)

يقوم عصرنا بعقد بيعة تصفية منتظمة ، لافى عالم التجارة فحسب ، بل فى عالم الأفكار ايضا . وكل شىء يمكن الحصول عليه فى مثل هـــذه الصفقة ، بحيث أصبح من المشكوك فيه ان يقدم اى انسان فى نهاية الأمر على المزايدة . وكل مثمن يحسن المضاربة ويوجـــه الانظار واعيـــا الى سوق الفلسفة الحديثة ، وبما لهذه السوق من دلالة ، وكل أستاذ جامعى ، وكل مدرس وطالب، وكل من هب ودب فى ميدان الفلسفة، لم يعد قانعا بالشك فى كل شىء ، بل تراه يمضى الى ابعـــد من ذلك . وهـــذه الحركة المبدئية قد شارك الجميع فى صنعها ، وكان ذلك من اليسر بحيث لم يجـــد أحدهم ضرورة فى التفوه بكلمة عن كيفية حدوث هذا الامر ، لأنه حتى ذلك الذى كان يسعى متلفها وفى قلق عميق للعثور على اثارة من التنوير ، لم يكن قادرا على أن يجـــد شـــيئا ممـــا يسعى اليـــه ، أو حتى علامة هادية ، او وصفة صغيرة لتنظيم غذائه ، أو لبيان كيف يسلك المرء لاحتمال هـــــذه المهمة الضخمة . « غير ان ديكارت(٣) قد قام بها » . وديكارت المفكر المبجل المتواضع الامين الذى لم يستطيع أحد ان يقرأ كتاباته دون أن يتأثر تأثيرا عميقا ــ فعل ما قال ، وقال ما فعل . واعجبا ! واأسفا ! ، هذا شىء نادر فى زماننا كل الندرة ! ديكارت هذا ، كما أكد مرارا ، لم يشـــك فى مسائل الايمان . فهو يقول فى كتابه مبادىء الفلسفة(المبدأ ٧٦) :

« فاذا تذكرنا على كل حال ــ كما قلت آنفا ــ ان النور الطبيعى لا يوثق به مادام الله نفسه لم ينزل شيئا مخالفا له . وفضلا عن ذلك ، ينبغى أن يستقر فى ذاكرة الانسان بوصفه أعلى قاعدة أن ما أنزله الله لنا ينبغى أن نؤمن بأنه اليقين الذى لا يعدله يقين آخر . وحتى ان بـــدا أن ومضة من ومضات العقل تشير بوضوح بشىء يخالف ذلك وجب علينا أن نخضع حكمنا للسلطة الالهية وحدها »(٤) .

ولم يصرخ ديكارت صائحا : « النار ! » ، كما أنه لم يجعل من واجب كل انسان أن يشك ، ذلك لأن ديكارت كان مفكرا هادئا متوحدا ، ولم يكن حارسا ليليا خوارا (كالثور) ، وقد اعترف متواضعا بأن منهجه لايهم أحدا غيره ، وانه مبرر فى جزء منه بالمعرفة المهوشة التى قام بتحصليها فى سنواته المبكرة ، فيقول فى كتابه « المقال فى المنهج » :

« لا يظنن أحد اننى احاول هنا نشر منهج ينبغى على كل انسان أن يتبعه لكى يحكم عقله حكما رشيدا ، ذلك أن نيتى لم تتجه الا الى عرض المنهج الذى اتبعه أنا نفسى .. بيد اننى ماكدت أفرغ من الدراسة التى يوضع المرء فى نهايتها عادة بين صفوف العلماء ، حتى بدات أفكر فى شىء مختلف تمام الاختلاف عن ذلك ، اذ أدركت أننى متورط فى كثير من الشكوك ، وفى كثير من أخطاء ، بحيث لم يكن ثمة طائل من وراء جميع الجهود التى أبذلها للتعلم ــ كما أراها ــ الا فى اكتشاف جهلى أكثر فأكثر »(٥) .

ان ما كان أولئك الاغريق القدماء (الذين كان لديهم أيضا شىء من الفهم للفلسفة) يرونه مهمة تستغرق عمرا بأكمله ، اذ يدركون أن البراعة فى الشك لا تكتسب فى أيام قلائل او أسابيع ، وما كان المجاهد المخضرم يبلغه حين يحافظ على توازن الشك عبر جميع العثرات التى يصادفها ، والذى كان ينكر فى جراة يقين الادراك الحسى ، ويقين عمليات الفكر ، ويتحدى دون اية شائبة من تلوث مخاوف حب الذات وتلميحات التعاطف ــ هذا كله هو ما يبدأ منه كل انسان فى عصرنا الحاضر .

ما من أحد فى عصرنا يقتنع بالوقوف عند الايمان، وانما يريد أن يمضى الى أبعد منه . وربما كان من التهور ان يتساءل المرء الى أين يمضى هؤلاء الناس جميعا ، ولكن من المؤكد انها علامة أدب وتهذيب منى أن افترض الايمان للجميع ، والا كان من الغريب بالنسبة لهم ... أن يمضوا الى أبعد منه . ففى تلك الازمنة القديمة كان الحال مختلفا ، حينذاك كان الايمان مهمة تستغرق عمرا بأكمله ، لأنه كان من المفروض أن اتقان الايمان لا

يكتسب فى أيام قلائل أو فى أسابيع . وعندما كان الشيخ المحنك يقترب من ساعته الاخيرة ، بعد أن يكون قد جاهد احسن جهاده ، وظل محتفظا بايمانه ، ومازال قلبه غضا بحيث لم ينس الخوف والقشعريرة اللذين هذبا الشاب الذى كبح الرجل من جماحه حقا ، وان لم يتجاوزه تمام التجاوز .. اللهم الا أن ينجح فى أول فرصة تلوح له فى المضى قدما . وعند هذه الدرجة التى وصلت اليها تلك الشخصيات المبجلة ، هنا تكون النقطة التى يبدأ منها كل انسان فى عصرنا فى المضى الى أبعد من ذلك .

والكاتب الحاضر ليس فيلسوفا على اى نحو من الانحاء ، فهو لم يفهم « المذهب » ، بل لا يدرى ان كان له وجود فعلا ، ولا يدرى ان كان قد اكتمل ، يكفيه مالديه فعلا فى رأسه الهزيلة من تفكير فيما ينبغى أن يكون لكل واحد فى أيامنا من رأس ضخمة ، مادام كل انسان عنده هذا الفكر الضخم . وحتى لو أن امرءا استطاع أن يحول تارة الايمان بأكملها الى مفهوم ما ، فلا يلزم عن ذلك انه قد تصور الايمان تصورا صحيحا ، أو فهم كيف يدخل الانسان فيه ، او كيف يدخل هو فى الانسان . ان الكاتب الحاضر ليس فيلسوفا بحال من الاحوال ، وانما هو شاعر ومتأنق poetice et eleganter ، وكاتب هاو لا يكتب « المذهب » ولا يعطى « الوعود » (٦) بوضع « المذهب » ، وهو لا يدفع اشتراكا فى « المذهب » ولا يعزو اليه شيئا . وهو يكتب لان الكتابة بالنسبة اليه ترف ، ترف يزداد ما فيه من متعة وبينة كلما قل عدد من يشترون ما يكتبه وقل من يقرأونه . وهو يستطيع أن يتنبأ فى يسر بمصيره فى عصر طمست فيه العاطفة لحساب المعرفة ، فى عصر ينبغى فيه على الكاتب الذى يريد أن يكون له قراء أن يحرص على الكتابة على نحو يمكن معه قراءة الكتاب بسهولة اثناء قيلولة ما بعد الظهر ، وان يحرص على ان يشكل هيئته الخارجية لتشبه صورة ذاك البستانى الشاب المهذب فى صحيفة الاعلانات (٧) ، ممسكا قبعته بيده حاملا شهادة حسن سير وسلوك اخذها من آخر مكان خدم فيه ، مزكيا نفسه للجمهور الموقر . ان هذا الكاتب يتنبأ بمصيره ، ويعلم أن تجاهله سيكون تماما . ولديه احساس مسبق بالحدث الرهيب ، وهو أن نقدا غيورا سيجلده بالسياط اكثر من مرة ، بل انه

ليرتعد لفكرة اشد من هذا رعبا وهى أن يقــوم ناسخ جسور ، أو مزدرد للفقرات على استعداد دائما ــ بدعوى انقاذ العلم ، ان يصـــنع بكتابات الآخرين ما صنعه تروب (٨) Trop « للمحافظة على الذوق الرفيع » بكتاب اسمه : « تدمير الجنس البشرى » ــ بأن قرر تقطيع الكاتب الى فقرات ؛ وسيصنع ذلك بنفس المرونة التى اصطنعها رجل أراد أن يخدم علم الترقيم فقام بتقسيم محاضرته باحصاء الكلمات بحيث يجد خمسين كلمة للنقطة ؛ وخمس وثلاثين للشولة المنقوطة .

وأنا أجثو بأعمق أنواع الاحترام أمـــــام مهرب (شنطة) للمـــذهب امام مصلحة الجمارك محتجا : « ليس هذا هو المذهب ،وليس فيــه مــا يمت الى المذهب بصلة » . وأنا استنزل كل ضروب البركات على المـــذهب وعلى المساهمين الدنماركيين فى شركة الاومنيبوس (٩) ــ فالاحتمال بعيــد ان يصير برجا . وأنا أتمنى للجميع بـــــلا استثناء حظـــا طيبا وازدهـــارا شاملا .

مع احترامات

يوحنا الصامت

استهلال (١٠)

فى سالف العصر والاوان عاش انسان ، استمع وهو طفل الى قصة بديعة(١١) عن كيف امتحن الله ابراهيم ، وكيف اجتاز ابراهيم الامتحان ، واحتفظ بايمانه ، وانجب ابنا للمرة الثانية على عكس كل توقع . وعندما شب الطفل عن الطوق قرأ هذه القصة نفسها بمزيد من الاعجاب ، ذلك أن الحياة كانت قد فصلت ما كان متحدا بتقوى الطفل البسيطة . وكلما طعن فى السن ، تواترت عودة عقله حينا بعد حين الى تلك القصة ، ومع ذلك كانت قدرته على فهمها تقل وتزداد قلة . واخيرا نسى فى اهتمامه بتلك القصة كل ما عداها . ولم تعد تحتل روحه سوى رغبة واحدة وهى أن يرى ابراهيم ، ولم يعتمل فى نفسه غير شوق واحد هو أن يكون شاهدا لذلك الحدث . ولم تكن رغبته أن تجتلى عيناه ببلاد الشرق الجميلة ، أو بذلك المجد الدنيوى لارض الميعاد ، أو بالزوجين الورعين اللذين بارك الله شيخوختهما ، أو بالشخصية المبجلة للبطريرك العجوز ، أو بتلك الرجولة الفتية القوية التى ينزو بها صدر اسحق الذى وهبه الله لابراهيم — فقد كان لا يرى ما يمنع أن يحدث هذا الشىء نفسه على أرض الدنمارك القاحلة . وكان حنينه الى أن يصاحبهم فى رحلة الايام الثلاثة عندما ركب ابراهيم والحزن يفعم نفسه واسحق الى جانبه . وكانت رغبته الوحيدة أن يكون حاضرا فى ذلك الوقت حين رفع ابراهيم عينيه وأبصر جبل آلمريا بعيدا هناك ، وفى الوقت الذى ترك فيه الحمير وراءه ، واوغل وحده مع اسحق مرتقيا الجبل ، ذلك لأن ما كان عقله مصوبا اليه هو رجفة الفكر لا نسيج الخيال المبدع .

لم يكن هذا الرجل مفكرا ، ولم يشعر بحاجة الى الايغال فيما وراء الإيمان ، وكان يعتقد أن أمجد الاشياء طرا ان يتذكره الناس بوصفه أبا الايمان ، وياله من نصيب يحسد عليه ، حتى ولم يعرف بهذا أحد سواه .

ولم يكن هذا الرجل فقيها ضليعا ، فلم يكن يعرف العبرية ، ولو أنه عرفها ، لكان من اليسير عليه أن يفهم قصة ابراهيم .

(١)

« وحدث بعد هذه الامور أن الله امتحن ابراهيم . فقال له يا ابراهيم . فقال هانذا . فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق واذهب الى ارض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » (سفر التكوين : الاصحاح ٢٢ الآيات ١ ، ٢) .

كان الوقت فى مطلع الصبح ، فبكر ابراهيم فى نهوضه من الفراش ، وشد على حميره ، وغادر خيمته ، واخذ معه اسحق ، أما ساره فقد أطلت من النافذة ، وتابعتهم بنظرها حتى عبروا الوادى ، فلم تعد تستطيع رؤيتهم (١٢) . وركبوا صامتين أياما ثلاثة . وفى صبيحة اليوم الرابع ، لم يتفوه ابراهيم بكلمة ، ولكنه رفع عينه وابصر جبل الموريا بعيدا . فترك ابراهيم غلاميه وراءه ، وذهب وحده ومعه اسحق الى جانبه مصعدا فى الجبل . غير أن ابراهيم قال لنفسه : « لن أخفى عن اسحق الى اين يقوده هذا الطريق . ووقف ساكنا ، ووضع يده على رأس اسحق مباركا اياه ، وانحنى اسحق ليتلقى البركة . وكان وجه ابراهيم عامرا بالابوة ، ونظرته فى غاية من العذوبة ، وحديثه ممتلئا بالتشجيع . بيد أن اسحق كان عاجزا عن فهمه ، ولم تكن روحه قادرة على الانتشاء ، فطوق ركبتى ابراهيم بذراعيه ، وجثا عند قدميه ضارعا ، وتوسل من اجل حياته الشابة ، ومن أجل أمله الجميل فى مستقبله ، واسترجع الى ذهنه أفراحه فى بيت ابراهيم ، واستعاد الحزن والوحدة . وهنا رفع ابراهيم الغلام ، وسار الى جانبه ، وكان حديثه مفعما بالسكينة والنصح ، غير أن اسحق لم يستطع أن يفهمه . وصعد جبل المريا ، ولكن اسحق لم يفهمه . واعرض عنه ابراهيم لحظة ، وعندما رأى اسحق وجه أبيه مرة أخرى ، رآه متغيرا ، فقد كانت نظرته ضارية ، وكانت

هيئته هى الرعب بعينه . واطبق على عنق اسحق ، وطرحه ارضا وقال : « ايها الغلام الاحمق ، احسبت اذن اننى أبوك ؟ انا رجل وثنى . اتظن أن هذه مشيئة الرب ؟ كلا ، انها مشيئتى » . وهنا ارتعد اسحق ، وصرخ مفزعا ، « يا اله السموات ، أنزل رحمتك على ، لم يعد لى أب على الارض ، فلتكن انت ابى ! » غير أن ابراهيم قال لنفسه بصوت خفيض ، « ياإله السموات ، أوزعنى ان اشكرك . فمن الافضل على كل حال أن يعتقد اننى وحش ضار ، من ان يفقد ايمانه بك » .

فعندما يحين فطام الطفل ، تعمد الام الى تسويد ثديها ، فمن المخزى حقا أن يبدو الثدى لذيذا حين ينبغى ان يحرم منه الطفل . ومن ثم يعتقد الطفل أن الثدى قد تغير ، بيد أن الام مازالت هى نفسها ، ونظرتها مليئة بالحب والحنان كما كانت دائما . وانه لسعيد حقا ذلك الشخص الذى لا يحتاج لفطام الطفل الى حيل اشد بشاعة .

(٣)

كان صباحا مبكرا ، عندما نهض ابراهيم من فراشه ، وقبل ساره ، عروس شيخوخته ، وقبلت ساره اسحق ، فقد كان موضع فخرها ورجائها فى كل وقت . وركبا صامتين طيلة الطريق ، وكانت نظرة ابراهيم مطرقة الى الارض حتى كان اليوم الرابع عندما رفع عينيه ، وابصر جبل المريا بعيدا ، ولكنه عاد فأطرق ببصره الى الارض . وأخذ يرتب أعواد الحطب صامتا ، وتل اسحق على الجبين ، واستل سكينه فى صمت — وهنا شاهد الكبش الذى أنزله الله ... فقدمه قربانا ، وقفل راجعا الى البيت . ومنذ ذلك الحين شاخ ابراهيم ، ولم يكن يستطيع أن ينسى أن الله قد طلب منه ذلك . اما اسحق فقد اخذ ينمو ويزدهر كما كان من قبل ، على حين اظلمت عينا ابراهيم ، ولم يعد يعرف للسرور طعما .

فعندما يكبر الطفل ويحين موعد فطامه ، توارى الأم ثديها كما تفعل العذراء ، ومن ثم لا يجد الطفل له اما . وانه لسعيد ذلك الطفل الذى لا يفقد امه على نحو آخر .

(٣)

كان صباحا مبكرا ، عندما استيقظ ابراهيم ، فلثم ساره ، الأم الشابة ، وقبلت ساره اسحق ، فرحتها وبهجتها فى كل زمان . وركب ابراهيم مستغرقا فى الفكر طوال الطريق ، وكان يفكر فى هاجر ، وفى ابنه الذى اصطحبه الى البرية ، وارتقى جبل المريا ، واخرج السكين .

وكان الوقت قد أوغل فى المساء حين ركب ابراهيم وحده ، واتجه صوب جبل المريا ، وانبطح بوجهه على الارض ، وجعل يضرع الى الله أن يغفر له خطيئته ، وانه كان على استعداد لتقديم اسحق ، وان الأب نسى واجبه تجاه الابن . وكثيرا ما كان يركب طريقه الموحش ، ولكنه لم يعرف للراحة سبيلا . ولم يستطع ان يفهم ان يكون استعداده لتقديم افضل ما يملكه الى الله خطيئة ، وانه كان من الممكن أن يقدم حياته فداء لابنه ، ولو كانت هذه خطيئة ، أنه لم يحب اسحق كما أحبه ، فانه لن يستطيع أن يفهم اذن أن هذه الخطيئة يمكن أن تغتفر . فأى خطيئة يمكن ان تكون أفظع من هذه ؟

وعندما ينبغى فطام الطفل ، فان الام لا تخلو هى أيضا من الحزن عندما تفكر أنها وطفلها يزدادان انفصالا أحدهما عن الآخر ، وان الطفل الذى رقد تحت فؤادها ، ثم استراح من بعد على صدرها ، لن يكون قريبا منها هذا القرب بعد الآن . ومن ثم فانهما يبكيان معا فترة الحداد القصيرة . وانه لسعيد ذلك الشخص الذى احتفظ بالطفل قريبا كل هذا القرب ولم يكن بحاجة الى الحزن بعد ذلك أبدا !

(٤)

كان صباحا مبكرا ، وكان كل شىء مهيئا للرحلة فى بيت ابراهيم ، فودع ساره وتبعه اليعازر خادمه الأمين على طول الطريق حتى عاد مرة اخرى . وكان ابراهيم واسحق يركبان معا منسجمين ، حتى بلغا جبل

المريا . بيد ان أبراهيم كان قد أعد كل شيء للتضحية في هدوء وسكون ، ولكنه عندما التفت واستل سكينه ، رأى اسحق أن يده اليمنى مطبقة في يأس ، وأن رجفة قد سرت في جسده — غير أن ابراهيم استل السكين .

ثم عادا مرة أخرى الى البيت ، وهرعت ساره لاستقبالهما ، ولكن اسحق كان قد فقد ايمانه . ما من كلمة عن هذا الامر قيلت في العالم ابدا ، ولم يتحدث اسحق أبدا الى احد بما رآه ، ولم تساور ابراهيم اية ريبة في أن احدا شاهد شيئا من ذلك .

وعندما يجب فطام الطفل ، تكون الام قد أعدت له طعاما أقوى ، حتى لا يهلك الطفل . وانه لسعيد ذلك الشخص الذى يجد طعاما أقوى في انتظاره !

وعلى هذا النحو ، وعلى انحاء اخرى كثيرة ، فكر الرجل الذى نتحدث عنه في هذا الحدث . وفي كل مرة يعود الى بيته بعد أن يتجول في جبل المريا ، كان يتساقط اعياء ، ويشبك يديه قائلا : « لا يوجد من هو في عظمة ابراهيم ! من يستطيع ان يفهمه ؟ »

سـلام على ابراهـيم

لو لم يكن ثمة شعور ابدى فى الانسان ، ولو لم يكن فى اســاس الاشياء جميعا سوى تلك القوة الهوجاء الضارية التى تتضافر مع الشهوات العمياء لتنتج كل ما هو عظيم ، وكل ما هو تافه ، لو أن وراء الاشياء جميعا يتوارى خواء لا قرار له ، لا يشبع ابدا — فماذا يمكن أن تكون الحياة عندئذ سوى يأس وقنوط ؟ لو أن الحال على هذا النحو ، ولم يكن ثمة رابطة مقدسة توحد البشرية ، وكان الجيل من الناس يتلو الجيل الآخر كما يحل ركام من أوراق الشجر فى الغابة محل ركام آخر ، وكان الجيل من الناس يأخذ مكان غيره فى الغابة كأنشودة للطير . ماذا لو أن الجنس البشرى كان يعبر خلال العالم كما تعبر السفينة عباب البحر ، والرياح خلال القفر وكأنه نشاط يخلو من الفكر ومن الثمر ، ماذا لو أن نسيانا أبديا يحوم دائما وابدا جائعا باحثا عن فريسته ، ولم تكن ثمة قوة قادرة على انتزاعها من براثنه ، كم تكون الحياة عندئذ خاوية لا راحة فيهــا !

ولكن الامر ليس على هذا النحو ، فعندما خلق الله الذكر والانثى ، شكل أيضا البطل والشاعر أو الخطيب . فالشاعر لا يستطيع أن يفعل ما يفعله البطل ، كل ما يستطيعه هو أن يبدى اعجابه وأن يحب البطل ويبتهج به . ولكنه هو أيضا سعيد ، وسعادته لا تقل عن سعادة البطل ، ذلك لأن البطل هو طبيعته الافضــل ، وهى الطبيعة التى يعشقهــا ، مبتهجا فى الوقت نفسه بأنه لم يكن هــو البطل ، وبأن حبــه يمكن أن يكون اعجابا . انه عبقرية التذكر ، ولا يفعل شيئا اللهم الا استرجاع ما تم انجازه فعــلا ، ولا يفعل شيئا الا الاعجاب بما تم ، ولا يســهم بشىء من صنعه ، وانما يشعر بالغيرة من ذلك الكنز المؤتمن عليه . وهو يتبع الاختيار الذى يهديه اليه قلبه ، ولكنه عندما يجد ما كان يســعى

أليه ، فانه يتسكع عندما باب كل انسان منشدا أغنيته ، ملقيا خطبتـــه ، حتى يعجب الجميـــع بالبطل كما أعجب هو به ، ويفخروا بالبطل كمـــا يفخر هو به . هذا هو انجازه ، وهذا هو عمله المتواضع ، وهذه هى خدمته الامينه فى منزل البطل . ولو ظل على هذا النحو صادقا فى حبه ، فانه يجاهد ليلا ونهارا ضد النسيان الخبيث الذى قد ينتزعه من بطله ، وهنا يتم عمله ، ويجتمع ببطله الذى احبه بنفس الوفاء ، ذلك أن الشـاعر أيضا هو طبيعة البطل الافضل ، قد لا يتمتع بأية قوة كما لا تتمتع الذاكرة ، ولكنه يتسامى أيضا كما تتسامى الذاكرة . وهكذا لا يطوى النسـيان أبدا من كان عظيما . ومع أن الزمان قد يتلكأ طويلا ، وقد تذهب سحابة(١٢) من ســوء الفهم بالبطل بعيدا ، الا أن عاشقه سيأتى رغم كل هـــذا ، وكلما كان الزمان الذى أنقضى طويلا ، كان تمسكه ببطله اقوى ولاء .

كلا ، لن يطوى النسيان أبدا من كان عظيما فى هذا العالم . غير أن كلا من هؤلاء العظماء كان عظيما على طريقته ، وكلا منهم كان عظيما بالنسبة للعظمة التى أحبهـــا . فذلك الذى كان يحب نفســـه قد أصبح عظيما بنفسـه ، وذلك الذى أحب غيره من الناس صار عظيما بتكريسـه المنكر للذات ، بيد أن الذى أحب الله هو من أصبح أعظم الجميع . كل عظيم سيتذكره الناس ، ولكن كلا منهم صار عظيما بالنسبة لـ « توقعه » . فمنهم من اصبح عظيما بأن توقع الممكن ، وآخر توقع الأبدى ، أما مـــن توقع المستحيل فقد صار أعظمهم جميعا . كل منهم سيتذكره الناس ، ولكن كلا منهم كان عظيما بالنسبة لعظمة ما « جاهد » من اجله . فمن جاهد الدنيا أصبح عظيما عندما تغلب على الدنيا ، ومن جاهد نفســـه اضحى عظيما عندما انتصر على نفسـه ، أما ذلك الذى جاهد فى سبيل الله فقد صار اعظم الجميع . اذن ، فثمة جهاد فى العالم ، الانسان ضد الانسان ، واحد ضد ألف ، أما ذلك الذى سـعى الى الله فهو أعظمهـــم جميعا .. أجل ، كان ثمة كفاح على الارض ، وكان هناك من قهر الجميع بقوته ، وكان هناك من كسب الله بعجزه . وكان هناك من اعتمد على نفسـه فربح الجميع ، وكان هناك من هو آمن فى قوته وضحى بكل شىء ، اما ذلك الذى آمن بالله فهو أعظم الجميع . وكان هناك العظيم بقوته ،

كما كان هناك العظيم بحكمته ، أو العظيم بما يجول فى نفسه من أمل ، وهناك العظيم بما يمتلىء قلبه من حب ، أما ابراهيم فكان أعظم الجميع ، عظيما بالقوة التى تستمد سلطانها من العجز ، عظيما بحكمته التى يكمن سرها فى الحماقة ، عظيما بالامل الذى يتخذ شكل الجنون ، عظيما بالحب الذي هو بغض الانسان لنفسه .

وبالايمان خرج ابراهيم من أرض آبائه ، واصبح مقيما فى أرض الميعاد . ترك شيئا واحدا وراءه ، واخذ شيئا واحدا معه ! ترك فهمه الدنيوى ، وأخذ معه الايمان — والا ما ضرب فى الارض ، ولحسب ان هذه الهجرة تخلو من العقل . وبالايمان كان غريبا فى أرض الميعاد ، فلم يكن فيها ما يذكره بكل ما هو عزيز عليه ، ولكنها بما فيها من جدة دفعت روحه الى حنين أسيان — ومع ذلك كان ممن اصطفاهم الله ، وكان الرب عنهم راضيا ! أواه ، لو أن الله انكره ، وطرده من رحمته ، لأدرك الامر ادراكا افضل ، ولكن المسألة الآن اشبه باستهزاء به وبايمانه . لقد كان هناك فى العالم شخص آخر يعيش منفيا (١٤) عن أرض أجداده التى عشقها . انه لم ينس ، ولم تنس « مراثيه » * عندما كان يبحث حزينا ، وعندما وجد الشيء الذى فقده . ولكن ابراهيم لم تكن له أنشودة يتضرع بها . وانه لشيء انسانى أن ينوح الانسان ، وأن يبكى مع الباكين ، ولكن أعظم من ذلك أن تؤمن ، وأكثر من ذلك بركة أن تتأمل المؤمن .

وبالايمان تلقى ابراهيم العهد بأن ذريته من الاجناس جميعا ستنالها البركة . ومضى الزمان ، وكان الامكان قائما ، وابراهيم مؤمنا ، وانقضى الزمان ، واصبح الامكان محالا ، وظل ابراهيم على ايمانه . كان ثمة شخص فى العالم يحمل توقعا ، وانقضى الزمان ، واقترب غروب العمر ، ولكنه لم يكن من الضعة بحيث ينسى توقعه ، ومن ثم ، فلن ينسى هو أيضا . ثم انتابه الحزن ، ولم يخدعه الحزن كما خدعته الحياة ، فقد

---

* يشير كيركجور هنا الى « مراثى ارمياء » وهو سفر من أسفار العهد القديم . (ف . ك) .

صنع من أجله كل ما فى وسعه ، وفى عذوبة الحزن أمتلك ذلك التوقع المراوغ . انه لشىء انسانى أن يحزن المرء ، وأن يحزن مع المحزونين ، ولكن اعظم من ذلك أن تؤمن ، وأكثر من ذلك بركة أن تتأمل المؤمن . لم يترك ابراهيم مرثية ، ولم يكن يحصى الايام نائحا كلما مضى الزمان ، ولم ينظر الى ساره نظرة ارتياب متسائلا عما اذا كانت تطعن فى السن ، ولم يوقف مسيرة الشمس حتى لا تهرم ساره ، ويهرم معها توقعه . ولم ينشد أمام ساره معزيا مراثيه النائحة . وبلغ ابراهيم من الكبر عتيا ، واصبحت ساره أضحوكة البلاد ، ومع ذلك كان ممن اصطفاهم الله ، ووريثا للعهد بأن ذريته من اجناس العالم ستنالها بركة الاله . الم يكن من الأفضل اذن الا يكون مختار الله ؟ وما معنى أن يكون ذلك المختار ؟ أن ينكر فى شبابه رغبات الشباب ، وذلك حتى تتحقق له بعد آلام عظيمه — فى سن الشيخوخة . غير أن ابراهيم ظل مؤمنا ، متمسكا بتوقعه . ولو انه تذبذب ، لتنازل عن هذا التوقع . ولو قال لله : « ربما كانت مشيئتك على كل حال هى الا يحدث هذا الامر ، ومن ثم سأتخلى عن هذه الرغبة . لقد كانت رغبتى الوحيدة ، وسعادتى الوحيدة . وروحى مخلصة ، ولا أخفى أى حقد مستتر لأنك حرمتنى منها » — لو قال ذلك لما نسيه أحد ، ولأنقذ كثيرا من الناس بما يضربه من مثل ، ولكنه لن يكون فى تلك الحالة أبا الايمان . عظيم حقا أن يتخلى المرء عن رغبته ، ولكن أعظم من ذلك أن يتمسك بها بعد ان يكون قد يئس منها ، وقد يكون عظيما ان تمسك بالأبدى ، ولكن أعظم من ذلك ان تتشبث بالزمانى بعد أن تتخلى عنه (١٥) .

ثم اكمل الزمان دورته . فلو ان ابراهيم لم يؤمن ، لهلكت ساره حزنا بكل تأكيد ، ولن يفهم ابراهيم الذى يكون الاسى قد ران على عقله — وفاء الوعد ، بل لعله يبتسم كأنه يرى حلما من أحلام الشباب . بيد أن ابراهيم كان مؤمنا ، ومن ثم فقد كان شابا ، ذلك ان من يأمل دائما فى الافضل يصير شيخا ، ومن يوطن نفسه دائما للأسوأ يهرم مبكرا ، أما ذلك الذى يؤمن فيحتفظ بشباب أبدى . فلنغدق الثناء اذن على هذه القصة ! فان ساره التى ضربتها الاعوام ، كانت من الشباب بحيث ترغب فى نعمة الامومة ، وكان ابراهيم — وقد اشتعل راسه شيبا —

من الشباب بحيث يطمع فى أن يكون أبا . فاذا أخذنا الامور بظواهرها كانت الاعجوبة ان تسير الامور وفق توقعهما ، اما بالمعنى الاعمق فان معجزة الايمان تكمن فى ان ابراهيم وساره كانا من الشباب بحيث يرغبان ، وان الايمان احتفظ لهما برغبتهما ، واحتفظ معهما بشبابهما . وقد تقبل ابراهيم وفاء الوعد ، تقبله بالايمان ، وسارت الامور حسب الوعد ، ووفق ايمانه — أما موسى فقد ضرب بعصاه الحجر ، ولكنه لم يكن مؤمنا حينذاك .

وهناك عم الفرح بيت ابراهيم ، عندما اصبحت ساره عروسا فى عيد زواجهما الذهبى .

غير أن الحال لم يظل على هذا المنوال . فقد كان لابد من امتحان ابراهيم مزيدا من الامتحان . لقد ناضل تلك القوة الماكرة التى تختلق كل شىء ، ضد ذلك العدو اليقظ الذى لا يغفو أبدا ، ضد ذلك العجوز الذى يحيا بعد أن تفنى الاشياء جميعا — لقد حارب « الزمان » ، واحتفظ بايمانه . والآن ، تركز رعب النضال كله فى لحظة واحدة . « وحدث بعد هذه الامور أن الله امتحن ابراهيم . فقال له يا ابراهيم . فقال هأنذا . فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق واذهب الى أرض المريا واصعده هناك محرقة على احد الجبال الذى أقول لك » .

وهكذا ضاع كل شىء — بأفظع مما لو ان شيئا لم يحدث قط ! اذن فقد كان الرب قد جعل من ابراهيم ألعوبة ! لقد جعل من المحال شيئا فعليا بمعجزة ، وها هو الآن يمحو ما قد فعل . كان الامر يبدو بعيدا على التصديق ، ولكن ابراهيم لم يضحك كما ضحكت ساره عندما بشرت بالوعد . ضاع كل شىء ! سبعون عاما من التوقع الامين ، والفرح القصير بمثوبة الايمان . من ذلك الذى ينتزع من الرجل العجوز عكازه ، ومن ذلك الذى يطلب منه أن يكسره هو بنفسه ؟ من ذلك الذى يجعل من شيبته زمنا لا راحة فيه ، ومن الذى يطلب منه أن يفعل بنفسه ذلك ؟ ألا وجود لشفقة بالشيخ الوقور ، أو بالطفل البرىء ؟ ومع

ذلك ، كان ابراهيم ممن أصطفاهم الله ، وكان الرب هـــو الذى قضى هذا الامتحان . كل شىء يضيع الآن . الذكرى المجيدة التى سيحفظها الجنس البشرى ، الوعد لذرية ابراهيم — لم يكن هذا كله سوى نزوة ، فكـــرة عابرة طافت بعقل الله ، وعلى ابراهيم الآن أن يمحوها . ذلك الكنز المجيد العتيد الذى كان عمره من عمر الايمان فى قلب ابراهيم ، اكبر بأعوام كثيرة ، من عمر اسحق ، ثمرة حياة ابراهيم ، التى زكتها الصلوات ، وانضجتها المجاهدات — البركة على شفتى ابراهيم ، هذه الثمرة ينبغى أن تنتزع الآن قبل الاوان ، وأن تبقى بلا مغزى . فما مغزى ان يضحى باســـحق ؟ فى تلك الســـاعة الحزينة — وأن تكن مباركة — عندما كان على ابراهيم أن يودع كل ما كان عزيزا عليه ، عنـــدما كان عليه أن يرفع رأســه مرة أخرى ، عندما يشرق محياه وكأنه وجه الرب ، عنـــدما كان عليه أن يركز روحه كلها فى استنزال بركة تجعل اســـحق مباركا طيلة أيامه — هذه الساعة لم تكن لتأتى ! ان عليه أن يودع اسحق حقا ، ولكن على نحو يبقى فيه وراء اسحق ، سيفصل الموت بينهما ، ولكن على نحو يكون فيه اســـحق فريسته . لن يكون الشيخ مبتهجـــا بالموت وهو يضع راحتيه مباركا اسحق ، ولكنه سيكون ضجرا بالحياة عندما يضع قبضتين عنيفتين على اسحق . وكان الله هو الذى يمتحنه .. أجل ، سحقا ، سحقا للرسول الذى حمل الى ابراهيم هذا النبأ ! من الذى يجرؤ على أن يكون مبعوث هذا البلاء ؟ ولكنه الله كان هـــو الذى يمتحن ابراهيم .

ومع ذلك ، ظل ابراهيم على ايمانه ، وكان يؤمن بهـــذه الحياة الدنيا . أجل ، لو أن ايمانه اقتصر على أن يكون ايمانا بحياة أخرى ، لكان القى بكل شىء حتى يسارع بالخروج من هذه الدنيا التى لا ينتمى اليها . غير ان ايمان ابراهيم لم يكن من هذا النوع ، ان كان لمثل هذا الايمان وجود ، فالحق أن هـــذا ليس ايمانا ولكنه أبعد امكانية للايمان الذى يشعر بموضوعه فى الحد الاقصى من الافق ، ومع ذلك ينفصل عنه بهوة عميقة يقوم اليأس فى داخلها بلعبته . أما ابراهيم فكان يؤمن حقا بهذه الحياة الدنيا ، وبأنه ســـيهرم فى أرض آبائه ، وســـيقوم الشعب

بتكريمه ، وستحل عليه البركة فى جيله ، وسيتذكره الناس الى الأبد فى اسحق ، أعز ما لديه فى الحياة ، والذى يعانقه بحب قد يكون التعبير عنه هزيلا اذا قيل انه يؤدى باخلاص واجب الأب فى حب الابن ، كما يبدو ذلك حقا فى كلمات النداء الالهى « ابنك وحيدك الذى تحبـــه » . وكان ليعقوب اثنا عشر ابنا ، وواحد منهم هو الذى أحبه ، أما ابراهيم ، فلم يكن له غير ابن واحد ، الابن الذى يحبه .

ومـــع ذلك ، كان ابراهيم يؤمن ، ولم يكن يشـــك . كان يؤمن بالمحال . ولو راود الشك ابراهيم ، لفعل شيئا آخر ، شيئا مجيدا ، اذ كيف يمكن أن يصنع ابراهيم الا كل ما هو عظيم مجيد ! كان سيذهب الى جبل المريا ، وربما شق حطب النار ، واشعل المحرقة ، واســـتل السكين ــ وسيصيح مخاطبا الله : « لا تستهين بهذه التضحية ، فهى ليست خير ما أملك ، هذا شىء أعرفه جيدا ، فماذا يكون شيخ عجوز بالنسبة لطفل الميعاد ، ولكنه أفضل ما أستطيع أن اقدمه لك . فلا تدع اسحق يعلم ذلك أبدا ، حتى يعزى نفسه بشبابه » وهنا ، سيغـــرس السكين فى صدره . وسينال حينئذ اعجاب العالم ، ولن ينسى اســـمه أبدا ، ولكن أن تنال الاعجاب شىء ، وأن تكون النجم الهادى الذى ينقذ الحيارى شىء آخر .

ولكن ابراهيم كان مؤمنا ، فلم يكن يصلى لنفسه ، آملا أن يحرك الرب ــ ولم يتقدم ابراهيم بصلواته الا عندما وقع العقاب العادل على سدوم وعموره .

ونحن نقرأ فى تلك الكتب المقدسة : « أن الله امتحن ابراهيم . فقال له يا ابراهيم . فقال هأنذا » . أنت يا من أتوجه اليه بخطابى ، هل كان ذلك هو حالك ؟ عندما ابصرت بعيدا قضاء الله العسير يقترب منك ، الم تقل للجبال ، فلتهـــوى فوقى ، وللتلال زمليني ؟ أو ان كنت أقوى الم تتحـــرك قدماك متباطئة على الطريق ، مشـــتاقة الى الدرب القديم ؟ وعندما صدر اليك النداء ، الم تجب ، أم لعلك لم تجب بصوت

خفيض ، هامسا ؟ اما ابراهيم فلم يكن كذلك ، فلقد أجاب بصوت مرتفع ، مرحا ، مبتهجا ، واثقا من نفسه : « هأنذا » . ونمضى فى القراءة : « فبكر ابراهيم صباحا » ــ وكأنه ذاهب الى حفل ، وهكذا كان متعجلا ، وفى الصباح المبكر ذهب الى الموضع الذى قال له الله ، الى جبل المريا . ولم يقل شيئا لساره ، أو لأليعازر ، حقا ، من كان يستطيع أن يفهمه ؟ الم ينتزع منه الامتحان بطبيعته عهدا بالصمت ؟ فلما رتب الحطب ، واوثق اسحق ، اشعل المحرقة ، وأخرج السكين .

يا من تستمع الى ، كم من أب اعتقد أنه بفقده ابنه فقد أعز مالديه فى هذا العالم ، وأنه حرم من كل أمل فى المستقبل ، ومع ذلك لم يكن بين هؤلاء الأبناء من كان أبن الميعاد بالمعنى الذى كان اسحق بالنسبة لابراهيم . كم من أب فقد ابنه ، ولكنه كان الله الذى لا يعتريه التغير ، وكانت ارادة العلى القدير ، وكانت يده هى التى استردت الطفل . ولم يكن الامر كذلك بالنسبة لابراهيم . فقد ادخر له امتحان اصعب ، فها هو مصير اسحق معلق بالسكين فى قبضة ابراهيم . وهناك وقف الشيخ العجوز ، مع أمله الوحيد ! ولكن الشك لم يخالجه ، ولم ينظر قلقا الى اليمين أو الى الشمال ، ولم يتحد السماء بصلواته . كان يعرف أن الله العلى القدير هو الذى يمتحنه ، وكان يعلم أنها أقسى تضحية يمكن أن تطلب منه ، ولكنه كان يعلم أيضا أن ما من تضحية يمكن أن تكون قاسية اذا طلبها الله ــ واستل السكين .

من ذا الذى منح القوة لذراع ابراهيم ؟ من الذى رفع يده اليمنى ، ولم يجعلها تسقط مسترخية الى جواره ؟ ان من يحدق بعينيه فى هذا ، يصيبه الشلل . من الذى أمد بالقوة روح ابراهيم ، فلم ترين الغشاوة على عينيه حتى لا يرى اسحق ولا يرى الكبش ؟ ان من يحدق فى هذا يصبح أعمى ــ ومع ذلك ، ما اندر الشخص الذى يصير مشلولا وأعمى ، واندر من ذلك من يعيد بأمانة ــ رواية ما حدث . كلنا نعرفها ــ انها لم تكن سوى امتحان .

ولو أن ابراهيم شك فى الامر عندما وقف على جبل المريا ، ولو انه حملق حوله مترددا ، ولو انه قبل أن يستل سكينه اكتشف الكبش مصادفة ، ولو ان الله أذن له أن يقدمه بدلا من اسحق — اذن لكان قد عاد الى البيت ، ولكان كل شىء على حاله ، فلديه ساره ، وها هو ذا قد احتفظ باسحق ، ولكن اى تغيير قد اعتراه ! سيكون انسحابه حينئذ هروبا ، وخلاصه مجرد حادث عارض ، ومكافأته خزيا ، وربما كان مستقبله ضياعا . ولعله لن يقف حينذاك شاهدا على الايمان أو على الفضل الالهى ، وانما يشهد فحسب كيف كان الخروج الى جبل المريا مريعا . ولن ينسى ابراهيم عندئذ ، ولن ينسى جبل المريا ، هذا الجبل سيذكر ، لا كما يذكر جبل أرارات التى رست عليه سفينة نوح ، وانما سيتحدث عنه الناس بوصفه موضعا للرعب ، فهاهنا كان ابراهيم فريسة للشك .

ابراهيم يا أيها الأب المبجل ! لست بحاجة فى سيرك من جبل المريا الى بيتك الى نشيد للثناء عليك قد يجلب اليك العزاء على خسارتك ، فقد ربحت كل شىء واحتفظت باسحق . الم يكن الامر كذلك ؟ ان الرب لم يأخذه منك بعد ذلك أبدا ، ولكنك جلست معه الى المائدة فى خيمتك يستخفك الفرح ، وكأنك تجلس فى العالم الآخر فى ظل الابدية المقيم . ابراهيم يا أيها الأب المبجل ! لقد جرت آلاف الاعوام فى مسيرتها منذ تلك الايام ، ومع ذلك فلست فى حاجة الى عاشق متأخر لتنتزع ذكراك من مخالب النسيان ، فكل لغات الارض تستعيد ذكراك — ومع ذلك فانك تكافىء محبك بأمجد مما يكافئه اى انسان آخر ، فأنت تجعله مباركا فى حضنك . فهنا تسحر عينيه وقلبه باعجاز فعلتك . يا أيها الأب المبجل ابراهيم ! الأب الثانى للجنس البشرى ! انت يا من كنت أول من احسن وأول من حمل الشهادة لتلك العاطفة الهائلة التى استهانت بالصراع المخيف مع ثورة العناصر وقوى الخلق من اجل الجهاد مع الله ، انت يا من كان اول من عرف تلك العاطفة العليا ، ذلك التعبير المقدس الخالص المتواضع عن الجنون الالهى (١٦) ، الذى أعجب به الوثنيون — فاغفر لمن يتحدث ممتدحا اياك ، ان لم يفعل ذلك على النحو المناسب .

كان يتحدث فى تواضع ، وكأنها مشيئة قلبه ، وكان يتحدث بايجاز ، كما يليق به أن يفعل ، ولكنه لن ينسى أبدا أنك كنت بحاجة الى مائة عام ليكون لك ولد فى شيخوختك على غير توقع ، وأن تستل السكين قبل الاحتفاظ باسحق ، ولن ينسى أبدا أنك فى مائة وثلاثين عاما لم تتقدم الى أبعد من الايمان .

مشكلات

تمهيدات مبدئية

يقول مثل قديم مأخوذ من العالم الخارجي المرئى : « لن ينال الخبز الا الرجل الكادح » . والغريب ان هذا المثل لا ينطبق بصدق فى ذلك العالم الذى ينتمى اليه بجلاء . ذلك لأن عالم الظاهر خاضع لقانون النقص ، وفيه تتكرر حينا بعد آخر تلك التجربة التى نرى فيها أن من لا يعمل يحصل ايضا على الخبز ، بل ان من ينام يحصل عليه بوفرة اكثر من الرجل الكادح . وكل ما فى عالم الظاهر مربح لصاحبه ، فهذا العالم اسير لقانون عدم الاكتراث (أو قانون استواء الطرفين) ، ومن يملك الخاتم ــ سواء أكان نور الدين أم علاء الدين[١٧] ــ تذعن له روح الخاتم . ومن يحصل على كنز العالم يملكه أيا كان سبيله الى ذلك . أما فى عالم الروح فالأمر جد مختلف . فهنا يسود النظام الالهى الأبدى ، وهنا لا تمطر السماء على العادل والظالم سواء ، وهنا لا تشرق الشمس على الطيب والشرير معا . وهنا ينطبق ذلك المثل : ان من يعمل هو وحده الذى يحصل على الخبز ، وأن من يحيا فى القلق هو وحده الذك يجد الراحة ، وأن من يهبط الى العالم السفلى هو وحده الذى ينقذ المحبوب ، وأن من يشهر السكين هو وحده الذى ينقذ اسحق . ومن لا يعمل لا يحصل على الخبز بل يبقى مخدوعا ، كما خدعت الآلهة أورفيوس بأن وضعت له شخصية هوائية مكان محبوبته ، اضلته لأنه كان مخنثا ، ولم يكن شجاعا ، لأنه كان عازفا على القيثارة ، ولم يكن رجلا . وهنا لا جدوى لأن يكون ابراهيم أباك ، أو أن يكون لك سبعة عشر جدا ــ وعلى من لا يعمل أن يرجع الى ما كتب عن عذارى اسرائيل[١٨] ، فانه لا يلد غير الريح ، أما من يكون على استعداد للعمل فانه يلد أباه .

وهناك معرفة من المحتمل أن تدخل الى عالم الروح نفس قانون الاستواء الذى يئن تحت وطاته عالم الظاهر . فهى تحسب أن التفكير فيما

هو عظيم أمر كاف — أما ما عدا ذلك من عمل فأمر لا ضرورة له . ولكنها لا تظفر حينذاك بالخبز ، بل تهلك جوعا ! على حين يتحول كل شيء الى ذهب . وما ذلك الذى تعرفه حقا ؟ لقد كانت هناك آلاف مؤلفه من الاغريق المعاصرين ، واعداد لا حصر لها من الأجيال اللاحقة الذين يعرفون كل انتصارات ميلتيادس **Miltiades** ولكن شخصا واحدا(١٩) فارق النوم جفونه بسببها . وهناك اجيال لا حصر لها تعرف قصة ابراهيم بحذافيرها ، وكلمة كاملة — ولكن كم من الناس اقضت مضاجعهم هذه القصة !

تتميز قصة ابراهيم الآن بأن لها تلك الخاصية العجيبة وهى أنها مجيدة دائما ايا كان فهم المرء لها بسيطا ، وهنا ايضا يصدق المثل ، وهو ان كل شيء يتوقف على ما اذا كان المرء مستعدا للكدح ولتحمل الاثقال. ولكنهم لن يكدحوا ، ومع ذلك يفهمون القصة . انهم يمجدون ابراهيم — ولكن كيف ؟ انهم يعبرون عن المسألة كلها فى عبارات عامة تماما فيقولون : « الشيء العظيم هو انه أحب الله بحيث كان مستعدا أن يضحى له بالأفضل » هذا صدق صراح ، ولكن « الافضل » تعبير غير محدد . وفى سياق الفكر ، عندما يهتز اللسان يتطابق اسحق و « **الأفضل** » **بكل ثقة** ، ومن يتأمل يستطيع أن يدخن غليونه جيدا خلال التأمل ، كما يستطيع المستمع ان يمد رجله مرتاحا تمام الارتياح . وفى حالة ذلك الشاب الغنى الذى التقى به المسيح فى الطريق وباع كل بضاعته وأعطى للفقير ، فاننا ينبغى ان نمجده ، كما نمجد كل شيء عظيم ، وان كنا لا نستطيع أن نفهمه دون أن نكدح — ومع ذلك كان يمكن الا يكون ابراهيم وأن أعطى أفضل ما عنده . أن ما يغفلونه فى قصة ابراهيم هو القلق (٢٠) ، فلست ملتزما بالنسبة للمال بأى التزام أخلاقى ، ولكن على الأب بالنسبة للابن أسمى التزام واقدسه . والقلق على كل شيء محفوف بالخطر بالنسبة للطبائع الانثوية ، ومن ثم فانهم يتناسونه ، ويريدون مع ذلك ان يتحدثوا عن ابراهيم . وهكذا يتكلمون — وفى أثناء خطابتهم يستخدمون دون تمييز عبارتى اسحق و« والأفضل » . ويسير كل شيء على أروع مثال . ولكن ، اذا تصادف وجود شخص بين المستمعين يعانى من الأرق — فهنا يكمن على قرب منا شديد ادعى أنواع سوء الفهم المأساوية والمهاوية العميقة للقلق .

وسيذهب الى بيته ، وسيفعل كما فعل ابراهيم ، لأن الابن هو حقا « الأفضل » .

ولو علم الخطيب بهذا الامر ، فربما اقبل نحوه ، واستجمع كل مهابته اللاهوتية وصاح : « ايها الانسان البشع ، يانفاية المجتمع ، اى شيطان استحوذ عليك فأردت ان تذبح ابنك ؟ » ويتعجب القس الذى لم يشعر بالحرارة ولم يتفصد عرقا وهو يعظ بابراهيم — يتعجب من نفسه ، ومن ذلك الغضب الماحق الذى انهال به على ذلك الرجل المسكين . لقد كان مسرورا من نفسه ، لأنه لم يتحدث قط بمثل هذه الحماسة والطلاوة . وقد قال لنفسه ولزوجته : « انا خطيب مفوه ، ولم يكن ينقصنى الا المناسبة، وعندما تحدثت عن ابراهيم يوم الأحد ، لم اشعر بأننى تأثرت أدنى تأثير » . وفى حالة ما اذا كان نفس هذا الخطيب يملك قليلا من وفرة زائدة فى العقل يمكن ان يفقدها ، فاننى اعتقد أنه سيفقدها اذا قال الخاطىء فى هدوء ووقار : « هذا فى الحقيقة هو ما وعظت به يوم الأحد » . كيف يمكن للقس ان يدخل فى راسه مثل هذه النتيجة ؟ ومع ذلك فقد كان الامر على هذا النحو ، ويكمن الخطأ فى مجرد أنه لم يكن يدرى ما يقول . آه لو كان هناك شاعر يقرر ايثار مثل هذه المواقف ، على ذلك الهراء والغناء الذى تزخر به المهازل والروايات فالملهاوى والمأساوى يتماس احدهما مع الآخر عند نقطة اللانهائية المطلقة . وربما كانت خطبة القس مضحكة فى ذاتها بما فيه الكفاية ، ولكنها اضحت مضحكة الى ما لا نهاية بتأثيرها ، ومع ذلك كانت هذه النتيجة طبيعية تماما . فلو أن الخاطىء كان يمكن أن يتحول الى الايمان بخطبة القس الصارمة — دون ابداء اى اعتراض ، ولو ان رجل الكنيسة المتحمس انقلب الى بيته مسرورا ، مبتهجا لشعوره بأنه لم يكن مؤثرا على منبر الوعظ فحسب ، ولكن فوق كل شىء بسلطانه الذى لا يقاوم بوصفه كاهنا للارواح يثير الحماسة يوم الاحد فى جموع المصلين ، ويوم الاثنين يقف كالكروبيم شاهرا سيفا من نار ازاء الرجل الذى اراد بفعلته ان يلقى الخزى على المثل القديم القائل « بأن الامور

لا تجرى فى العالم على نسق مواعظ القسس » ✻ .

فاذا لم يقتنع الخاطىء ، من جهة اخرى ، كان موقفه فاجعا حقا . فمن المحتمل أن يعدم ، او يرسل الى مستشفى المجانين ، وباختصار يمكن أن يصير تعسا فى علاقته بالواقع المزعوم — وبمعنى آخر يمكن أن افكر فى أن ابراهيم قد جعله سعيدا ، لأن من يكدح لا يهلك .

كيف يمكن للمرء أن يفسر التناقض الذى يصوره ذلك الخطيب ؟ هل السبب هو ان لابراهيم حقا مكتسبا فى أن يكون رجلا عظيما ، فاذا فعل مثله شخص آخر ، عد عمله خطيئة ، وخطيئة مشينة ؟ وفى هذه الحالة ، لا اريد أن اشارك فى مثل هذا التأبين المأفون . واذا لم يكن الايمان يجعل استعداد المرء لذبح ابنه فعلة مقدسة ، فلنصدر نفس الادانة على ابراهيم كما نصدرها على غيره . واذا كان الانسان يفتقر الى الشجاعة للمضى فى تفكيره الى أقصى مداه ، ولأن يقول ان ابراهيم كان قاتلا ، فانه من الافضل بكل تأكيد عندئذ ان نكتسب تلك الشجاعة بدلا من اضاعة الوقت فى مراثى تدبج فيمن ليسوا لها أهلا . ان التعبير الاخلاقى عما فعله ابراهيم هو أنه سوف يقتل اسحق ، أما التعبير الدينى فهو انه سوف يضحى باسحق ، ولكن فى هذا التناقض بالذات يكمن القلق الذى يؤرق الانسان ، ولن يكون ابراهيم على ما هو عليه بدون هذا القلق . أو لعله لم يفعل شيئا على الاطلاق مما يرويه الناس ، وانما فعل شيئا مختلفا تمام الاختلاف يخضع لظروف تلك الازمنة — وحينئذ دعنا ننساه ، لانه لا داعى لتذكر **ذلك** الماضى الذى لا يمكن ان يصير حاضرا . أو لعل ذلك الخطيب قد نسى شيئا يتجاوب مع النسيان الاخلاقى لتلك الحقيقة وهى أن اسحق كان ابنا ؟ ذلك أن الايمان عندما يلغى ليصبح صفرا أو لاشىء ، لاتبقى عندئذ الا تلك الواقعة المجردة

(✻) يقولون فى سالف الايام : « انه لشىء يدعو الى الرثاء ألا تجرى الامور فى العالم على نحو ما يعظ القس » — وربما جاء الوقت الذى سوف يقولون فيه ، بمعونة الفلسفة على الاخص : من حسن الحظ ان الامور لا تجرى على النحو الذى يعظ به القس ، فهناك على كل حال شىء من المعنى فى الحياة ، ولكن وعظه يخلو من كل معنى » .

وهى أن ابراهيم اراد قتل اسحق — وهى واقعة من اليسير على كل انسان أن يحاكيها ان لم يكن له ايمان ، فالايمان هو الذى يجعلها عسيرة عليه .

أما من ناحيتى ، فأنا لا افتقر الى الشجاعة التى تجعلنى افكر فى الفكرة ككل . ومن ثم ، فلم تكن هناك فكرة خشيت منها ، ولو عرضت لى مثل هذه الفكرة ، فأرجو أن يكون لدى على الاقل الاخلاص لأن اقول : « اننى أخاف من هذه الفكرة ، انها تثير شيئا آخر فى نفسى ، ومن ثم فلن افكر فيها . وان كنت اخطىء فى هذا ، فلن يتوانى العقاب عن النزول » . ولو اننى أدركت أن حكم الحقيقة هو أن ابراهيم قاتل ، فلا أعرف ان كنت أستطيع أن أسكت توقيرى الورع ازاءه . ولو اننى فكرت فى هذا على كل حال ، فمن المرجح أن التزم الصمت حياله ، لأنه ينبغى ألا يدعو المرء الآخرين الى اعتناق مثل هذه الافكار . غير أن ابراهيم لم يكن وهما خلابا ، ولم ينم فى الشهرة ، ولم تكن المسألة نزوة مننزوات القدر .

هل يستطيع المرء اذن أن يتحدث صراحة عن ابراهيم دون أن يتعرض لخطر أن يمضى فرد ما فى حيرته ليفعل مثلما فعل ابراهيم ؟ فاذا لم أجرؤ على الحديث بحرية ، فسأخلد الى الصمت التام فيما يتعلق بابراهيم ، وفوق كل شىء ، لن استخف به على النحو الذى يجعله فخا للضعفاء . لأن الانسان اذا جعل الايمان كل شىء ، أى أن يجعله ما هو فعلا — فعلى المرء وفقا لطريقتى فى التفكير — أن يتحدث عنه دون خطر فى عصرنا الذى لايسرف كثيرا فى مسألة الايمان ، وبالايمان وحده لا بالقتل يبلغ المرء الى مثل ما بلغه ابراهيم ، فاذا جعل المرء من الحب مزاجا عابرا ، وعاطفة شهوانية فى الانسان ، فان الانسان لا ينصب الا الشراك للضعفاء عندما يتحدث عن مآثر الحب . فكل انسان يمر بالعواطف العابرة بكل تأكيد ، ولكن اذا فعل الانسان نتيجة لمثل هذه العواطف الشىء الرهيب الذى قدسه الحب بوصفه مأثرة خالدة ، ضاع حينئذ كل شىء ، بما فى ذلك المأثرة ، وفاعلها الضال .

وهكذا يستطيع المرء يقينا أن يتحدث عن ابراهيم ، ذلك لأن الرجل العظيم لا يمكن أن يضار اذا فهم فى عظمته ، فهو اشبه بسيف ذى حدين : يذبح وينقذ . واذا كان من نصيبى أن أتحدث عن هذا الموضوع ، فسأبدأ

ببيان أى رجل ورع يخشى الله كان ابراهيم ، بحيث كان جديرا أن يدعى مختار الله . فعلى مثل هذا الرجل يفرض مثل ذاك الامتحان . ولكن ، اين يوجد مثل هذا الرجل ؟ وسأصف بعد ذلك كيف كان ابراهيم يحب اسحق. ولتحقيق هذه الغاية اهيب بالارواح الطيبة جميعا ان تهرع لمعونتى ، حتى يأتى حديثى متوهجا توهج الحب الابوى . وانى لآمل أن اتمكن من وصفه على نحـــو يجعل كثيرين من الآباء الذين يعيشون فى بلاد الملك واراضيه لا يتجاسرون على تأكيد أنهم يحبون أبناءهم على هذا النحو . ولكن اذا لم يكن الاب يحب كما احب ابراهيم ، فان كل فكرة للتضحية باسحق لن تكون امتحانا ، وانما مجرد غواية وضيعة (Anfechtung) . وعن هذا الموضوع يمكن أن يتحدث المرء آحادا عديدة ، ولا حاجة به الى العجلة .

وستكون النتيجةانه اذا تحدث المرء حديثا صائبا،فان بعض الاباء القلائل لن يحتاجوا الى سماع المزيد ، ولكنهم سيشعرون بالفرح اثنـــاء ذلك اذا نجحوا حقا فى حب أبنائهم كما احب ابراهيم . ولو أن هناك احـــد جازف ــ بعد أن سمع عن عظمة الفعلة التى اتاها ابراهيم وعن فظاعتها أيضا ــ جازف بالمضى قدما فى ذلك الطريق فسوف أسرج جوادى ، واركب معه . وفى كل موضع للوقوف حتى نصل الى جبل المريا سوف أبين له انه يستطيع الرجوع ، ويستطيع أن يندم على سوء الفهم الذى جعله يعتقد انه مدعو للامتحان فى هذا الصراع ، كما يستطيع ان يعترف بافتقاره الى الشجاعة، ومن ثم ينبغى على الله نفسه أن يأخذ اسحق ، اذا شاء واقتناعى أن مثل هذا الرجل لن يرفض ، بل ربما أصبح مباركا كالآخرين جميعا . ولكنه لم يكن مباركا فى حينه . هل كان من الممكن ، حتى فى تلك العصور العظيمة للايمان ، أن يصدروا هذا الحكم على مثل ذلك الرجل ؟ انا اعرف شخصا كان يمكن فى مناسبة من المناسبات أن ينقذ حياتى لو أنه(٢١) كان شهما ، قال هذا الشخص : « ارى جيدا بما فيه الكفاية أننى كنت أستطيع ان أفعل ذلك ، ولكننى لم أجرؤ . وخشيت أن تعوزنى القوة فيما بعد ، فأندم على ذلك » . ولم يكن شهما ، ولكن من ذا الذى يستطيع لهـــذا السبب الا يستمر فى حبه ؟

وبعد ان تحدثت على هذا النحو ، وحركت مشاعر المستمعين حتى احسوا على الاقل بذلك الصراع الجدلى بين الايمان وشهوته الهائلة ، لن

اسمح للمستمعين أن يقعوا فى هذا الخطأ وهو « أنه على درجة عالية من الايمان بحيث يكفينا ان نتمسح بأطراف ثوبه » . لأننى سوف أضيف : « لا ايمان لى على الاطلاق ، فأنا بطبيعتى عقل صارم ، ومثل هذا الشخص يلقى صعوبة كبيرة فى التحرك نحو الايمان — وليس معنى ذلك على كل حال اننى أعلق **أية قيمة — لذاتها أو فى ذاتها — على هذه الصعوبة التى** من خلال التغلب عليها حملت الراس الذكية الى أبعد من النقطة التى يصل اليها **أبسط الناس وأشدهم عادية على نحو أيسر من ذلك »** .

ومهما يكن من أمر ، فان للحب كهنته فى الشعراء ، وقد يسمع المرء أحيانا صوتا يعرف كيف يدافع عنه ، أما عن الايمان فلا يسمع المرء كلمة أبدا . من الذى يتحدث تكريما لهذا الشعور ؟ الفلسفة تمضى الى أبعد من ذلك ، واللاهوت يجلس متزينا عند النافذة يغازل وصله ، عارضا بيع مفاتنه للفلسفة . ومن المفترض أن فهم هيجل شىء صعب ، على حين ان فهم ابراهيم شىء تافه . وتجاوز هيجل يعد معجزة ، أما تجاوز ابراهيم فأسهل شىء على الاطلاق . وأنا — من ناحيتى — قد كرست وقتا طويلا لفهم الفلسفة الهيجيلية ، وأعتقد ايضا اننى افهمها فهما حسنا . ولكن عندما تكون هناك فقرات معينة لا أستطيع أن افهمها على الرغم من المشقة التى اخذت بها نفسى ، فاننى من الجراة بحيث أعتقد ان هيجل نفسه لم يكن واضحا تمام الوضوح . هذا كله افعله فى يسر وبطريقة طبيعية ، ولا تعانى رأسى منه شيئا . ولكننى عندما افكر فى ابراهيم من جهة أخرى ، اشعر وكأنما محيت محوا . ذلك أننى أبصر فى كل لحظة تلك المفارقـة الهائلة التى هى جوهر حياة ابراهيم ، وفى كل لحظة اشعر بالابتعاد ، ولا يستطيع فكرى رغم كل حماسته أن يتقدم شعرة واحدة الى الامام . وانى لأمسك كل عضلة من عضلاتى أن تطل عليها — وانا فى هذه اللحظة بالذات أشعر بالشلل .

ولست غريبا عما نال اعجاب الناس بوصفه شيئا عظيما نبيلا فى هذا العالم ، بل ان روحى لتشعر بالصلة به ، اذ اقتنع بكل تواضع أن البطل يكافح عن قضيتى ، وفى اللحظة التى اتأمل فيها فعلته اهتف لنفسى : « الامـر يتعلق بك عندما يشب الحريق فى بيت جارك »(٢٢) فأنا اتأمل نفسى

فى البطل ، ولكننى فى ابراهيم لا أستطيع أن اتأمل نفسى ، وعندما اصل الى الأعالى ، اهوى من حالق ، لأن ما القاه هناك هو المفارقة . ولكننى لا اعنى على كل حال ان اقول بأى معنى من المعانى ان الايمان شىء دنى ، بل على العكس ، انه أسمى الاشياء ، وتجافى الفلسفة الامانة عندما تعطى شيئا آخر بدلا منه ، وعندما تستخف بالايمان ، ولكن ينبغى عليها أن تفهم نفسها وان تعرف ما يجب أن تعطيه ، والا تستبعد شيئا ، والا تخدع الناس فى قيمه شىء ما بحسبانه لا شيئا . ولست على غير الفة بتعقيدات الحياة وأخطارها ، فأنا لا أخشاها ، بل اتصدى لها فى جسارة ، ولست على غير ألفة بالمرعب ، وذاكرتى زوجة وفية ، وخيالى (وان كنت انا نفسى لست كذلك) عذراء مجتهدة تجلس اليوم كله هادئة عاكفة على عملها ، فاذا اقبل المساء عرفت كيف تثرثر معى عن هذا العمل ثرثرة جميلة تحملنى على النظر اليه ، وان لم يكن دائما ما ترسمه وهذا ما ينبغى أن أقوله — مجرد مناظر طبيعية او ازهار أو أقاصيص رعوية . لقد رايت المرعب بعينى راسى ، ولا الوذ بالفرار منه فرقا ، ولكننى أعلم جيدا ، أننى على الرغم من تقدمى لملاقاته ، ان شجاعتى ليست هى شجاعة الايمان ، أو اى شىء يمكن ان يقارن بها . فلست قادرا على أن اتحرك حركات الايمان ، ولا استطيع ان أغمض عينى لاغوص واثقا فى اللامعقول ، هذه استحالة بالنسبة الى ... ولكننى اتباهى بذلك . اننى مقتنع بأن الله محبة(٢٤) ، ولهذه الفكرة عندى صحة غنائية بدائية .وعندما تتماثل أمامى اشعر بسعادة لا سبيل الى التعبير عنها ، وعندما تغيب ، اشتاق اليها بأعنف مما يشتاق العاشق الى معشوقته. ولكننى لا أومن ، هذه الشجاعة هى ما أفتقر اليه . وحب الله فى نظرى سواء بالمعنى المباشر أم بالمعنى العكسى ، لا يقاس بالواقع كله . ولست جبانا بالدرجة التى تجعلنى اشكو واتذمر ، ولكننى أيضا لست مخادعا بالدرجة التى تجعلنى انكر أن الايمان شىء اعلى كثيرا . واستطيع ان اتحمل العيش على طريقتى ، فأنا فرح سعيد ، ولكن فرحى ليس هو فرح الايمان ، واذا قورن به كان شقاء . وانا لا ازعج الله بأشجانى التافهة ، فالجزئى لا يزعجنى ، وانما أحلق فى حبى فحسب ، واحتفظ بشعلته العذراء صافية نقية . والايمان مقتنع بأن الله معنى بكل كبيرة وصغيرة . وانا قانع فى هذه الحياة بأننى مقترن الى اليد اليسرى ، فالايمان من التواضع بحيث لا يطلب

الا اليد اليمنى — وهذا هو التواضع الذى لا انكره ، ولن انكره ابدا .

ولكنى اتساءل هل يستطيع حقا ان يقوم كل شخص من جيلى بحركات الايمان ؟ فاذا لم اكن مخطئا اشد الخطأ ، فان هذا الجيل اميل الى الزهد بفعل مالا يعتقد اننى قادر على فعله ، اعنى الحركات الناقصة . ومن دواعى النفور بالنسبة الى ان افعل ما يفعل فى كثير من الأحيان ، أعنى ان اتحدث بطريقة لا انسانية عن فعلة عظيمة ، وكأن بضعة آلاف من السنين مسافة شاسعة ، بل الاجرى أن اتحدث عنها بنغمة انسانية ، وكأنها حدثت بالامس ، جاعلا العظمة وحدها هى المسافة فاما أن تمجد أو تدين . فاذا استدعيت (بصفتى **البطل الماساوى** ، لانى لا استطيع أن ارتفع الى أعلى من ذلك) للقيام بتلك المسيرة الملكية الى جبل المريا ، فانى أعرف جيدا ما كان يمكن أن افعله . فلن اكون جبانا بحيث اقبع فى المنزل ، لا لن أتقاعس أو أتلكأ فى الطريق ، أو انسى السكين ، حتى يكون ثمة تأجيل صغير — بل انا مقتنع تماما بأننى سأكون هناك عند دقة الساعة ، وأن يكون كل شىء فى موضعه ، بل ربما بكرت فى الذهاب ، حتى افرغ من كل شىء بأسرع ما يمكن . ولكننى أعرف أيضا ما كان يمكن أن افعله بدلا من ذلك . ففى اللحظة التى أمتطى فيها الجواد ، كنت سأقول لنفسى : « الآن ضاع كل شىء ، الله يطلب اسحق ، وانا أضحى به ، ومعه اضحى بفرحى — ومع ذلك فالله محبة ، وسيظل كذلك بالنسبة الى ، ففى العالم الزمانى لا يمكن أن اتحدث انا والله معا ، فليست بيننا لغة مشتركة » . وربما كان فى عصرنا شخص أحمق بما فيه الكفاية ، أو حسود بما فيه الكفاية لما هو عظيم ، بحيث يريد ان يجعل نفسه ويجعلنى أعتقد أننى لو فعلت ذلك حقا لكان فى مقدروى أن أقوم بفعلة اعظم من فعلة ابراهيم . ذلك ان تسليمى الفذ كان اكثر مثالية وشاعرية بكثير من ضيق افق ابراهيم . ولكن هذا هو الزيف الاعظم ، لأن تسليمى الفذ لم يكن سوى بديل عن الايمان ، كما لا استطيع ان افعل أكثر من تلك الحركة اللامتناهية لكى أجد نفسى ، واستقر فى نفسى مرة أخرى . وفى هذه الحالة لن أكون قد احببت اسحق كما احبه ابراهيم . اما أننى كنت عازما على الاتيان بتلك الحركة فقد يبرهن على شجاعتى اذا تحدثنا من وجهة النظر الانسانية ، اما اننى احببته بكل روحى ، فهو الافتراض الذى بدونه تصبح المسألة كلها جريمة ، ولكننى

(م ٤ — خوف)

مع ذلك ، لم أحب كما أحب ابراهيم ، لانني كنت فى هذه الحالة امسك (عن قتل اسحق) حتى ولو كان ذلك فى اللحظة الاخيرة ، وان لم يكن هذا السبب هو ما يجعلنى اصل الى جبل المريا فى وقت متأخر جدا . وفضلا عن ذلك فأننى بمسلكى هذا يمكن أن افسد القصة كلها ، لانني لو استعدت اسحق ، لوضعنى ذلك موضع الحيرة . فما ألفاه ابراهيم اسهل شيء كنت اجده صعبا ، اى أن اعود مرحا مع اسحق : لأن من استطاع بكل ما فى روحه من لا نهاية ، وبقوته الخاصة وعلى مسئوليته الخاصة ـ ان يؤدى هذه الحركة اللامتناهية (أعنى التسليم) ولا يستطيع أن يفعل المزيد ، هو الذى يحتفظ باسحق فى جهد جهيد .

ولكن ، ماذا فعل ابراهيم ؟ انه لم يصل مبكرا جدا او متأخرا جدا ، وانما امتطى حماره ، وسار متئدا فى طريقه . وكان يعتقد طيلة ذلك الوقت ـ كان يعتقد أن الله لن يطلب منه اسحق ، وان يكن فى الوقت نفسه مهيئا للتضحية باسحق اذا طلب منه ذلك . كان يؤمن بفضل اللامعقول ، لان الامر لا يمكن ان يكون نتيجة لحساب انسانى ، وكان اللامعقول حقا ان الله الذى طلب منه التضحية يرجع عنها فى اللحظة التالية . وارتقى الجبل ، وحتى فى اللحظة التى لمعت فيها السكين كان يعتقد ... ان الله لن يطلب اسحق . وكان فى دهشة حقا من النتيجة ، ولكنه بحركة مزدوجة بلغ موضعه الاول ، ومن ثم تلقى اسحق بفرح أعظم من المرة الاولى . فلنمض الى ابعد من ذلك . ولندع اسحق يضحى به حقا . وكان ابراهيم مؤمنا . ولكنه لم يكن ايمانه انه سيكون يوما ما مباركا فى الاخرة ، ولكن انه سيكون سعيدا فى هذا العالم . ويستطيع الله ان يمنحه اسحاق جديدا ، وأن يعيد الى الحياة من تدم قربانا . كان يؤمن بفضل اللامعقول ، ذلك أن كل حساب انسانى قد توقف منذ مدة طويلة عن اداء وظيفته ، ان الحزن يمكن أن يفسد عقل الانسان ، هذا ما نراه ، وهو أمر محزن غاية الحزن ، وان هناك ما يسمى بقوة الارادة بحيث يمكن أن تهب مقتربة كل هذا القرب من الريح لانقاذ عقل الانسان ، حتى ولو ظل غريبا الى حدما (٢٥) ، فهذا شيء نلمسه أيضا . ولست أنوى الاستخفاف بهذا كله ، ولكن أن يكون

الانسان قادرا على فقدان عقله ، وبالتالى كل التناهى الذى يتخذ العقل وسيطا ، ثم أن يكتسب بفضل اللامعقول ذلك التناهى نفسه دون زيادة أو نقصان — هذا كله يصدم روحى ، ولكنى لا أقول لهذا السبب انه شيء دنيء ، مادام هو على العكس من ذلك الاعجوبة الوحيدة . والناس يذهبون عامة الى أن ما ينتجه الايمان ليس عملا من اعمال الفن ، وانما هو شيء غليظ مبتذل ، لا يخاطب الا الطبائع الفظة ، والواقع أن هذا الكلام ابعد ما يكون عن الحقيقة ، ذلك أن جدل (ديا لكتيك) الايمان هو الطف أعمال الفن واروعها جميعا ، أنه يمتلك سموا استطيع ان اكون عنه تصورا بكل تأكيد ، ولكن دون زيادة . وأنا استطيع أن اقوم من المنصة بتلك الوثبة العظيمة التى أبلغ بها اللامتناهى ، وان يكن ظهرى أشبه بظهر راقص الحبال ، فقد أصابه التواء فى طفولتى (٢٦) ، ولهذا اجد هذا شيئا يسيرا ، مع العد : واحد ، اثنين ، ثلاثة ! واستطيع أن امشى فى الوجود على راسى ، ولكن الشيء التالى هو مالا استطيع أن أفعله ، فأنا عاجز عن أداء الشيء المعجز ، وان كنت قادرا على الاندهاش ازاءه . أجل ، لو ان ابراهيم قال فى نفسه لحظة أن هز رجله فوق ظهر حماره : « الان ، مادام اسحق قد فقد ، فقد كنت أستطيع ان أضحى به هنا فى البيت ، بدلا من أن أركب ذلك الطريق الطويل حتى المريا » — وعندئذ ، لن تكون بى حاجة الى ابراهيم ، وان كنت الان أنحنى سبع مرات أمام اسمه ، وسبعين مرة أمام فعلته . لان هذا هو ما لم يفعله بكل تأكيد ، كما أستطيع أن اثبت ذلك بسروره لتلقى اسحق ، سرورا من أعماق القلب ، وانه لم يكن بحاجة الى اى اعداد ، او اى وقت للتركيز على المتناهى وأفراحه . ولو لم تكن هذه حالة ابراهيم ، لكان من الممكن أن يحب الله ، ولكن دون أن يؤمن ، ذلك لان من يحب الله بلا ايمان يفكر فى نفسه ، ومن يحب الله بايمان يفكر فى الله .

وعلى الذروة ، وقف ابراهيم ، وفى المرحلة الاخيرة يغيب عن بصره التسليم اللامتناهى . والحق انه يمضى الى أبعد من ذلك ، ليصل الى الايمان ، فانه بالنسبة لكل تلك الاشكال الممسوخة من الايمان ،

وذلك التراخى الفاتر الذى يفكر قائلا : « ليست هناك بكل تأكيد حاجة فورية ، ولا جدوى من الاسف قبل حلول الوقت » ، او ذلك الامل الهزيل الذى يقول : « لا يعلم المرء ما يمكن أن يقع .. فقد يكون الامر ممكنا على كل حال » — هذه المسوخ من الايمان هى جزء لا يتجزأ من تعاسة الحياة ، وقد أسلمهم التسليم اللامتناهى فعلا للاحتقار اللامتناهى .

أما ابراهيم ، فأنا لا أستطيع أن أفهمه (٢٧) ، ولا أستطيع أن اتعلم منه شيئا — بمعنى من المعانى — اللهم الا الدهشة . ولو تخيل الناس أنهم بتأمل حصيلة هذه القصة قد يتركون أنفسهم للتأثر بالايمان ، فانهم يخدعون أنفسهم ، ويريدون أن ينتزعوا الله فى أول حركة للايمان ، وهى التسليم اللامتناهى . انهم بذلك يمتصون الحكمة الدنيوية من المفارقة ، وربما نجح واحد أو أكثر فى ذلك ، لان عصرنا ليس مهيئا للوقوف عند الايمان ، وعند معجزته فى تحويل الماء الى نبيذ ، وانما يمضى الى أبعد من ذلك ، فيقوم بتحويل النبيذ الى ماء .

الم يكن من الافضل الوقوف عند الايمان ، وأليس من دواعى النفور أن يريد كل انسان أن يمضى الى أبعد من ذلك ؟ وعندما لا يريدون فى عصرنا (كما يعلنون ذلك بطرق شتى) أن يقفوا عند الحب ، فالى أين يذهبون اذن ؟ الى الحكمة الارضية ، الى الحسابات التافهة ، الى الخسة والوضاعة ، الى كل ما يمكن أن يجعل الاصل الالهى للانسان أمرا مشكوكا فيه . الم يكن من الافضل ان يقفوا بلا حراك عند الايمان ، وان من يقف ينبغى عليه أن يحذر من السقوط ؟ ذلك لان حركات الايمان جميعا يجب أن تتم بفضل اللامعقول ، وان يكن مما ينبغى أن نلاحظه ان المرء لا يفقد المتناهى بهذه الطريقة ، ولكنه يكسب كل بوصة فيه . وأستطيع — من ناحيتى — أن أصف حركات الايمان ، ولكنى لا أستطيع ان أقوم بها . وعندما يتعلم المرء أن يؤدى حركات السباحة ، فانه يستطيع أن يترك نفسه معلقا بحزام السباحة من السقف ليقوم بتلك الحركات (وصف هذه الحركات ، كما نتحدث عن

وصف دائرة) ، ولكنه لا يعوم فى هذه الحالة . وعلى هذا النحو أستطيع أن أصف حركات الايمان ، ولكن عندما يلقى بى الماء ، فأسبح ، هذا حق (فأنا لا انتسب الى الخائضين على الشاطىء) ، ولكننى سأقوم بحركات أخرى ، سأقوم بحركات اللامتناهى ، على حين يؤدى الايمان عكس ذلك : فبعد أن يقوم بحركات اللامتناهى ، فانه يؤدى حركات التناهى . سلاما لذلك الذى يستطيع أن يقوم بتلك الحركات ، فانه يؤدى شيئا رائعا ، ولن أسأم أبدا من الاعجاب به ، سواء أكان ابراهيم أم عبدا فى بيته ، سواء أكان أستاذ فلسفة ، أم خادمة ، فأنا لا انظر الا الى الحركات . ولكننى انظر اليها ، ولا أدع للخداع نفسى ، سواء بواسطتى أو بواسطة أى شخص آخر . ان فرسان التسليم اللامتناهى يمكن التعرف عليهم فى يسر : مشيتهم منسابة واثقة فى نفسها . أما أولئك الذين يحملون جوهرة الايمان ، فانهم عرضة لتضليل الاخرين ، لأن مظهرهم الخارجى يشبه شبها كبيرا ما يزدريه كل من التسليم اللامتناهى والايمان ازدراء عميقا ... أعنى مظهر التنطع .

واعترف بصراحة أننى لم أعثر فى ممارستى للحياة العملية على مثل موثوق به لفارس الايمان ، وان كنت لا انكر ان كل رجل ثان يمكن أن يكون هذا المثل . وقد حاولت على كل حال — أعواما عديدة أن اتعقب هذا المثل ، ولكن دون طائل . والناس يطوفون عادة بالعالم ليشاهدوا الانهار والجبال ، والنجوم الجديدة ، والطيور النادرة ، والاسماك الغريبة ، والسلالات البشرية المضحكة — وهم يستسلمون لذلك الذهول الحيوانى الذى يفغر فاه ازاء الوجود ، ويعتقدون أنهم قد شاهدوا شيئا . هذا شيء لا يعنينى . ولكننى لو علمت أين يوجد فارس الايمان ، لشرعت فى الحج اليه سيرا على الاقدام ، لان هذه الاعجوبة تثير اهتمامى اثارة مطلقة . ولن أدعه يفلت منى لحظة واحدة ، وسأراقبه كل دقيقة لارى كيف وصل الى القيام بحركات الايمان ، وسأعتبر نفسى آمنا طيلة الحياة ، وسأقسم وقتى بين مراقبته وممارسة التدريبات بنفسى ، وهكذا أنفق وقتى كله فى الاعجاب به . وكما قلت آنفا : اننى لم أعثر على مثل هذا الشخص ، ولكننى أستطيع تصوره ..

هاهو ذا . تم التعارف ، وتقدمت اليه . وفى اللحظة التى وقعت فيهـــا عيناى عليه ، دفعته فورا بعيدا عنى ، وقفزت انا نفسى متراجعـــا ، وضربت كفا بكف ، وهتفت بصوت أدنى الى الارتفاع ، « سبحانك ربى ، هل هذا هو الانسان ؟ أحقا هو هذا ؟ ولماذا يبدو كجامع الضرائب ! » ولكنه ، هو نفسه ذلك الرجل على كل حال . وادنو منه ، مـــراقبا أدنى حركاته لارى ما اذا كانت هناك رسالة صغيرة غير مرئية تلغرافية متنافرة الاجزاء من اللامتناهى ... لمحة ، نظرة ، اشارة ، نغمة حزن ، ابتسامة ، تنم عن اللامتناهى فى تنافره مع المتناهى . ابدا ! وافحص هيئته من قمة راسه الى أخمص قدميه لارى ان كان هناك صدع يطل من خلاله اللامتناهى . ابدا ! انه متماسك من أوله الى آخره . ومشيته ؟ انها قوية ، تنتمى تماما للتناهى ، فما من رجل أنيق الملبس من سكان المدينة يسير الى فريسبرج بعد ظهر يوم احد يدب على الارض فى ثقة كما يدب عليها ذلك الفارس ، انه ينتمى تماما الى هذه الدنيا ، لا يقل عن أى شخص غرير . ولا يكتشف المرء فيه شيئا مـــن تلك الطبيعـــة المترفعة السامية التى يتعرف بها المرء علـــى فارس اللامتناهى . انه يستمتع بكل شىء ، وعندما يراه المرء مشاركا فى متعة بعينهـــا ، فانه يفعل ذلك بالاصرار الذى هـــو سمة الرجـــل الدنيوى الذى تستغرق روحه مثل تلك الامور . وهو مواظب على عمله ، بحيث أن من ينظـــر اليه قد يفترض أنه كاتب أرشيف قد ضاعت روحه فى نظام معقد للمحفوظات ، فهو شديد التدقيق . وهو يأخذ عطلته يوم الاحد ، فيذهب فيـــه الى الكنيســة . ولا تشى به أية نظرة سماوية أو أية علامة أخرى من علامات المطلق ، فاذا لم يعرفه المرء ، لكان من المحال أن يميزه عن بقية الحشـد ، لان غناءه الصحى القوى للتراتيل يثبت أن له صدرا سليما . وبعـــد الظهر ، يسير الى الغابة ، فتراه مستمتعا بكل ما يراه ، فى الحشـــود البشرية المندفعة ، فى الحافلات الجديدة (٢٨) ، فى مياه « الصوت » Sound وعندما يلتقى به المرء فى طريق الشاطىء ، قد يظنه صـــاحب حانوت يأخذ حظه من متع الحياة ، هذه هى الطريقة التى يروح بها عن نفسه ، لانه ليس شـــاعرا ، وقد حاولت أن أفتش فيه عبثا عـــن ذلك المطلق الشاعرى . اذا اقترب المساء ، سار الى بيته ، لا يشوب مشيته اى

ارهاق كساعى البريد . وفى طريقه يفكر فى طبق خاص من الطعام الدافىء اعدته له زوجته : رأس عجل مشوية مثلا متبلة بالخضروات ، فاذا التقى برجل مماثل له فى عقليته ، واصل معه الحديث حتى « البوابة الشرقية » حول هذا الطبق ، بشهوة تليق برئيس الخدم فى أحد الفنادق . وواقع الامر أن رصيده لا يحمل أربعة بنسات ، ولكنه يعتقد اعتقادا راسخا ان زوجته أعدت له ذلك الطبق الفاخر . فاذا كانت قد اعدته ، فسيكون حينذاك منظرا محسودا من علية القوم ، وملهما للرجل البسيط ، أن تراه وهو يتناول طعامه .. لان شهيته أعظم من شهية ايساو Esau . ولكن زوجته لم تعد له شيئا من هذا — والغريب ، أن الامر نسيان عنده . وفى طريقه يمر بموقع بناء ، ويلتقى بشخص آخر ، فيتجاذبان لحظة أطراف الحديث .. وفى مثل طرفة عين يقيم بناء جديدا ، ففى متناول يده كل القوى الضرورية لمثل هذا البناء . ويتركه الرجل الغريب معتقدا انه راسمالى بكل تأكيد ، على حين يفكر فارسى العجيب قائلا : « اجل ، اذا كان المال هو ما نحتاج اليه ، فأستطيع أن أقول اننى قادر على الحصول عليه » . ويتكىء على حافة نافذة مفتوحة ، ويلقى ببصره الى الميدان الذى يقطن فيه ، ان كل ما يجرى تحت ناظريه يثير اهتمامه : ذلك الفأر الذى يتسلل تحت الافريز ، أولئك الاطفال الذين يمرحون ، وهو يهتم بهذا كله على ذلك النحو من اللامبالاة الذى تتصف به فتاة فى السادسة عشرة . ومع هذا ، فهو ليس عبقريا ، وقد حاولت دون جدوى أن أجد فيه سمات التفرد (أو اللاقياسية) ، الذى تتسم به العبقرية . وفى المساء يدخن غليونه ، فاذا نظرت اليه ، أمكنك أن تقسم بأنه البقال الذى يحب حياة الخمول فى غبش المساء . فهو يحيا خالى البال ، وكأنه شخص متبطل ، ومع ذلك ، فانه يشترى الوقت المقبول بأغلى الاسعار ، وذلك لانه لا يفعل اتفه الاشياء الا بفضل اللامعقول . ومع ذلك ، ومع ذلك — وهذا شىء يمكن أن يثير فى فعلا ، حسدا ان لم يكن ثمة سبب آخر — فان هذا الرجل قام ، ويقوم فى كل لحظة — بحركات اللامتناهى . فبالتسليم اللامتناهى ، افرغ كأس الحياة من حزنها العميق ، وعرف سعادة اللامتناهى ، وهو يحس بالالم الذى

يتخلى عن العزوف عن كل شيء ، وباعز ما يملك فى هذه الدنيا ، ومع ذلك فان طعم المتناهى لايختلف فى لذته اختلافه بالنسبة لشخص لم يعرف ما هو اسمى أبدا ، ذلك أن استمراره فى المتناهى لا يحمل اى اثر من الروح المروعة المخيفة التى تتولد عن عملية التدريب ، ومع ذلك ، فان لديه ذلك الاحساس بالامان فى استمتاعه بها ، وكأن الحياة المتناهية هى أشد الاشياء يقينا . ومع ذلك ، ومع ذلك ، فان ذلك الشكل الدنيوى الذى يتبدى به هو خلق جديد بفضل اللامعقول . لقد زهد فى كل شيء زهدا لامتناهيا ، ثم عاد ، فقبض على كل شيء بفضل اللامعقول . وهو يقوم دون انقطاع بحركات اللامتناهى ، وهو يفعل ذلك بدقة وثقة بحيث ينتزع المتناهى منه باستمرار ، ولا توجد لحظة واحدة يكون لديه فيها اية فكرة عن شيء آخر . ومن المفروض أن أشق مهمة بالنسبة للراقص أن يثب الى وضع محدد بحيث لا توجد لحظة واحدة يتمسك بها بعد اتخاذ ذلك الووضع ، ولكن بتلك الوثبة نفسها يقف ثابتا فى ذلك الوضع . وربما لم يكن فى امكان أى راقص أن يفعل ذلك — وهذا ما يفعله الفارس . فمعظم الناس يحيون مكتئبين فى أفراح الحياة وأتراحها ، انهم أولئك الذين يجلسون الى جوار الجدار ، ولا يشاركون فى الرقص . أما فرسان اللامتناهى فراقصون يملكون القدرة على الارتفاع. وهم يؤدون الحركات صاعدين ، ويهبطون الى الارض مرة اخرى . وهذا أيضا ليس نوعا دنيئا من تزجية الفراغ ، وليس فى مشاهدته شيء من الخزى . ولكنهم فى كل مرة يهبطون فيها لا يستطيعون أن يتخذوا الوضع على الفور ، وانما يترنحون لحظة ، ويكشف هذا الترنح — على كل حال — عن انهم غرباء فى هذه الدنيا . ويزداد هذا وضوحا أو يقل بالقياس الى الفن الذى يملكونه ، ولكن حتى أكثر الفرسان اتقانا لفنه لا يستطيع اخفاء هذا الترنح . ولاحاجة بالمرء أن ينظر اليهم مرتفعين فى السماء وانما فى اللحظة التى يلمسون فيها الارض — فى هذه اللحظة يتعرف المرء عليهم . ولكن ، ان يكون المرء قادرا على الهبوط بحيث يبدو انه واقف سائر فى آن معا ، وعلى تحويل وثبة الحياة الى مشية ، للتعبير عما هو جليل فى السائر على قدميه — هذا هو ما يستطيع فارس الايمان وحده أن يفعله — وهذه هى الاعجوبة الوحيدة والفريدة .

ولكن ، لما كانت الاعجوبة تميل الى أن تـكون مضللة ، فسأصف الحركات فى مثل محـدد يمكن ان يصور علاقتها بالواقع ، فعلى هذا يتوقف كل شىء . راع شاب يقـع فى غرام اميرة(٢٩) ، ويتألف مضمون حياته كله فى هذا الحب ، ولكن الموقف يجعل من المحال على هذا الحب ان يتحقق ، محال أن يترجم من عالم المثال الى عالم الواقع(*) . ومن الطبيعى ان يصيح عبيد التفاهه ، أولئك الضفادع القابعون فى مستنقع الحياة : « حماقة مثل هذا الحب ، فأرملة صانع الجعة الثرية تليق به تماما زوجة مناسبة محترمة » . دعهم يرسلون نقيقهم فى المستنقع دون ان يزعجهم أحـد . فليس الامر على هذا النحو بالنسبة الى فارس التسليم اللامتناهى . فهو لا يتخلى عن حبه ، نظير امجاد العالم . وهو ليس من الحمق فى شىء . فهو يتأكد أولا من أن هذا هو مضمون حياته حقا، وروحه من الصحة والكبرياء بحيث لا يبدد اتفه الاشياء على شىء مخدر . وهو ليس جبانا ، ولا يخشى أن يترك الحب يتسلل الى اشد أفكاره استسرارا واختفاء ، وان يدعه يلتف جدائل لا حصر لها مع كل ثنية من ثنايا شعوره — فاذا أصبح الحب شقيا ، فلن يكون قادرا ابدا على انتزاع نفسه بعيدا عنه . بل انه ليشعر بوجد سعيد حينما يترك الحب يوخزه فى كل عصب من أعصابه ، ومع ذلك فان روحه مطمئنة اطمئنان الذى افرغ قنينة السم ، وأخذ يشعر بالرحيق يسرى ممتزجا بكل قطرة من دمه — لأن هذه اللحظة هى الحياة والموت . وهكذا ، عندما امتص فى نفسه الحب كله، واستغرقت نفسه فيه ، فانـه لا يفتقر الى الشجاعة ليختبر كل شىء ، وليغامر بكل شىء، وهو يستعرض موقف حياته ، وهو يستجمع الافكار الخاطفة التى تطيع كل ما يأمر به كأنها اليمام المستأنس ، وهو يلوح بعصاه عليها ، فتنطلق فى كل اتجاه . ولكن،

(*) من الطبيعى أن اى مثل آخر يجد فيه أن واقع الوجود الفعلى بأكمله مركز بالنسبة اليه ، أو قد يكون — عندما يراه غير قابل للتحقيق — مناسبة لحركة التسليم . ومهما يكن من أمر فقد اخترت تجربة حب لكى أجعل الحركة مرئية ، لأن هذا الموضوع اسهل للفهم بلا شك ، ومن ثم ، فانه يعفينى من ضرورة ابداء ملاحظات اولية قد لا تكون بمعنى أعمق الا مثار عدد قليل من القراء .

عندما ترجع جميعا ، بوصفها رسل الحزن ، وتعلن له أن الأمـر محال ، تهدأ نفسه ، فيصرفها ، ويبقى وحيدا ، ثم يؤدى حركات الايمان . فاذا كان لما اقوله أية دلالة ، فان من الضرورى أن تأتى الحركة على نحـو سوى(*) .

وهكذا ، سيكون الشىء الاول هو أن يتمكن الفارس من تركيز مضمون الحياة كله ، ودلالة الواقع كلها فى رغبة واحدة . فاذا افتقر الانسان الى هذا التركيز والى هذه الشدة ، واذا تبعثرت روحه منذ البداية فى المتعدد ، فلن يصل ابدا الى النقطة التى يستطيع عندها أن يقوم بحركة الايمـان ، وسيتعامل فى الحيـاة بحصافة كما يتعامل الراسماليون الذين يستثمرون أموالهم فى كل أنواع التأمينات حتى يربحون فى الواحد ما يخسرونه فى الآخر — وباختصار — انه ليس فارسـا . وفى المحل الثانى ، سيكون للفارس

(*) العاطفة ضرورية لتحقيق هذه الغاية . وكل حركة من حركات اللامتناهى تتم بالعاطفة ، أما التفكير فلا يمكن أن يأتى بحركة واحدة . وهذه هى الوثبة المستمرة فى الوجود التى تفسر الحركة ، على حين أن التأمل ما هو الا وهم يفترض هيجل انه يفسر كل شىء ، وهذا — فى الوقت نفسه — هو الشىء الوحيد الذى يحاول تفسيره . وحتى اذا أردنا أن نقـوم بالتمييز السقراطى الشهير بين ما يفهمه المرء وما لا يفهمه ، نحتاج الى العاطفة ، وبالطبع تزداد حاجتنا اليها اذا أردنا أن نقوم بالحركة السقراطية المميزة أعنى حركة الجهل . وعصرنا لايفتقر — على كل حال — الى التأمل،بل الى العاطفة ، ومن ثم ، فان عصرنا — بمعنى ما — شديد التمسك بالحياة بحيث لا يريد الموت ، لأن الموت من أبرز الوثبات ، وهناك بيت من الشعر لشاعر اجتذبنى دائما اجتذابا شديدا ، لأنه بعد أن عبر فى جمال وبساطة فى الابيات الخمسة أو الستة السابقة — عن رغبته فيما تحتويه الحيـاة من أشياء جميلة يختتم بهذا البيت(٢١) **Ein seliger Sprung in die Fwigkêit** وثبة هنيئة الى الابدية .

القدرة على تركيز كل حصيلة عمليات الفكر فى فعل واحد للشعور ، فاذا افتقر الى هذه الشدة وكانت روحه مبعثرة منذ البداية فى المتعدد ، فلن يتاح له الوقت أبدا للقيام بحركات الايمان ، وسيكون منغمسا دائما وابدا فى مهام الحياة ، ولن يدخل الابدية أبدا ، حتى فى اللحظة التى يكون فيها اقرب ما يكون اليها ، سيكتشف فجأة انه نسى شيئا ينبغى أن يعود على أعقابه من أجله . وسيعتقد أن دخول الابدية أمر ممكن فى اللحظة التالية ، وهذا حق تماما ، ولكن الانسان ــ بمثل هذه التقديرات ــ لا يصل قط الى نقطة القيام بالحركات ، وانما يغوص المرء بمعونتها فى المستنقع الى اعمق فأعمق .

وهكذا يقوم الفارس بالحركة ــ ولكن اية حركة ، اتراه ينسى المسألة كلها ؟ (لأن فى هذه أيضا ثمة ضرب من التركيز) كلا ! لأن الفارس لا يناقض نفسه ، ومن التناقض أن ينسى المرء مضمون حياته كلها ، ويبقى ــ مع ذلك، هو نفسه . اما أن يصبح شخصا آخر ، فأمر لا يشعر بأى ميل اليه ، كما لا يعتبر ذلك عظمة بأى حال من الاحوال . والطبائع الخسيسة وحدها هى التى تنسى نفسها ، وتصير شيئا جديدا . فالفراشة تنسى تماما أنها كانت يرقة ، وربما نسيت تماما انها كانت فراشة حين تصبح سمكة . أما الطبائع العميقة فلا تنسى نفسها ابدا ، ولا يمكن أن تصبح شيئا آخر غير ما كانت عليه . وهكذا يتذكر الفارس كل شىء . غير أن هذا التذكر هو الألم بعينه ، ولكنه بالتسليم اللامتناهى متصالح مع الوجود . لقد أصبح حبه للاميرة بالنسبة اليه تعبيرا عن حب أبدى ، واتخذ طابعا دينيا ، وتسامى الى حب « الوجود الابدى » ، الذى ينكر عليه بكل تأكيد اشباع هذا الحب ، ولكنه يصالحه مرة أخرى بواسطة الشعور الابدى بصحته على صورة الابدية التى لا يستطيع أى واقع انتزاعها منه . ويهذى الحمقى والشباب بأن بكل شىء ممكن للانسان . وهذا خطأ جسيم على كل حال . فمن وجهة النظر الروحية ، كل شىء ممكن ، اما فى عالم المتناهى فثمة الكثير مما لا يدخل فى عداد الممكن . وهذا المجال يجعله الفارس ممكنا ــ على كل حال ــ بالتعبير عنه تعبيرا روحيا ، ولكنه يعبر عنه ذلك التعبير الروحى بالتنازل عن المطالبة

به . والرغبة التى يمكن أن تحمله الى الواقع ، ولكنها تحطمت على صخرة المحال ، قد انطوت الآن الى الداخل ، ولكنها لم تضع مع ذلك ، ولم يطوها النسيان . ففى لحظة تكون العاطفة الغامضة للرغبة التى تعتمل فى داخله هى التى توقظ الذكريات ، ولحظة أخرى يقوم بايقاظها هو نفسه ، فهو أشد كبرياء من أن يكون مضمون حياته كله شيئا تحمله اللحظة العابرة . وانما يحتفظ بحبه ، وكلما مضى معه كبر فى الاعوام وازداد بهاء . وهو من ناحية أخرى ، ليس فى حاجة الى تدخل المتناهى ليزداد حبه نموا . فمنذ اللحظة التى أقدم فيها على الحركة ، ضاعت الاميرة بالنسبة اليه . فلم يعد بحاجة الى تلك الدغدغة العاشقة فى االأعصاب عند مرأى الحبيبة ... الخ ، كما أنه ليس بحاجة الى أن يستأذنها باستمرار للرحيل ، بالمعنى المتناهى ، لأنه يتذكرها (أو يسترجعها) بمعنى أبدى(٣٢) ، وهو يعلم جيدا أن المحبين الذين يميلون الى « رؤيتها » ولو مرة أخرى ، ليقولوا لها وداعا للمرة الأخيرة ، مصيبون فى هذا الميل ، وانهم على حق حين يظنون أنها المرة الاخيرة ، لانهم ينسون أحدهما الآخر بأسرع وقت . وقد فهم أيضا ذلك السر العميق وهو أن المرء عندما يحب شخصا آخر ، فعليه أن يكتفى بذاته . فلا يعنيه فى قليل أو كثير ما تفعله الاميرة ، وهذا بالضبط دليل على أنه قد اتخذ الخطوة بصورة لا متناهية . وهنا قد تتاح للمرء الفرصة لأن يرى ان كانت الخطوة التى يتخذها شخص معين صادقة أم زائفة . فهنا من اعتقد أيضا أنه اتخذ تلك الخطوة ، ولكن عجبا ، لقد انقضى الزمن وفعلت الاميرة شيئا آخر ، لقد تزوجت(٣٣) — وليكن أميرا ، وهنا فقدت روحه مرونة التسليم ، ومن ثم يعرف أنه لم يتخذ تلك الخطوة بحق ، لأن ذلك الذى اقدم على فعل التسليم بصورة لا متناهية يكتفى بنفسه ، أما الفارس فلا يلغى تسليمه ، ويحتفظ بحبه فتيا كما كان فى لحظته الاولى ، ولا يتركه يفلت منه ابدا ، لأنه قد أقدم على الخطوة اقداما لا متناهيا . وما تفعله الاميرة ، لا يمكن أن يزعجه ، والطبائع الوضيعة وحدها هى التى تستمد من الآخرين قانون أفعالها ، وتجد مقدمات أفعالها خارج أنفسها . فاذا كانت الاميرة من ناحية أخرى بهذه العقلية، كانت النتيجة الجميلة واضحة ، فسوف تنضم الى طريقة الفروسية هذه،

التى لا يقبل فيها الاعضـــاء بالاقتراع ، وانما لكل انســـان أن يكون عضوا فيها اذا كانت لديه الشجاعة لتقديم نفسه ، طريقة الفروسية هذه التى تثبت خلودهـا بأنها لا تضع اى تمييز ، بين الرجل والمرأة . وسيحتفظ الاثنان بحبهما فتيا سليما ، وستتمكن هى أيضا من الانتصار على آلامها ، وان لم ترقد — كما تقول الاغنية الشعبية (البالاد) « كل ليلة الى جوار سيدها » . وهذان العاشقان سيظل أحدهما متفقا مع الآخـر الى الأبـد ، فى انسجام أزلى(٢٤)، أحسن توقيته harmonia praestabilita ، بحيث لو حانت اللحظـة — تلك اللحظة التى لا تعنيهما بصورة متناهية (لانهما سيكونان حينئذ عجوزين)، لو حانت هذه اللحظة التى تبدى استعدادها لاعطاء الحب تعبيره فى الزمان ، فسيكون فى مقدورهما البدء تمامـا عند النقطة التى كان من الممكن ان يتحـدا عندها أصـلا . ومن يفهم ذلك ســواء أكان رجـلا أم امرأة — لا يمكن ان يخدع أبـدا ، لأن الطبائع الخسيسـة هى وحـدها التى تتخيل أنها خدعت . والفتـاة التى لا تكون على مثـل هذه الكبرياء لا تعـرف كيف تحب حقا ، ولكن اذا كانت على مثـل هـذه الكبرياء ، فان مكـر العالم كله ودهـاءه لا يمكن أن يخـدعاها .

وفى التسليم اللامتناهى يكون السلام والراحـة ، وكل من يعـزم عليه ، وكل من لميحط من شـأن نفسه باحتقـارها (وهو أمر أفظع مـن ان يكون المرء متكبرا) يمكن أن يدرب نفسه على اتخـاذ هذه الحـركة التى بما تنطوى عليه من الم تصالح الانسان مع الوجـود . والتسليم اللامتناهى هو ذلك القميص الذى نقـرأ عنه تلك الخـرافة القديمـة(٢٥) . فالخيط ينسج تحت الدموع ، والثـوب يبيض بالدموع ، والقميص يحـاك بالدموع، ولكنه يصبح بعـد هذا كله اقـوى حماية من الحـديد والصلب . والنقص الذى نلمسه فى تلك الخـرافة أن طرفا ثالثـا يمكن أن يصنع هـذا القميص. والسر فى الحياة هـو أن كل شخص ينبغى أن يصنع هذا القميص لنفسـه، والشىء المدهش هو أن الرجـل يستطيع أن يحيكه تماما كما تحيكه المرأة. وفى التسليم النهائى يكون السلام والراحـة والاستقرار فى الحـزن — هذا اذا نمت حركة على نحو سوى . ولن يكون من العسير على — على كل

حال — أن أكتب كتابا بأكمله ان أردت أن افحص الالوان المتعددة من سوء الفهم ، والمواقف الشاذة ، والحركات المضللة التى صادفتها فى حياتى العملية القصيرة . فالناس لا يؤمنون الا قليلا بالروح ، ومع ذلك فان الاقدام على هذه الحركة يعتمد على الروح ، كما تعتمد على ما اذا كانت هذه او لم تكن نتيجة ذات جانب واحد لحكم الضرورة **dira necessitas** ، فان كان ذلك حاضرا ، زاد الشك دائما فيما اذا كانت الحركة سوية . فاذا كان المرء يعنى بهذا أن تكون الضرورة الباردة العقيم حاضرة بالضرورة ، فيستطيع المرء أن يؤكد حينئذ أن ما من احد يمكنه أن يختبر الموت قبل أن يموت فعلا ، وهذا ما يبدو لى نزعة مادية مسرفة . ومهما يكن من أمر ، فان الناس فى زماننا لا يعبأون كثيرا باتخاذ الحركات الخالصة . ولو أن شخصا كان بسبيله الى تعلم الرقص قال : « مضت قرون الآن أخذ فيها جيل بعد جيل يتعلم اتخاذ المواقف ، وقد حان الوقتلاستخلص من هذا شيئا من الامتياز ، فأبدأ مباشرة بالرقصات الفرنسية » — فسيسخر منه الناس ، اما فى عالم الروح فانهم يجدون هذا امرا مقبولا تماما . فما هى التربية ؟ افترض أن التربية هى المقرر الذى ينبغى على المرء أن يدرسه لكى يدرك نفسه ، ومن لم يدرس هذا المقرر لن ينفعه الا قليلا أنه ولد فى أكثر العصور استنارة .

والتسليم اللامتناهى هو المرحلة الاخيرة السابقة على الايمان ، بحيث أن الشخص الذى لم يقم بهذه الحركات لا يبلغ الايمان ، لأنه بالتسليم اللامتناهى وحده أصبح واضحا أمام نفسى فيما يتعلق بصحتى **Validity** الابدية ، وهنا فحسب يمكن أن نكون بصدد الامساك بالوجود بفضل الايمان .

والآن فلندع فارس الايمان يظهر فى الدور الذى وضعناه آنفا . انه يقوم بنفس الحركات التى يقوم بها الفارس الآخر تماما ، فيتخلى بصورة لا متناهية عن المطالبة بالحب الذى هو مضمون حياته ، وهو يتصالح فىالألم ، ولكن عندئذ تحدث الاعجوبة ، اذ يقوم بحركة اخرى أروع من كل الحركات ، لأنه يقول : « أعتقد مع ذلك أننى سأنالها بفضل اللامعقول ،

وبفضل هذه الحقيقة وهى أن الاشياء جميعا ممكنة عند الله »(٣٦) . فليس اللامعقول عاملا من العوامل التى يمكن تمييزها فى نطاق الفهم العادى : انه فى هوية مع اللامحتمل ، واللامتوقع ، وما لا يمكن التنبؤ به . وفى اللحظة التى قام فيها الفارس بفعل التسليم (٣٧) ، كان مقتنعا بالمحال ، اذا تحدثنا من وجهة نظر انسانية ، وكانت هذه هى النتيجة التى وصل اليها بالعقل، وكانت لديه طاقة كافية للتفكير فيها . ولكنها كانت من ناحية أخرى ممكنة ، بمعنى لا متناه ، أعنى بالزهد فيها . غير أن هذا النوع من الامتلاك هو فى الوقت نفسه نوع من التخلى ، ومع ذلك لا يوجد شىء من اللامعقول فى هذا الموقف بالنسبة للعقل ، لأن العقل يستمر فى مجال الصواب حين يؤكد أنه فى عالم التناهى الذى يسيطر عليه ، يكون هذا الموقف — ويظل — استحالة . وهذا واضح كل الوضوح لفارس الايمان ، ومن ثم ، فان الشىء الوحيد الذى يمكن أن ينقذه هو اللامعقول ، وهذا يمسكه بواسطة الايمان . اذن ، فهو يتعرف على الاستحالة ، وفى هذه اللحظة عينها يؤمن باللامعقول . لأنه بدون التعرف على الاستحالة بكل ما فى روحه من عواطف ، وبكل قلبه ، فانه قد يرغب فى تخيل أنه يملك الايمان، فيخدع نفسه ، ولا يكون لشهادته أى وزن ، مادام لم يصل حتى الى التسليم اللامتناهى .

ليس الايمان اذن عاطفة جمالية ، بل شيئا أعلى من هذا كثيرا ؛ لأنه يتخذ من التسليم شرطه الاولى ، وهو ليس غريزة مباشرة من غرائز القلب ، ولكنه مفارقة الحياة والوجود . وهكذا حين تظل فتاة صغيرة مقتنعة رغم كل الصعاب أن رغبتها سوف تتحقق يقينا ، فان هذا الاقتناع ليس ضمانا للايمان لو أنها نشئت على أيدى والدين مسيحيين ، أو ربما ظلت عاما بأكمله تلقن تعاليم الدين على يد قسيس . انها مقتنعه بكل سذاجتها وبراءتها الطفولية ، وهذا الاقتناع يسم طبيعتها بالنبل ، ويضفى عليها عظمة خارقة للطبيعة ، ولهذا تستطيع وكانها صانعة للمعجزات — أن تستحضر قوى الوجود المتناهية ، وأن تجعل الصخور نفسها تبكى ، وان كان من الممكن — من ناحية اخرى — أن تهرع فى فورة

اضطرابها الى هيرود ، أو الى بلاطس ، وأن تحرك العالم كله بدموعها . فأقتناعها شيء محبب ، ويستطيع المرء أن يتعلم منها الكثير . غير أن شيئا واحدا لا يمكن تعلمه منها ، فالمرء لا يتعلم الحركات ، ذلك أن اقتناعها لا يجرؤ أثناء عذاب التسليم على مواجهة الاستحالة .

وهكذا أستطيع أن ادرك أن الامر يتطلب القوة والطاقة وحرية الروح لكى نقوم بحركة التسليم اللامتناهية ، كما أستطيع أن أدرك ايضا أنه شيء قابل للفعل . بيد أن الشيء التالى يثير دهشتى ، ويجعل رأسى فى بحران ، فبعد أن يقوم المرء بحركة التسليم ، فاذا به يحصل على كل شيء بفضل اللامعقول ، وتتحقق مشيئته كاملة غير منقوصة — هذا ما يتجاوز القوة البشرية ، انه أعجوبة ، ولكننى أستطيع أن اتصور هذا : أن اقتناع الفتاة مجرد نزق بالقياس الى الصلابة التى يتبدى بها الايمان رغم ادراكها للاستحالة . وكلما حاولت الاقدام على هذه الحركة ، يصيبنى الدوار ، وفى اللحظة التى يستولى فيها على الاعجاب بها بصورة مطلقة يعتصر روحى قلق هائل — فما معنى امتحان الله ؟ ومع ذلك فان هذه حركة هى حركة لايمان ، وستبقى كذلك ، حتى وان جعلتنا الفلسفة — بغرض الخلط بين المفاهيم — نؤمن بأنها تملك الايمان ، وحتى لو باع اللاهوت الايمان بثمن بخس .

فعل التسليم لا يتطلب الايمان ، لأن ما اكسبه بالتسليم هو شعورى الابدى ، وهذا الشعور حركة فلسفية خالصة اتجاسر واقول اننى قادر على اتيانها اذا طلبت منى ، كما أستطيع أن ادرب نفسى على اتيانها ، فأينما استطاع اى تناه أن يسيطر على ، سأجاهد نفسى حتى استطيع القيام بالحركة ، لأن شعورى الابدى هو محبتى لله ، وهذا بالنسبة الى اعلى من كل شيء . فعل التسليم لا يقتضى الايمان ، ولكنه مطلوب فى حالة اكتساب أقل شيء يزيد على شعورى الابدى ، وهذا هو المفارق **Paradoxical** وكثيرا ما يحدث الخلط بين الحركتين ، اذ يقال ان المرء

يحتاج الى الايمان ليتخلى عن المطالبة بكل شيء ، أجل ، بل يمكن أن نسمع ما هو اغرب من ذلك ، فعندما يندب شخص ما ضياع ايمانه ، وعندما ينظر المرء الى الميزان ليرى أين مكانه ، يرى — وياللغرابة ! — انه لم يبلغ الا النقطة التى ينبغى عليه عندها أن يقوم بحركة التسليم اللامتناهية . وفى التسليم ، ازهد فى كل شيء ، وهذه الحركة اقوم بها بنفسى ، واذا لم اقم بها ، فذلك لاننى رعديد مخنث خلو من الحماسة ، ولا اشعر بدلالة تلك الكرامة السامية الممنوحة لكل انسان وهى ان يكون الرقيب على نفسه ، وهو لقب أفخم كثيرا من لقب « الرقيب العام » على الامبراطورية الرومانية بأسرها . هذه الحركة اقوم بها بنفسى ، وما اكسبه هو نفسى فى شعورها الابدى ، وفى اتفاق سعيد مع حبى « للكائن الابدى » . ولكننى بالايمان ، لا أتخلى عن شيء ، وانما على العكس ، بالايمان أنال كل شيء ، بذلك المعنى الذى يقال به ان من يملك حبة من خردل من الايمان يستطيع أن يزحزح الجبال . مجرد الشجاعة البشرية هى المطلوبة للتخلى عن الزمانى كله فى سبيل اكتساب الابدى ، ولكن هذا شيء اكسبه ، ولا أستطيع أن أتخلى عنه الى الابد — وهذا تناقض ذاتى . ولكن ثمة شجاعة مفارقة متواضعة مطلوبة للامساك بالزمانى كله بفضل اللامعقول ، وهذه هى شجاعة الايمان . وبالايمان لم يتخل ابراهيم عن مطالبته باسحاق ، ولكنه بالايمان استعاد اسحاق . وبفضل التسليم كان ينبغى على ذلك الشاب الموسر أن يزهد فى كل شيء ، ولكنه عندما يفعل ذلك ، لابد أن يقول له فارس الايمان : « بفضل اللامعقول سوف تسترد كل فلس أنفقته . . لا تستطيع ان تؤمن بهذا ؟ » . وهذا القول ينبغى الا يمر دون اكتراث بأى حال من الاحوال ، من جانب الشاب الموسر المذكور ، ففى حالة تنازله عن خيراته لأنه قد سئمها ، فلن يكون فى تسليمه ما يزهو به .

ان كل شيء فى هذه الحالة يدور حول الزمانى ، والمتناهى . واننى لقادر بقوتى الخاصة على أن ازهد فى كل شيء وأن أجد السلام والسكينة فى الالم الأشد فظاعة من الموت ، تلك الفظائع ، حتى لو لوح

الجنون أمام عينى بقميص المجانين ، وفهمت من نظرته انه انا الذى ينبغى أن يرتديه ، فما زلت قادرا على انقاذ روحى ، اذا كان انتصار حب الله فى نفسى أكبر عندى من سعادتى الدنيوية . وقد يكون قادرا أن يركز روحه كلها — ولو فى اللحظة الاخيرة — فى نظرة واحدة يتوجه بها صوب السماء التى تأتى منها كل نعمة جليلة ، وستكون نظرته مفهومه لنفسه ، «وله» أيضا ذلك الذى تبحث عنه كعلامة على أنه مع كل هذا — ما برح صادقا فى حبه. وهنا يمكن أن يرتدى فى هدوء قميص المجانين . وهذا الذى لا تؤجج روحه هذه الحماسة الرومانسية يكون قد باع روحه ، سواء أخذ فى مقابلها مملكة ، أو قطعة تافهة من الفضة . ولكن بقوتى الخاصة لا أستطيع الحصول على أقل الاشياء التى تنتسب الى التناهى . لأننى استخدم قوتى باستمرار للعزوف عن كل شىء . وبقوتى الخاصة أستطيع التنازل عن الاميرة ، ولن اتحول الى شخص متذمر ، وانما سأجد الفرح والسكينة فى آلامى ، ولكننى بقوتى الخاصة ، لا استطيع ان استردها ، لاننى استخدم كل قوتى حتى أرضى بالتسليم . ولكن بالايمان — على حد قول ذلك الفارس الرائع — بالايمان يمكن أن استردها بفضل اللامعقول .

اذن فأنا لا أستطيع ان أقوم بتلك الحركة . . فما اكاد أشرع فى القيام بها حتى يدور كل شىء حولى دورات سريعة ، فألوذ بآلام التسليم . وأنا أستطيع السباحة فى الوجود ، أما بالنسبة لهذا التحليق الصوفى ؛ فأنا أثقل من اللازم . وأن أوجد على نحو يتيح لى أن أعبر عن اعتراضى على الوجود بوصفه أجمل وآمن انسجام مع هذا الوجود ، فهو شىء لا أقدر عليه . ولكن لابد أن الظفر بالاميرة شىء مجيد ، هذا ما أردده لنفسى كل لحظة ، وفارس التسليم الذى لا يقول هذا القول مخادع، انه لم تكن له رغبة وحيدة وحسب ، كما أنه لم يحافظ على شباب رغبته بما كابده من ألم . وربما كان هناك من خطر له أنه من المناسب تماما أن تكون حدة الرغبة قد هدات ؛ وأن تكون شوكة الالم قد ثلمت ، غير أن مثل هذا الرجل ليس فارسا بحال من الاحوال . فالروح التى ولدت حرة اذا فاجأت نفسها حاضنة لمثل هذه الافكار

لن تلبث أن تحتقر نفسها ، وتبدا من جديد ، ولن تسمح لنفسها على كل حال ان تخدع نفسها . ومع ذلك لابد ان الظفر بالاميرة شيء مجيد ، ومع ذلك فان فارس الايمان هو الشخص السعيد الوحيد ، ذلك الوارث الظاهرى للتناهى ، على حين أن فارس التسليم أجنبى غريب . وهكذا فان الفوز بالاميرة ، والعيش معها فى فرح وسعادة حينا بعد حين (من المتصور ايضا أن فارس التسليم يمكن أن ينال الاميرة ، ولكن روحه تكون قد أدركت أيضا استحالة سعادتهما المقبلة) ، ذلك أن الحياة فى فرح وسعادة كل لحظة بفضل اللامعقول ، ورؤية السيف معلقا فى كل لحظة على راس المحبوبة ، ولا يجد الراحة مع ذلك فى ألم التسليم ، وانما يجد الفرح بفضل اللامعقول — هذا كله شيء رائع . ومن يفعل ذلك يكون عظيما ، العظيم الوحيد . والفكرة نفسها تثير روحى ، تلك الروح التى لم تبخل قط بالاعجاب بالعظمة .

وفى هذه الحالة فان كل انسان من جيلى لا يقف عند الايمان يكون حقا انسانا ادرك ما تنطوى عليه الحياة من رعب ، وفهم ما يعنيه دوب(٣٨) Daub عندما قال ان جنديا يقف وحده فى موقعه ببندقية مشحونة فى ليلة عاصفة الى جوار مخزن للبارود .. لابد أن تطرا على ذهنه أفكار غريبة — ومن ثم ، فان كل من لايقف عند الايمان هو رجل يملك من قوة الروح ما يؤهله لأن يفهم أن تلك الرغبة كانت استحالة ، وبالتالى يمنح نفسه مهلة ليبقى وحيدا مع هذه الفكرة ، ومن ثم فان كل من لا يقف عند الايمان يعد رجلا متصالحا فى الألم ومتصالحا مع الألم ، ومن ثم فان كل من لا يقف عند الايمان فى المقام التالى (فاذا كان لم يفعل ما قد سبق ، فلا داعى لان يزعج نفسه بالايمان) — فى المقام التالى فعل الشيء الرائع ، واحتضن الوجود كله بفضل اللامعقول .... ويكون ما أكتبه اذن هو ارفع رثاء لمعاصرى يكتبه واحد من أدناهم ، ولكنه استطاع أن يقوم بحركة التسليم فحسب . ولكن لماذا لا يقفون عند الايمان ، ولماذا استطيع ان افهمه . وان تحايلت لأكون قادرا على القيام بهذه الحركة ، فسأستقل فى المستقبل عربة تجرها خيول اربعة !

وأذا كان من الصدق حقا أن كل المباهاة بالجهل التى أراهـا فى الحياة (والتى لا أسمح لكلمتى ، بل لافعالى ان تدينها) ليست على ما تبدو عليه — فهل هذه معجزة ؟ هذا أمر يمكن تصوره ، ذلك لان بطل الايمان يشبهها فى الحقيقة شبها عجيبا — لان بطل الايمـان هـذا لم يكن مـن طائفة الساخرين أو الظرفاء ، ولكنه شيء أعلى كثيرا . ولقد قيل الكثير فى عصرنا عن التهكم والفكاهة ، وخاصة من أناس لم يستطيعوا قط ان يشتركوا فى ممارسة هذين الفنين ، وان كانوا يعرفون رغم ذلك كيف يفسرون كل شيء . ولست غريبا كل الغربة عن هاتين الشهوتين (٣٩) ، وأنا اعرف عنهمـا أكثر قليلا مما يوجد فى الخلاصـات الواغية باللغتين الالمانية والالمانية — الدنماركية . فأنا أعرف اذن أن هاتين الشهوتين تختلفان اختلافا جوهريا عن شهوة الايمان . فالتهكم والفكاهة ينعكسان أيضا على نفسيهما ، ومن ثم فانهما ينتميان الى مجال التسليم اللامتناهى ، ونرجع مرونتهما الى أن الفرد لا سبيل الى قياسه بالواقع .

والحركة الاخيرة هذه ، حركة الايمان التى تتسم بالمفارقة ، هى مالا أستطيع ان أقوم به (سواء أكان ذلك واجبا أم كان ما يكون) ، على الرغم من أننى ان قمت بها ، سيكون ذلك بشيء أكثر من السرور . أما اذا كان للانسان الحق فى أن يؤكد هذا التأكيد ، فأمر متروك له ، انها مسألة بينه وبين « الموجود الأبدى » الذى هو موضوع الايمان — أعنى ان كان يستطيع أن يقع فى هذا الصدد علـى ضرب من التوفيق الودود . وما يستطيع كل انسان أن يفعله هو أن يقوم بحركة التسليم اللامتناهى ، وأنا لا أتردد من ناحيتى فى ان أصف بالجبن كل من يريد أن يقنع نفسه بأنه لا يستطيع القيام بها . اما مع الايمان ، فالمسألة مختلفة . ولكن ما ليس لكل انسان الحق فى أن يفعله ، هو أن يقنع الآخرين بأن الايمان شيء فى المرتبة الدنيا ، أو أنه شيء يسير ، على حين انه أجل الامور وأصعبها .

والناس يفسرون قصة ابراهيم على نحو آخر . فهم يمجدون فضل الله فى اعادة اسحق اليه — فلا تعدو المسألة كلها ان تكون مجرد

امتحان . امتحان — هذه الكلمة يمكن أن تتول الكثير أو القليل ، ومع ذلك نمر المسألة كلها سراعا كاللحظة التى قيلت فيها . هـذا شخص يمتطى جوادا مجنحا (براقا) ، وفى اللحظة ذاتها يجد نفسه على جبل المريا ، وفى اللحظة عينها يشاهد الكبش ، وينسى المرء ان ابراهيم لم يركب الا حمارا ، يسير متباطئا عبر الطريق ، وينسى أن رحلته استغرقت ثلاثة أيام ، وأنه احتاج الى بعض الوقت ليقطع الحطب ، ويوثق اسحق ، ويشحذ السكين .

ومع ذلك فانهم يثنون على ابراهيم . ومن كان عليه القاء الخطبة يستطيع أن يستغرق فى النوم حتى تمضى ربع ساعة قبل القاء موعظته ، كما يستطيع المستمع أن يغفو قليلا أثناء الخطبة ، لأن كل شىء يمضى هينا ، دون أدنى متاعب من أى جهة . ولو كان بين الحضــور رجل يعانى من الارق ، فربما عاد الى منزله وجلس فى ركن ، وفكر قائلا : « انها مسألة لحظة ، هـذا الموضوع كله ، ولو انك انتظرت لحظـة واحدة ، لرايت الكبش ، وانتهى الامتحان » . ولو أن الخطيب التقى به فى هـذه الحالة ، فاعتقد أنه سيواجهه بكل وقاره قائلا : « أيهـا التعس ، أنت يا من تجعل روحك تغوص فى مثل هذه الحماقة ! لا معجزة فى الامر . والحياة كلها امتحان » . وكلما اوغل الخطيب فى صب عباراته ، ازداد انفعاله شيئا فشيئا ، وازداد سروره بنفسه ، ولما لم يلحظ أى احتقان فى الدم أثناء حديثه عن ابراهيم ، شعر الآن كيف انتفخ ذلك العــرق فى جبينه . وربما لم تكن انفاسه تنقطع وكذلك لســانه لو أن الخاطىء اجابه فى هدوء ووقار : « ولكن هذا ما كنت تعظ به يوم الاحد الماضى » .

دعنا اذن نلتقى بابراهيم فى غمار النسيان ، أو دعنا نتعلم كيف نفزع من تلك المفارقة الهائلة التى تؤلف دلالة حيــاة ابراهيم ، حتى نستطيع أن نفهم أن عصرنا — ككل عصر — يمكن أن يعيش فى الفرح لأن لديه ايمانا . وفى حالة ما اذا لم يكن ابراهيم شيئا ، بل مجرد طيف أو استعراض يستخدمه المرء لتزجية الفراغ ، فان الخطأ لا يمكن أن

يكمن قط فى أن الخاطىء يريد أن يفعل مثلما فعل ابراهيم ، وانما المسألة هى أن نرى كم كان عظيما ذلك العمل الذى قام به ابراهيم حتى يستطيع الانسان أن يحكم بنفسه هل يملك الدافع والشجاعة لمعاناة مثل هذا الاختبار . والتناقض المضحك فى سلوك الخطيب هو انه أحال ابراهيم الى شىء تافه ، ومع ذلك ، فانه يحض الآخــر على ان يسلك مسلك ابراهيم .

أينبغى اذن الا يتجاسر المرء على الحديث عن ابراهيم ؟ احسب أن هــذا هو ما ينبغى . واذا كان لى أن اتحدث عنه ، فسأصف أولا ما اكتنف امتحانه من عذاب . ولهذا الغرض كنت أود أن تمتص دودة من العلق كل ما فى عذاب الأب من قلق وحزن وأوجاع ، حتى اســتطيع أن اصف ما عاناه ابراهيم ، علــى حين انه كان يؤمن طيلة الوقت ، وعلى الرغم من هذا كله . وكنت أعمد الى تذكير المستمعين بأن الرحلة استغرقت ثلاثة أيام وشطرا محترما من اليوم الرابع ، اجل وبأن هذه الايام الثلاثة والنصف كانت اطول بما لا نهاية مــن آلاف الاعوام القلائل التى تفصلنى عن ابراهيم . ثم أذكرهم بأن كل انســان يستطيع — فى رأيى — أن يولى الدبر قبل أن يضطلع بمثل هذه المهمة ، ويستطيع — فى كل لحظة — أن يعود نادما على عقبيه . فاذا فعل هذا ، لن أخشى اى خطر ، كما لنأخشى أن أوقظ فى الناس ميلا الى أن يتعرضوا لامتحان ابراهيــم . ولكن ، اذا لم يكن فى متناول المرء غير طبعة رخيصة مــن ابراهيم ، وأن يحض كل انسان — مع ذلك — أن يفعل مثله — فهــذا هو الامر المضحك .

وفى نيتى الآن أن استخلص مــن قصة ابراهيم النتائج الجدلية المتضمنة فيها ، معبرا عنها فى شكل « مشكلات » ، حتى نرى المفارقة الهائلة التى ينطوى عليها الايمان ، مفارقة كفيلة بأن تحيــل الجريمة الى عمل مقدس يرضى الله ، مفارقة أعادت اسحق الى ابراهيم ، ولا يستطيع أن يسيطر عليها أى فكر ، وذلك لأن الايمان يبدأ تماما عنــدما يرحل التفكير .

المشكلة الأولى

هل هناك ما يمكن أن يسمى بالتعليق الغائى لما هو أخلاقى ؟

الاخلاقى the ethical – بوصفه كذلك – هو الكلى universal ، وبوصفه الكلى فانه ينطبق على كل انسان ، وهذا ما يمكن التعبير عنه من وجهة نظر أخرى بأنه ينطبق فى كل لحظة . وهو مستقر – بصورة جوانية (كافية) محايثة – ولا يقع خارج نفسه شيء يمكن أن يكون غايته (٤٠) telos ، ولكنه هو نفسه غاية كل شيء خارجه ، وعندما يتجسد هذا بواسطة ما هو أخلاقى ، فأنه لا يستطيع أن يمضى الى أبعد من ذلك . فاذا تصورنا الفرد الجزئى تصورا مباشرا على انه الفزيائى والنفسى ، فانه يكون الفرد الذى تقوم غايته فى الكلى ، وتكون مهمته الاخلاقية أن يعبر عن نفسه فى هذا الكلى باستمرار ، لالغاء طابعه الجزئى حتى يصير كليا . وما أن يؤكد الفرد نفسه فى طابعه ذاك معاندا للكلى ، فانه يرتكب الخطيئة ، ولن يصالح نفسه ثانية مع الكلى الا بادراكه هذه الحقيقة . وحيثما أحس الفرد الذى دخل الكلى بدافع الى تأكيد نفسه بوصفه شيئا جزئيا ، فانه يحيا الغواية Anfechtung ويستطيع أن يجاهد للخروج منها بأن يتخلى عن نفسه تائبا بوصفه الجزئى فى الكلى . واذا كان هذا هو أعلى ما يمكن أن يقال عن الانسان ومن وجوده ، فان للأخلاقى نفس الصفة التى تتصف بها سعادة الانسان الابدية والتى هى « غايته » الى الابد وفى كل لحظة ، وما دام من التناقض أن يقال ان من الممكن التنازل عنها (أعنى تعليقها غائيا) ، ذلك لأنه ما أن يتم التنازل عنها حتى يكون فى ذلك خسرانها ، على حين انه فى حالات أخرى لا نخسر ما نضعه موضع التعليق ، بل نحفظه تماما فى ذلك الشيء الأعلي الذي هو « غايته » (٤١) .

فاذا كان الامر كذلك ، فان هيجل اذن على حق عندما وصف الانسان فى الفصل الذى كتبه تحت عنوان « الخير والضمير » (٤٢) بأنه الجزئى وحسب ، ونظر الى هذه الصفة باعتبارها « شكلا أخلاقيا للشر » وهو شكل ينبغى الغاؤه فى غائية الخلقى teleology of the moral ، بحيث أن الفرد الذى يبقى فى هذه المرحلة اما أن يكون خاطئا أو خاضعا للغواية Anfechtung ومن ناحية أخرى ، يخطىء هيجل عندما يتحدث عن الايمان ، ويخطىء حين يحتج احتجاجا صارخا واضحا على ان ابراهيم يتمتع بالشرف والمجد بوصفه أبا الايمان ، على حين إنه كان من الواجب اعدامه بعد ادانته بجريمة القتل .

ذلك أن الايمان هو هذه المفارقة وهى ان الجزئى أعلى من الكلى — وان يكن ذلك على نحو تكرر فيه الحركة نفسها ، وهذا ما تنبغى ملاحظته وأن الفرد — بالتالى — بعد أن كان فى الكلى — يعزل الآن نفسه بوصفه جزئيا ، لأنه يعد نفسه أعلى من الكلى . فاذا لم يكن هذا هو الايمان ، ضاع ابراهيم اذن ، ولم يكن للايمان وجود قط فى هذا العالم ... لأنه موجود دائما وأبدا . لأنه اذا كان الاخلاقى (أعنى الخلقى the moral هو أعلى الاشياء ، وأن ما من شىء يند عن القياس يبقى فى الانسان على أى نحو آخر الا بوصفه شرا (أعنى الجزئى الذى ينبغى التعبير عنه فى الكلى) ، فلن يحتاج المرء عندئذ لأية مقولات أخرى الى جانب المقولات التى امتلكها الاغريق ، أو التى يمكن اشتقاقها من تلك المقولات بالتفكير المتسق Consistent . هذه حقيقة لم يكن ينبغى على هيجل اخفاؤها ، لأنه كان على ألفة بالفكر الاغريقى على كل حال .

ويسمع الانسان فى كثير من الاحيان ما يقوله أشخاص تراهم بسبب افتقارهم الى فقدان أنفسهم فى الدراسات — مستغرقين فى عبارات — يقولون ان ثمة نورا يسطع على العالم المسيحى ، بينما تخيم الظلمة على الوثنية . هذا القول قد بدا غريبا فى نظرى دائما ، وخاصة كلما رأيت ان كل مفكر عميق وكل فنان جاد يتجدد شبابه حتى فى أيامنا هذه بالشباب الابدى الذى اتسم به الجنس الاغريقى . ويمكن تفسير

مثل ذلك القول اذا وضعنا فى اعتبارنا ان الناس لا يعرفون ما ينبغى أن يقولوا ، وانما ينبغى أن يقولوا شـــيئا ما وحسب . فمن الصواب تماما أن يقول المرء ان الوثنية لم تمتلك الايمان ، ولكن اذا كان للمرء أن يقول شيئا ما مع هذا ، فينبغى أن يكون واضحا بعض الوضوح عما يفهمه بالايمان ، والا وقع الانسان مرة أخـــرى فى مثل تلك العبارات . ولتفسير الوجود كله ومعه الايمان دون أن يكون لدينا أى تصور للايمان ، فهذا شىء يسير ، وأن الانسان لا يحسب أدنى حساب فى الحياة اذا اعتمد على الاعجاب حين يمتلك مثل هذا التفسير ، فانه على حد قول بوالو Boileau « يجد الاحمق دائما من هو أحمق منه للاعجاب به » .

الايمان هو بالضبط هـــذه المفارقة وهى أن الفرد بوصفه الجزئى يكون أعلى من الكلى ، وانه مبرر عليه ، وانه ليس تابعا بل متبوعا — ولكن ينبغى أن نلاحظ ، ان ذلك كله يحدث على نحو يصير فيه الفرد الجزئى — بعد أن كان تابعا للكلى بوصفه الجزئى — يصير الآن من خلال الكلي الفرد الذى بوصفه الجـــزئى أعلى من الكلى ، وذلك لأن الفرد بوصفه الجزئى يقف فى علاقة مطلقة مع المطلق . وهذا الموقع لا يمكن أن يكون وسيطا ، لأن كل توسط يأتى بفضـــل الكلى ، فهى مفارقة وستبقى دائما وأبدا مفارقة تستعصى على الفكر .. ومع ذلك ، فالايمان هو هذه المفارقة — والا (وهذه هى الاستنباطات المنطقية التى أرجو أن يضعها القارىء فى ذهنه عند كل نقطة — وان كان اســـهابا شديدا من ناحيتى أن أرددها فى كل مناسبة) — والا لم يكن هنـــاك ايمان قط . . . لأنه كان موجودا دائما وأبدا . او بعبارة أخرى يتعرض ابراهيم للضياع .

اما أن يخطىء الفرد الكلى فى سهولة فيأخذ هـــذه المفارقة على أنها امتحان ، فأمر صحيح حقا ، ولكن لا ينبغى على المرء أن يخفيه لهذا السبب عينه . اما أن تركيب كثير من الاشخاص يدفعهـــم بأكمله الى النفور من هذه المفارقة ، فأمر صحيح حقا ، ولكن لا ينبغى علـــى المرء لهذا السبب أن يجعل الايمان شيئا مختلفا حتى يكون قادرا علـــى امتلاكه ، ولـــكن الأولى به أن يعترف بأنه لا يملك هـــذا الايمان علـــى

حين أن هؤلاء الذين يملكونه ينبغى أن يحرصوا على وضع معايير معينة للتمييز بين المفارقة والغواية .

والآن ، تحتوى قصة ابراهيم على مثل هـذا التعلق الغائى لما هو اخلاقى . ولم نعـدم العقول الذكية والباحثون المتعمقـون الذين وجدوا مشابهات لها . ذلك أن حكمتهم مستمدة من تلك القضية البديعة القائلة بأن قاع الاشياء جميعا واحد . فاذا نظر الانسان بمزيد مـن الامعان ، فلا أشك مطلقا أنه لن يجد فى العالم كله شيئا واحدا يماثل هذه القصة (ماعدا مثل متأخر لا يثبت شيئا) ، هذا اذا ثبت لدينا أن ابراهيم هو ممثل الايمان ، وأن الايمان يتم التعبير عنـه عادة فى ذلك الذى لا تكون حياته أشد الاشياء التى يمكن التفكير فيها مفارقة ، بل التى تكون من المفارقة بحيث لا يكون ثمة سبيل الى التفكير فيها على الاطلاق . انه يتصرف بفضل اللامعقول ، فمن اللامعقول تماما أن يكون بوصفه الجزئى — ان يكون أعلى من الكلى . هـذه المفارقة تند عن التأمل ، لأنه ما أن يشرع فى ذلك ، حتى يعترف بأنه كان واقعـا فى الغواية ، واذا كان الامر كذلك ، فانه لن يصل أبدا الى حد التضحية باسحق ، أو لو أنه ضحى باسحق ، فلابد ان يعود نادما الى الكلى . وبفضل اللامعقول يستعيد اسحق مرة ثانية . فابراهيم اذن ليس بطلا مأساويا فى اية لحظة ، بل شيئا مختلفا تمام الاختلاف ، فاما أن يكون قاتلا أو مؤمنا . أما الحد الاوسط الذى ينجى البطل المأساوى ، فشىء لم يتح لابراهيم . ولهذا أستطيع ان أفهم البطل المأساوى ، ولكننى لا أستطيع أن أفهم ابراهيم ، وان كنت بمعنى مهووس معين ، أضمر له من الاعجاب أكثر مما اضمره لغيره من الناس جميعا .

فاذا تحدثنا بلغة الاخلاق قلنا ان علاقة ابراهيم باسحق يتم التعبير عنها فى بساطة بأن الاب ينبغى أن يحب أبنه باعزاز أشـد مما يحب نفسه . ومع ذلك ، فاننا داخل نطاق الاخلاقى نفسه نجد مراتب متعددة . دعنا ننظـر اذن فيما اذا كنا نستطيع أن نجد فى هـذه القصة اى تعبير اعلى عن الاخلاقى بحيث يمكن أن يفسر سلوكه تفسيرا اخلاقيا ، وأن

يبرره أخلاقيا فى تعليق الالتزام الاخلاقى نحو ابنه ، دون أن نتجاوز فى هذا البحث غائية ما هو اخلاقى .

وعندما تعاق مهمة تتعلق بأمة بأسرها(٤٣) ، وعندما تعطل مثل هذه المهمة بسبب سخط السماء ، وعندما يرسل الاله الغاضب سكونا يسخر من كل الجهود ، وعندما يؤدى الساحر واجبه الثقيل ويعلن أن الاله يطلب تقديم عذراء قربانا له — عندئذ يتحمل الاب فى بطولة هذه التضحية . وسيختفى ألمه فى وقار مهيب ، حتى وان كان يود لو أنه كان « ذلك الرجل الخسيس الذى يجرؤ على البكاء (٤٤) ، ولم يكن الملك الذى يتصرف بطريقة ملكية . ومع أن العذاب الموحش يشق طريقه فى صدره ، لم يكن له غير ثلاثة فحسب يأتمنهم على سره بين الناس ، ولكن سرعان ما تعرف الامة كلها ما يعانية من آلام ، ولكنها ستعلم ايضا بمأثرته ، وبأنه من اجل رفاهية المجموع كان على استعداد للتضحية بها ، بابنته ، العذراء الشابة المحبوبة . يا للصدر الساحر ! ويا للخدود الفاتنة ! ويا للشعر الذهبى اللامع ! وستحرك الابنة مشاعره بدموعها ، وسيشيح الاب بوجهه ، أما البطل فسيرفع سكينه — وعندما تبلغ القصة بيت الاسلاف ستتوهج خدود عذارى الاغريق الفاتنات حماسة ، واذا كانت الابنه مخطوبة ، فلن يغضب حبيبها الصادق بل سيفخر بمشاركته فى مأثرة الأب ، لأن الفتاه تنتمى اليه بمشاعرها اكثر مما تنتمى للأب .

وعندما ارتبط ذلك القاضى الجسور (٤٥) الذى أنقذ اسرائيل فى وقت الشدة ، ارتبط فى نفس واحد مع الله بنذر واحد ،فأحال فى بطولة فرح العذراء الشابة ، فرح ابنته الحبيبة الى حزن ، ومعها ستنوح اسرائيل كلها على شبابها العذرى ، بيد أن كل رجل ولد حرا سيفهم ، وكل امراة متينة القلب ستعجب بيفتاح ، وكل عذراء فى اسرائيل ستتمنى أن تتصرف كما تصرفت ابنته . فأى خير فى أن ينتصر يفتاح بفضل نذره فلا يفى بهذا النذر ؟ الن ينتزع الله النصر ثانية من الامة ؟

وعندما يتناسى ابن واجبه (٤٦) ، وعندما تعهد الدولة الى الاب بسيف العدالة ، وعندما تقضى القوانين بالعقوبة على يد الاب ، اذن

فسينسى الاب فى بطولة أن المذنب ابنه ، وسيخفى عذابه فى شهامة ، ولن يكون هناك عندئذ شخص واحد بين الناس جميعا ، حتى الابن نفسه ، لا يضمر الاعجاب للاب ، وحيثما فسر قانون روما ، فستتذكر أن كثيرين قد فسروه تفسيرا قد يكون أعمق فى العلم ، ولكن أحدا لم يفسره بأمجد مما فسره بروتوس .

ومن ناحية أخرى ، لو أن أجاممنون أرسل رسولا للبحث عن افيجينيا للتضحية بها ، عندما هبت ريح مواتية فحملت الاسطول بقلوع منتفخة الى هدفه ، ولو أن يفتاح دون أن يتعهد بأى نذر يحدد مصير الامة — قال لابنته : « نوحى الآن على عذريتك لمدة شهرين لأننى سوف أضحى بك » ، ولو أن لبروتوس ابنا بريئا ومع ذلك أصدر اوامره الى الجلادين باعدامه — لو انهم فعلوا ذلك ، من كان يفهمهم ؟ ولو ان هؤلاء الرجال الثلاثة أجابوا على هذا السؤال : لماذا فعلوا ذلك بقولهم : « انه امتحان ابتلينا به » فهل كان الناس يفهمونهم افضل من ذلك ؟

وعندما تغلب كل من أجاممنون ويفتاح وبروتوس على آلامهم ببطولة فى اللحظة الحاسمة ، وفقدوا أحباءهم فى بطولة ، وكان عليهم أن ينجزوا تلك التضحية الظاهرية ، فلن تكون هناك روح نبيلة فى العالم لا تذرف دموع الشفقة على آلامهم ، ودموع الاعجاب ببطولتهم الخارقة . ولو أن هؤلاء الرجال الثلاثة — من ناحية أخرى — اضافوا الى سلوكهم البطولى هذه العبارة القصيرة فى اللحظة الحاسمة : « ومع هذا كله ، لن يقع شيء من هذا » ، من كان يمكن أن يفهمهم عندئذ ؟ ولو أنهم أضافوا على سبيل الشرح : « هذا ما نؤمن به بفضل اللامعقول » ، من كان يفهمهم أفضل من ذلك ؟ فمن اليسير أن يفهم الناس جميعا أن المسألة لا معقولة ، ولكن من ذا الذى سيفهم أن أحدا يمكن أن يؤمن بها ؟

والاختلاف بين ابراهيم والبطل المأساوى جلى بين . فما برح البطل المأساوى فى نطاق الاخلاقى . وهو يترك التعبير عن الاخلاقى يلتمس

غـايته فى تعبير اعلى عن الاخلاقى ، والعلاقة الاخلاقية بين الاب وابنه ، أو بين الاب وابنته ، يحيلها الى عاطفة تقع جدليتها dialectic فى علاقتهـا بفكرة الاخلاقية العملية morality . وهنـا لا مكن ان يـكون ثمة تعليق غـائى للاخلاقى نفسه .

وكان الموقف مختلفا مع ابراهيم ، فبفعلته تخطى الاخلاقى كلية ، وامتلك غاية أعلى تقع خارجه ، وبالنسبة لهذه الغاية قام بتعليق مـا هو اخلاقى . فانى لاود أن أعرف كيف يمكن ان نضع فعلة ابراهيم فى علاقة مع الكلى ، ومـا اذا كان من الممكن اكتشاف أية صلة كانت بين ما فعله ابراهيم وبين الكلى . فيما عـدا تلك الحقيقة وهى انه قـد تعدى ذلك الكلى .

لم كن ما فعله ابراهيم من اجل انقاذ شعب ، أو فى سـبيل الحفاظ على فكرة الـدولة ، أو لمصالحة الالهـة الغضبى . فلو كانت المسألة تتعلق بالـه غاضب ، فانه لم يكن غاضبا الا على ابراهيم . ولم يكن فعل ابراهيم كله على أية علاقة بالكلى ، انـه عمل شخصى بحت . ومن ثم ، فبينما يكون البطـل المأساوى عظيما بفضل فضيلته الاخلاقية ، فقد كان ابراهيم عظيما بفضـل فضيلة شخصية بحتة . وليس فى حياة ابراهيم تعبير أعلى عن الاخلاقى الا هذا ، وهو أن يحب الاب ابنه . ولا مجال للحديث عن الاخلاقى بمعنى الاخلاقية العملية فى هـذا المثل . فمادام الكلى حاضرا ، فقـد كان حاضرا حقـا فى اسحق بصورة ملغزة ، متواريا فى احشائه ، وكان لابـد ان يصرخ بفم اسحق: « لا تفعل ذلك ! انك تقضى على كل شيء بالعدم » .

لـماذا اذن فعل ابراهيم هـذا ؟ فى سبيل الله ، وفى سبيل نفسه (وهذا مطابق لذلك تمام المطابقة) ، فعله فى سبيل الله لان اللـه طلب منه هـذا دليلا على ايمانه ، وفعله فى سبيل نفسه حتى يستطيع أن يقدم الدليل . ووحدة وجهتى النظر هاتين قد تم التعبير عنها تعبيرا كاملا بتلك الكلمة التى تستخدم دائما لوصف الموقف : انـه امتحان ، ابتلاء (٤٧) Fristelse لكن ماذا يعنى هـذا ؟ ان مـا يمتحن الانسان عادة هو مـا يمنعه من القيام بواجبـه ،

امـيا فى هـذه الحالة فالامتحان هو نفسه الاخلاقى .. الـذى يمنعه من تنفيذ مشيئة الرب . ولكن مـا هو الواجب اذن ؟ الواجب هـو بالضبط التعبـيـر عن مشيئة اللـه .

هنا تتضح ضرورة اللجوء الى مقولة جديدة اذا أردنا أن نفهم ابراهيم . مثـل هـذه الصلة باللـه شىء لم تعرفه الوثنية . فالبطل المـأساوى لايدخل فى أيـة علاقة شخصية بالاله ؛ ولكن الاخلاقى بالنسـبة اليه هو الالهى ؛ ومن ثـم فان المفارقة التى يتضمنها موقفه يمكن أن تتوسط الكلى .

امـا ابراهيم فلا يمكن أن يوضع موضعا وسـطا ؛ وهـذا هـو نفسه مـا يمكن التعبير عنه ايضـا بأن نقول انـه لا يستطيع أن يتكلم . فمـا أن اتكـلم حتى اعبر عن الكلى ؛ فـاذا لـم افعل ذلك ؛ لـم يستطع أن يفهمنى أحـد . ومن ثم ؛ لو أن ابراهيم عبر عن نفسه بلغة الكلى ؛ فـلا مندوحة عن أن يقول ان موقفـه غواية (Anfechtung) لانـه لا يملك تعبـيرا اعلى عن ذلك الكلى الـذى يعلو الكلى الذى يتعداه .

وعلى هذا . فان كان ابراهيم يثـير اعجابى ؛ فهو يدفعنى فى الوقت نفسه الى الاستنكار ؛ لان ذلك الـذى ينكر نفسه ؛ ويضحى بنفسه على مذبح الواجب ؛ يتخلى عن التناهى ليظفر باللامتناهى ؛ وهذا الرجل آمن امنا كافيا . والبطل المأساوى يتخلى عن اليقين فى سبيل ما هـو اشد يقينا منه ؛ وعليه تقع فى ثقـة عين المشاهد . امـا ذلك الـذى يتنازل عن الكلى لكى ينـال شيئا اعلى وان لم يكن هو الكلى ـ فماذا هو صانع ؟ أمن الممكن أن يكون هذا شيئا سوى غواية (Anfechtung) ؟ واذا كان ذلـك ممكنا ؛ وكان الفرد مخطئا ـ فماذا يمكن ان ينقذه ؟ انه يعانى كل عذاب البطل المأساوى ؛ ويمحو كل أفراحه فى هـذا العالم ؛ ويتخلى عن كل شىء ... وربما حرم نفسه فى تلك اللحظة عينها من الفرح الجليل الذى كان ثمينا بالنسبة اليه حتى ليبتاعه بأى ثمن . أمـا هو فلا يستطيع المشاهد أن يفهمه ؛ او أن تستقر عليـه عينـه فى

ثقة . ربما لم يكن من الممكن أن يفعل ما تقترحه المؤمن ، مادام هذا الذي يقترحه لا سبيل حقنا الى التفكير فيه . او حتى اذا أمكن فعله ، ولكن الفرد أساء فهم الاله ـ فماذا يمكن أن ينجيه ؟ البطل المأساوى فى حاجة الى الدموع وهو يطالب بها ، ولكن ، أين تلك العين الحسود التى يمكن ان تكون من النضوب بحيث لا تستطيع البكاء مع اجا ممنون ، ولكن اين ذلك الرجل الذى تكون روحه من الضلال بحيث يدعى انه يبكى على ابراهيم ؟ والبطل المأساوى ينجز فعاته فى لحظة محددة من الزمان ، ولكنه يفعل فى تيار الزمان شيئا لا يقل عن ذلك دلالة ، انه يزور الانسان الذى احدقت الاحزان بروحه ، والذى لا يستطيع أن يلتقط أنفاسه لان صدره مفعم بالتنهدات المكتومة ، وتجثم افكاره الحبلى بالدموع ثقيلة على فؤاده ، امام هذا الرجل يظهر ، ويمحو سحر الاحزان ، ويفك أساره ، ويستدر دموعه بهذه الحقيقة. وهى أن المعذب ينسى فى عذاب الناس عذابه الخاص . والمرء لا يستطيع أن يبكى على ابراهيم ، بل انه ليقترب منه فى «رعب دينى» **horror religiosus** كما اقترب اسرائيل من جبل سيناء . ـ ماذا اذن لو كان ذلك الرجل المتوحد الذى يصعد جبل المريا بقمته التى ترتفع شماء فى السماء فوق وادى عوليس **Aulis** ، ماذا لو كان سائرا فى نومه يمشى مطمئنا فوق الهاوية على حين أن من يقف عند سفح الجبل ثم يرنو ببصره يرتعد من الخوف ولايستطيع من الهيبة والقلق حتى أن ينادى عليه احد ـ ماذا لو كان هذا الرجل فمثل العقل . وارتكب خطأ ! شكرا ، وشكرا مرة أخرى لذلك الرجل الذى يتقدم للانسان الذى هاجمته أحزان الحياة ، وتركته عاريا ـ الذى يقدم له ورقة التين على هيئة الكلمة التى يستطيع أن يستر بها تعاسته . شكرا لك ـ أيها العظيم شكسبير الذى استطعت أن تعبر عن كل شيء ـ عن كل شيء على الاطلاق ، كما هو تماما . ولكن لم تعبر قط عن وخزة الالم هذه ؟ أكنت تحتفظ بها لنفسك ـ كالمحبوبة التى لايستطيع المرء ان يتحمل أن يذكر العالم أسمها ؟ ذلك ان الشاعر يشترى سلطان الكلمات ، سلطان التعبير عن أسرار الآخرين المخيفة ـ بثمن سر صغير لا يستطيع البوح به . . . والشاعر ليس رسولا ، فهو يطرد الشياطين بقوة الشيطان وحدها .

ولكن الآن وقد تم تعليق الاخلاق غائيا على هذا النحو ، كيف يحيا الفرد الذى علق فيه هذا الاخلاقى ؟ انه يحيا بوصفه الجزئى فى مضاد الكلى . أيرتكب الخطيئة اذن ؟ فهذا هو شكل الخطيئة ، منظورا اليه فى الفكرة idea . تماما كالطفل ، وان لم يخطىء ، لانه بوصفه طفلا لا يعى بعد وجود الخطيئة — الا أن وجوده نفسه خطيئة ، منظورا اليه فى الفكرة ، ولايكف الاخلاقى فى كل لحظة عن مطالبه عليها ، فاذا انكر المرء ان هذا الشكل يمكن تكراره (فى البالغ) على نحو لا يتخذ فيه شكل الخطيئة ، اذن فان حكم الادانة يصدر على ابراهيم . اذن كيف كان ابراهيم موجودا ؟ كان مؤمنا . هذه هى المفارقة التى تمسكه على شفا الهاوية ، والتى لا يستطيع توضيحها لاى شخص آخر ، لان المفارقة هى أنه يضع نفسه بوصفه فردا فى علاقة مطلقة مع المطلق . أيجد تبريرا لفعله هذا ؟ ان تبريره هو ايضا مفارقة ، ذلك لانه اذا كان مبررا ، فليس ذلك بفضل أى شىء كلى ، ولكن بفضل كونه الفرد الجزئى .

كيف يمكن للفرد اذن أن يؤكد لنفسه أنه مبرر ؟ ان من السهل جدا تسطيح (تسوية) الوجود كله بفكرة الدولة او بفكرة المجتمع . فاذا فعل المرء هذا ، استطاع أيضا أن يكون وسطا فى يسر يسير ، لانه لن يلتقى حينئذ بالمفارقة التى مؤداها أن الفرد بوصفه فردا يكون أعلى من الكلى — وهذا ما أستطيع التعبير عنه أيضا فى ذكاء بدعوى فيثاغورس القائلة بأن الاعداد الفردية اكمل من الاعداد الزوجية . ولو استمع الانسان فى عصرنا مصادفة الى دعوى تكون متصلة بموضوع المفارقة ، فمن المرجح ان تكون على هذا النحو : «فلنحكم عليها بالنتيجة» . ان بطلا أصبح حجر عثرة (٤٨) لمعاصريه لانهم على وعى بأنه مفارقة ، ولا يستطيع أن يجعل نفسه مفهوما لديهم ، سيصبح متحديا جيله : «ستثبت النتيجة يقينا أننى مبرر» . ونادرا مانستمع فى عصرنا الى هذه الصيحة ، لانه مادام عصرنا لا ينتج ابطالا — وهذا يحسب من سيئاته — فان من حسناته أيضا أنه ينتج مسوخا قليلة . وعندما يسمع المرء فى عصرنا هذا القول ، « فلنحكم عليها حسب النتيجة » ، فانه يتضح

للانسان على الفور نوعية الشخص الذى يتشرف المرء بالتحدث اليه . وهؤلاء الذين يتحدثون على هذا النحو قبيلة كثيرة العدد سأخلع عليها الاسم الشائع « مدرسو الجامعة »(٤٩) **Docents** وتراهم فى أفكارهم يعيشون حياة آمنة فى الوجود ، فلهم مركز « راسخ » وامكانيات « مضمونة » فى دولة حسنة التنظيم ، وتفصل بينهم قرون ، بل آلاف السنين ، وبين صدمات الوجود ، فهم لا يخشون أن تقع هذه الاحداث مرة أخرى — والا فماذا تقول الشرطة فى هذا ! ناهيك بالصحف ! وشغل حياتهم الشاغل هو أن يحكموا على العظماء ، وان يأتى الحكم عليهم وفق النتيجة . مثل هذا السلوك ازاء العظماء ينم عن مزيج عجيب من الوقاحة والبؤس : من الوقاحة لانهم يعتقدون أنهم خلقوا ليكونوا قضاة ، ومن البؤس لانهم لا يشعرون أن حياتهم تمت بأية صلة — ولو بعيدة — بالعظماء . ومن المؤكد أن رجلا يمتلك ولو قليلا من الطريقة الرفيعة فى التفكير **ingenii erectioris** ولم يصبح رخوا باردا طبا تماما ، فانه عندما يقترب مما هو عظيم ، فلن يغيب عن ذهنه قط انه منذ خلق العالم جرت العادة على ان النتيجة تأتى فى نهاية المطاف ، وانه اذا كان للمرء أن يتعلم شيئا بصدق من الافعال العظيمة ، فعليه ان يوجه انتباهه — على وجه الدقة — الى البداية . وفى حالة ما اذا كان الشخص الذى يفعل هو الذى سيحكم على نفسه وفقا للنتيجة ، فانه لن يصل أبدا الى نقطة البداية . وحتى لو أن النتيجة جاءت بحيث يبتهج لها العالم كله ، فانها لا يمكن أن تساعد البطل ، لانه سيعرف النتيجة عندما تكون المسألة كلها قد انتهت ، ولم يكن هذا هو الذى أصبح به بطلا ، ولكنه صار كذلك لانه بدأ .

وفضلا عن ذلك ، فان النتيجة (من حيث هى اجابة التناهى على سؤال اللامتناهى) متنافرة تماما فى جدليتها مع وجود البطل . أمن الممكن اذن اثبات أن أبراهيم كان مبررا فى اتخاذه لوضع الفرد فى علاقته بالكلى .. من حيث أنه استعاد اسحق « بمعجزة » ؟ فلو أن ابراهيم قد ضحى باسحق فعلا ، أيكون فى هذه الحالة أقل جدارة بالتبرير ؟

غير أن الناس حريصون على معرفة النتيجة ، مثلما يحرصون على معرفة النتيجة فى كتاب – انهم لا يريدون أن يعرفوا شـــيئا عن القلق ، والاسى ، والمفارقة . انهم يتغزلون جماليا فى النتيجة ، ولكنهـا تأتى على غير توقـع ، ولكنها تأتى ايضـا فى يسر كجـائزة اليانصيب ، وعندما يسمعون النتيجـة ، يشعرون بأن أرواحهم قـد تهذبت . ومع ذلك ، فان اى سـارق للمعابد ، محكوم عله بالاشـغال الشاقة المؤبدة وراء القضبان الحديدية ، يمكن أن يكون مجرما أشد وضاعة من الرجل الذى ينهب المقدس ، وحتى يهوذا الـذى باع « سيده » بثلاثين قطعة فضية ليس احقر من الرجال الذى يبيع العظمة .

أنه لشىء بشع بالنسبة لروحى أن اتحدث فى غير انسانية عن العظمة ، وان اتركها تحوم مظلمة على مسافة بعيـدة فى شكل مبهم ، حتى يحكم الناس بأنهـا عظيمة دون أن أجعل الطابع الانسانى لهـا جليا – وبذلك تكف عن أن توصف بالعظمة . فليس مـا يحدث لى هـو مـا يجعلنى عظيما ، ولكن مـا أفعله ، ومن المؤكد انـه لا يوجـد شخص يفكر ان انسانا أصبح عظيما لانـه فاز بالجائزة الكبرى فى اليانصيب . وحتى لو ولد انسان فى ظروف متواضعة ، فاننى اطلب منـه مع ذلك الا يكون لا انسانيا نحو نفسه بألا يكون قادرا على التفكير فى قصر المـلك الا على مسافة بعيدة ، حالـما حلما مبهما بعظمته ، ومريـدا فى الوقت نفسـه أن يمجـده ، وأن يمحوه ايضـا لانـه مجـده بوضاعة . اننى اطلب ان يكون من الرجولة بحيث يمضى قدما فى ثقـة وجدارة حتى فى ذلك المكان. وينبغى الا يكون خاليا من الرجولة بحيث يريد فى صـفاته ان يهين كل انسان بالاندفاع رأسـا من الشـارع الى قاعة المـلك . فانه يفقد بهـذا اكثر مما يفقـد المـلك . وانما على العكس ، ينبغى أن يجد متعته فى اتباع كلقواعد الادب فى حماسة مرحـة واثقة تجعله صريحا غير هيـاب . هـذا مجرد رمز . ذلك لان الاختلاف الـذى نلاحظه هنـا ما هو الا تعبـير قاصر عن المسافة الروحية . وأنـا اطلب من كل انسان الا يفكر فى نفسـه تفكيرا لا انسانيا ، وبأنه لا يجرؤ على دخول تلك القصور حيث لا تقيـم ذكرى المصطفين فحسب ، بـل حيث يقيم المصطفون انفسهم . ولا ينبغى عليه أن

يندفع فى صفاته ، وأن يلصق بهم قرابة له ، بل على العكس ، ينبغى أن يكون سعيدا فى كل مرة ينحنى فيها أمامهم ، ولكن ينبغى أن يكون صريحا واثقا من نفسه ، وان يكون دائما شيئا اكثر من مجرد شغالة ، لانه ان لم يكن اكثر من ذلك ، فلن يتاح له الدخول . والشيء الذى يمكن أن يساعده هو القلقوالحزن اللذين امتحن بهما العظماء ، والا لو كان فيه أثارة من نخوة ، فسوف يثيرون فى نفسه حسدا له ما يبرره . وأما تجعله المسافة (الزمنية) وحدها شيئا عظيما ، وما يجعله الناس عظيما بالعبارات الفارغة الجوفاء ، فهذا ما ينبغى الاعراض عنه .

من كان أعظم من تلك المراة المباركة التى اصطفاها الله ، مريم العذراء ؟ ومع ذلك ، كيف نتحدث عنها ؟ نقول أن الله فضلها على نساء العالمين . فاذا لم يحدث — على نحو غريب — أن يكون أولئك الذين يسمعون قادرين على أن يفكروا تفكيرا لا انسانيا مثل هؤلاء الذين يتكلمون ، فقد تتساءل كل فتاة : « لماذا لم اكن انا ايضا مفضلة عند الله ؟ » فاذا لم يكن لدى ما اقوله سوى ذلك ، فلن استبعد هذا السؤال على أنه سؤال غبى ، لانه اذا كانت المسألة مسألة تفضيل ، فان كل انسان مرشح لذلك ، اذا نظرنا الى المسألة نظرة مجردة . أما الشيء الذى يغيب عنهم ، فهو الحزن والقلق والمفارقة . ان فكرى طاهر كفكر اى انسان آخر ، وفكر الشخص الذى يستطيع أن يفكر فى مثل هذه الاشياء لابد أن يكون طاهرا — فاذا لم يكن الامر كذلك ، فربما توقع المحنة ، لان ذلك الذى استحضر هذه الصور مرة ، لا يستطيع أن يتخلص منها ، فاذا أخطأ فى حقها انتقمت لنفسها انتقاما رهيبا ، أشد هولا من صخب عشرة محررين اشتهروا بالشراسة . ومن المؤكد أن مريم حملت طفلها بمعجزة ، ولكن الامر استمر معها بعد ذلك كما يستمر مع النساء العاديات ،وكان حملها قلقا وحزنا ومفارقة . ومن المؤكد أن الملاك كان روحا مبعوثا ، ولكنه لم يكن روحا متذللا قد من عليها بقوله لعذارى اسرائيل الاخريات : « لا تحتقروا مريم ،

لان مـــا حـــدث لها شيء غير عادى » . ذلك ان الملاك لم يأت الا لمريم ، وما كان لاحـــد ان يفهمها . فأين تلك المراة التى تحملت مـــا تحملته مريم ؟ اليس من الحق فى هـــذا المثل أيضا ان من يباركه الرب يلعنه فى نفس واحد ؟ هـــذا هو تأويل الروح لمريم ، فهى ليست (وهذا شيء صدمنى ان اقوله ، ولكنـــه يصدمنى اكثر عنـــدما افكر انهم قـــد أولوا المسألة بحمق ونزق على هـــذا النحو) ــ فهى ليست سيـــدة من علية القوم تجلس فى أبهـــة تلاعب ابنهـــا المسيح . ومع ذلك ، عنـــدما تقول « انظروا خادمة الرب » ـــ هنـــا تكون عظيمة ، واعتقـــد انـــه ان يكون عسيرا على المرء أن يفسر لمـــاذا أصبحت ام المسيح . انها ليست بحاجة الى الاعجاب الدنيوى ، بأكثر مما يحتـــــاج ابراهيم الى الدموع ، وهى لم تكن بطلة ، كما لم يكن ابراهيم بطلا ، ولـــكن كلا منهما صـــار أعظممن ذلك ، ولم يكن ذلك بحال لانهما أعفيـــا من الحزن والعذاب والمفارقة ، ولكنهما أصبحا عظيمين من خلال ذلك (٥٠) .

أنه لشيء عظيم أن يجرؤ الشاعر وهو يقـــدم بطله المأســـاوى لينال اعجـــاب الناســ يجرؤ على أن يقـــول « اذرفوا الدمع عليه ،لانـــه أهـــل لذلك » . لأنـــه من العظمة أن يستحق البطل دموع أولئك الجديرين بسكب الدموع . وانه لشيء عظيم أن يجرؤ الشـاعر على كبح جماح الجمهور ، وأن يجرؤ على تأنيب الناس ، متطلبا أن يفحص كل انسان نفسه ليرى ان كان جديرا بالبكاء على البطل . ذلك لأن الماء الضائع الذى يسكبه أصحاب الأوداج المنتفخة اهانة للمقدس ـــ وأعظم من هذا كله أن يجرؤ فارس الايمان على أن يقول لنبلاء الناس الذين يبكون من أجله : « لا تبكوا على ، بل ابـــكوا على أنفسكم » .

ان المرء ليتأثر تأثرا عميقا ، ويشتاق الى العـــودة الى تلك الازمنـــة الجميلة ، وثمة حنين عذب يقـــود المرء الى الهدف المنشود ، ليشاهد المسيح متجولا فى أرض الميعاد . وهنا ينسى المرء القلق والأسى والمفارقة . أكانت المسألة من اليسر بحيث لا يخطئها المرء ؟ ألم يكن رهيبا ان هذا الرجـــل الذى يمشى بين الناس ـــ ألم يكن رهيبا أنه السيد المسيح ؟ ألم يكن رهيبا

ان يجلس المرء معه الى المائدة ؟ أكان أمرا يسيرا أن يصبح المرء رسولا ؟ ولكن النتيجة ، ألف وثمانمائة عام — هذا شيء يساعد ، يساعد على هذا الخداع الرخيص الذى به يخدع المرء نفسه ويخدع الآخرين . وانا لا اجد فى نفسى الشجاعة لأن أرغب فى أن أكون معاصرا لمثل تلك الأحداث ، ولكننى لا أحكم بقسوة على أولئك الذين كانوا مخطئين ، كما لا أفكر بخسة فى أولئك الذين استقامت رؤيتهم .

وها انذا أعود — على كل حال — الى ابراهيم . وقبل النتيجة ، أما ان يكون ابراهيم قاتلا مدققا ، أو اننا نواجه مفارقة أعلى من كل توسط mediation .

وعلى هذا فان قصة ابراهيم تحتوى على تعليق غائى لما هو اخلاقى وهو كفرد أصبح أعلى من الكلى . هذه هى المفارقة التى لا تسمح بالتوسط ودخوله فى هذه المفارقة يستعصى على التفسير كبقائه فيها سواء بسواء . ولو لم يكن هذا هو موقف ابراهيم ، لما كان حتى بطلا مأساويا . وأما أن نستمر فى تلقيبه بأبى الايمان ، وأن نتحدث بهذا الى الناس الذين لا يعبأون بشىء الا بالكلمات .. هذا كله شيء يخلو من كل معنى . فالانسان يستطيع أن يكون بطلا مأساويا بقواه الخاصة — لا فارسا للايمان . فاذا سلك الانسان الطريق ، أو بمعنى ما الطريق الشاق الذى يسلكه البطل المأساوى ، فقد يستطيع الكثيرون اسداء النصح اليه ، أما ذلك الذى يسلك الطريق الضيق للايمان ، فلا يمكن أن يسدى اليه النصح أحد ، لأن أحدا لا يستطيع أن يفهمه . الايمان معجزة ، ومع ذلك ، فان أحدا ليس بمستبعد منه ، لأن هذا الذى تتحد فيه الحياة الانسانية لايكون الا عاطفة(*) ، والايمان عاطفة .

(*) عبر لسنج Lessing فى موضع ما عن فكرة مماثلة من وجهة نظر جمالية بحتة . وما يريد بيانه بوضوح فى تلك الفقرة أن الحزن أيضا يمكن أن يجد تعبيرا ملائما . ولهذا الغرض يستشهد برد للملك الانجليزى=

= التمس ادوارد الثانى.وفى مضاد ذلك يورد قصته من ديدرو عن امراة فلاحة ورد لها . ثم يواصل كلامه قائلا : « هذا أيضا لون من حضور البديهة، ولون تتمتع به فلاحة ، غير أن الموقف جعله شيئا محتوما . وبالتالى لاينبغى على المرء أن يلتمس العذر للتعبيرات اللماحة عن الألم والأسى فى تلك الحقيقة وهى أن الشخص الذى تفوه بها كان شخصا متفوقا ، حسن التعليم ، ذكيا ، لماحا فوق هذا كله ، **لأن العواطف تجعل الناس جميعا متساوين ، مرة أخرى** — ولكن ، يمكن التماس التفسير فى انه من المرجح ان يقول كل انسان الشىء عينه فى الموقف عينه . والفكرة التى تطرأ على ذهن فلاحة يمكن أن تطرأ على ذهن ملكة ، تماما ، كما أن ما قاله الملك فى ذلك المثل يمكن أن تقوله فلاحة ، بل لا شك أنها قالته » قارن
Sämtliche Werke, XXX. p. 223.

المشكلة الثانية

هل هناك شيء يسمى

واجب مطلق نحو الله ؟

الأخلاقى هو الكلى ، وبوصفه الكلى فانه — مرة أخرى — يكون الالهى . ومن ثم يحق للمرء أن يقول أن كل واجب هو أساسا واجب نحو الله ، ولكن ، اذا لم يستطع الانسان أن يضيف المزيد ، فانه يؤكد حينئذ فى الوقت نفسه أنه لا واجب على نحو الله ، اذا شئنا الدقة . والواجب يصبح واجبا بارجاعه الى الله ، ولكننى فى الواجب نفسه لا ادخل فى علاقة مع الله . فمن الواجب مثلا ان يحب المرء جاره ، ولكننى فى أداء هذا الواجب ، لا أدخل فى علاقة مع الله ، ولكن مع الجار الذى احبه . فاذا قلت حينئذ بصدد هذه المسألة ان من واجبى أن أحب الله ، كنت أعبر حقا عن تحصيل حاصل ، من حيث أن « الله » فى هذا المثل يؤخذ بمعنى مجرد تماما بوصفه الالهى ، أعنى الكلى ، أعنى الواجب . وبهذا يستدير الوجود الانسانى كله تماما مثل الكرة ، وعلى الفور يصبح الأخلاقى حده ومضمونه . ويصبح الله نقطة متلاشية غير مرئية، فكرة خالية من القوة ، من حيث أن « قوته » لا تكمن الا فى الاخلاقى الذى هو مضمون الوجود . فلو خطر لأى انسان على اى نحو من الانحاء أن ينشد حب الله بأى معنى آخر غير المعنى المشار اليه هنا — فانه يكون رومانسيا ، ويحب — فى هذه الحالة — طيفا لو اتيحت له القدرة على الكلام لقال له : « أنا لا أريد حبك . أمكث حيث تنتمى » . فاذا عن لانسان — على اى نحو كان أن يحب الله حبا مختلفا ، فان هذا الحب يكون عرضة للارتياب ، مثل ذلك الحب الذى تحدث عنه روسو ، مشيرا الى أولئك الناس الذين يحبون الكافرين بدلا من جيرانهم .

ففى الحالة التى يكون فيها ما نعرضه صحيحا ، وفى حالة عدم وجود شيء لا يمكن ان يقاس عليه فى حياة انسانية ، وان ما هو موجود فيها مما لا سبيل اليه لم يكن الا شيئا عرضيا لا يمكن أن نستخلص منه اية نتائج ، اى طالما نظرنا الى الوجود فى حدود الفكرة ، فان هيجل على حق ، ولكنه ليس على حق فى حديثه عن الايمان ، أو حين يسمح بأن ينظر الى ابراهيم بوصفه أبا الايمان ، لأنه بهذا العمل الأخير يصدر حكما على ابراهيم وعلى الايمان على السواء . وفى الفلسفة الهيجلية(٥٢) يوضع الخارجي das Aussere أعلى من الداخلى das Innere ويضرب لهذا مثل فى كثير من الاحيان . فالطفل هو الداخلى das Innere والرجل هو الخارجي das Aussere . ومن ثم فان الطفل يتحدد بما هو خارجي ، وبالعكس ، يتحدد الرجل — بوصفه خارجيا ، بما هو داخلى . اما فى الايمان — فالامر على النقيض — لأن الجوانى أعلى من البرانى — أو الرقم الفردى أعلى من الزوجي ، اذا تذكرنا تعبيرا استخدمناه آنفا .

وفى الطريقة الاخلاقية للنظر الى الحياة تكون مهمة الفرد اذن هى أن يجرد نفسه من المحددات determinants الداخلية وأن يعبر عنها بطريقة خارجية . وحيثما احجم عن هذا ، وحيثما مال الى الاصرار ، او الى الانزلاق مرة أخرى فى المحددات الداخلية للشعور أو المزاج ... الخ ، فانه يرتكب الخطيئة ، ويكون فى الغواية Anfechtung ومفارقة الايمان هى أن هناك جوانية لا سبيل الى قياسها بالنسبة للخارج ، جوانية لا يمكن أن تتطابق مع الاولى — وهذا ما ينبغى أن نلاحظه — وانما هى جوانية جديدة . وهذا شيء ينبغى الا نتجاهله . ولقد سمحت الفلسفة الحديثة (٥٣) لنفسها دون مزيد من الضجة أن تستبدل المباشر بـ « الايمان ». وعندما يفعل المرء ذلك ، فان من المضحك ان ينكر أن الايمان وجد فى كل العصور . وعلى هذا النحو يأتى الايمان مرافقا بسيطا للشعور والمزاج، وفرط الحساسية ، وحالات الكآبة والهستيريا ... الخ ، والى هذا الحد يمكن أن تصيب الفسلفة عندما تقول انه ينبغى على المرء ألا يتوقف هناك . ولكن ، ليس هناك ما يبرر الفلسفة فى استخدامها لهذه الجملة بصدد الايمان . فقبل الامان تجرى حركة للامتناهى ، وعندئذ فحسب ، ودون توقع(٥٤)،

وبفضل اللامعقول ، يظهر الايمان على المسرح . وهذا شيء أستطيع أن افهمه دون أن ادعى – على هـذا الاساس – اننى مؤمن . واذا كان الايمان ليس أكثر مما تجعله الفلسفة ، فان سقراط يكون قـد مضى فعـلا الى أبعد من ذلك ، ابعـد كثيرا ، على حين أن العكس هو الصحيح . وهو انه لـم يصـل اليه قط . فلقـد قام بحركـة اللامتناهى ، ولكن فى مجـال العقل . وجهله تسليم لا متناه . وهـذه المهمة فى حـد ذاتها مباراة للقوى الانسانية حتى لو كان الناس فى زماننا يترفعون عنها . ولكن ، بعد الانتهاء منها ، وبعد أن يكون الفرد قد أفرغ نفسه فى اللامتناهى ، عندئذ فحسب يبلغ النقطة التى يمكن فيها أن يظهر الايمـان .

ومفارقة الايمان هى أن الفردى أعلى من الكلى ، وأن الفردى (على سبيل التذكير بتمييز دجماطيقى (قطعى) نادرا ما نسمع به الآن) يحـدد علاقته بالكلى بواسطة علاقته بالمطلق ، ولا يحـدد علاقتـه بالمطـلق بواسطة علاقته بالكلى . ويمكن التعبير ايضـا عن هـذه المفارقـة بقولنا ان هنـاك واجبا مطلقا نحـو الله ، ذلك لأن فى علاقـة الواجب هـذه يقف الفرد بوصفه فردا فى علاقـة مطلقة مع المطلق . وهكذا عنـدما يقال بهذا الصـدد انه لواجب أن نحب الله ، فان شيئا مختلفا عـن هـذا قد قيـل فيما سبق ، لأنه لو كان هذا الواجب مطلقا ، اذن لاستحال الاخلاقى الى وضع النسبية . ولا يلزم عن ذلك على كل حال أن الاخلاقى شيء ينبغى الغاؤه ، ولكنه يكتسب تعبيرا مختلفا تمام الاختلاف – وهو على سبيل المثال أن حب الله قد يدفـع فارس الايمان الى اعطاء حبه لجاره هـو التعبير المعارض لما يقتضيه الواجب ، اذا تحدثنا بلغة الاخلاق .

فاذا لم يكن الامـر على هذا النحـو ، اذن فلن يكون للايمان مكان مناسب فى الوجـود ، ومن ثم فالايمان غواية **Anfechtung** وهنـا يضيع ابراهيم ، مادام قد استسلم لها .

وهذه المفارقة لا تسمح بالتوسط **mediation** لانها مؤسسـة بالضبط على أن الفرد هو فرد فحسب . وما أن يرغب هذا الفرد (الذى يشعر أنه يتلقى أمرا مباشرا من الله) فى التعبير عن واجبه المطلق بلغة الكلى

(أعنى بلغة الاخلاقى) ويكون على يقين من واجبه فى ذلك (أعنى فى القاعدة الكلية أو الاخلاقيـــة ، فانه يدرك أنه يتعـــرض لفتنة (أعنى امتحـــانا للايمـــان) ، فاذا قاوم فى الواقع (الاشارة المباشرة لمشيئة الله) فانه ينتهى بألا يؤدى الواجب المطلق المزعـــوم (أعنى ما سميناه هنا الواجب المطلق)، فاذا لم يفعل ذلك (أعنى أنه لم يقاوم الايمان المباشر لمشيئة الله) ، فانـــه يأثم ، حتى لو كانت فعلته هى ما يمليه عليه واجبه المطلق أن يفعله * .

فماذا كان ينبغى على ابراهيم أن يفعل ؟ لو أنه قال لشخص آخر ! « اننى احب اسحق حبا أعز من كل شىء فى الدنيا ، ومن ثم ، فانه يشق على نفسى أن أضحى به » ، فمن المؤكد أن يهز الآخـــر راسـه قائلا : « فلماذا تضحى به اذن ؟ » ـــ أو اذا كان هذا الآخـــر شخصا ماكـــرا ، فمن المؤكد أن يكون قد استشف ما فى نفس ابراهيم ، وأدرك أنه يقوم بعرض لمشاعره مما يتناقض تناقضا صارخا مع فعلته .

(*) لقد جازف المترجم بنقل هـــذه الجملة المشوشة فى حرية كبـــيرة (وان كان وضع اضافاته الشارحة بين أقواس) ، وذلك حتى يستطيع أن يبين المعنى الذى ينبغى أن تتخذه هـــذه الجملة اذا كان لابـــد أن تعبـــر عن المفارقة المحيرة « للتعلق الغائى للاخلاقى » . وهذا هو المعنى الذى يستخلصه منها نيلز ثلستروب **Niels Thulstrup** ، وقـــد أخبرنى أن هـــذه هى ترجمة امانويل هيرش **Emanuel Hirsch** . وكما كانت جملة كيركجور فى الاصـــل ـــ أى بدون اضافات شارحـــة ، فانها تذكرنى بلغو فارغ كنت أردده لتعمية المستمعين : « اذا كان الانسان أن يـــدل على ما ليس هو ، واذا كانت لديه القوة التى تنكر عليه ، فسوف يحـــاول على كل حال ـــ لمجرد أنه لا يفعل ، فهل تفعل أنت ؟ » ورغم أننى أحب كيركجور كثيرا ، فاننى أبغضه فى بعض الاحيان لأنه يؤرقنى بالليل اذ لا استطيع النوم واليقظة أن أفك من طلاسم جمله الموغلة فى التعقيد .

واننا لنجد مثل هذه المفارقة فى قصة ابراهيم . وعلاقته باسحق اذا عبرنا عنها تعبيرا أخلاقيا — هى أن الأب ينبغى أن يحب الابن . هذه العلاقة الاخلاقية قد انحطت الى وضع نسبى فى مضاد العلاقة المطلقة مع الله . وعلى هذا السؤال « لماذا ؟ » لا يجد ابراهيم جوابا الا انه امتحان ، ابتلاء (Fristelse) — وهما لفظان يعبران — كما لاحظنا آنفا — عن وحدة وجهتى نظر : أن ذلك فى سبيل الله ، وفى سبيله (اى سبيل ابراهيم) . وهاتان الطريقتان فى النظر الى المسألة تستبعد احداهما الأخرى فى الاستخدام العادى . وهكذا عندما نشاهد انسانا يفعل شيئا لا يتمشى مع الكلى ، نقول انه لا يمكن أن يفعل ذلك فى سبيل الله ، وبهذا نقصد انه يفعله من أجل نفسه . ومفارقة الايمان قد فقدت الحد الوسط، اعنى الكلى . اذ ينطبق عليها من ناحية تعبير الانانية القصوى (تأتيه من فعل بشع من أجل الذات الفاعلة) ، وتتضمن من ناحية أخرى التعبير عن اشد انواع التضحية بالذات اطلاقا (بأن تقدمها فى سبيل الله) . والايمان نفسه لا يمكن أن يتخذ مركزا وسطا فى الكلى ، لأنه يتحطم فى هذه الحالة . والايمان هو هذه المفارقة ، ولا يستطيع الفرد أن يجعل نفسه واضحا لأى انسان كان . ويتخيل الناس أنه ربما استطاع الفرد أن يجعل نفسه واضحا لفرد آخر يقع فى نفس الحالة . مثل هذه الفكرة قد تكون غير قابلة للتفكير اذا كان الناس فى زماننا لا يتسللون فى خبث بشتى الطرق — الى العظمة . وفارس الايمان لا يستطيع أن يقدم المعونة للآخر . فاما أن يصبح الفرد فارسا للايمان بتحمله لعبء المفارقة ، أو لا يكون فارسا على الاطلاق . والشركة فى مثل هذه المناطق أمر لا سبيل الى التفكير فيه . وأى مزيد من التفسير الدقيق لما ينبغى أن يفهه اسحق ، شىء لا يستطيع الا الفرد وحده أن يمنحه لنفسه . وحتى لو استطاع المرء — بوجه عام(٥٥) — أن يحدد على وجه الدقة ما هو المقصود باسحق (والذى يكون بالاضافة الى ذلك أشد المتناقضات الذاتية اضحاكا ، أعنى عندما يندرج الفرد الجزئى الذى يقف خارج الكلى تحت المقولات الكلية فى اللحظة التى ينبغى عليه فيها أن يتصرف بوصفه فردا خارج الكلى) . ولن يستطيع الفرد أبدا مع ذلك أن يؤكد لنفسه مستعينا بالآخرين أن هذا التطبيق مناسب ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك الا بنفسه

بوصفه فردا . ومن ثم اذا كان هناك انسان على درجة من الجبن والخسة بحيث يرغب فى أن يصير فارسا للايمان على مسئولية شخص خارجى ، فلن يصبح ابدا ذلك الفارس ، لأن الفرد هو الذىيصبح فارسا للايمان بوصفهالفرد المعين ، وهذه هى عظمة هذا الضرب من الفروسية ، وهذا ما استطيع أن افهمه جيـدا دون الدخول فى تلك الطائفة ، ما دمت افتقر الى الشجاعة ، ولكن هذا أيضا هو ما تنطوى عليه من رعب ، وهو شىء استطيع أن افهمه خيرا من ذلك .

وفى انجيللوقا ١٤ : ٢٦ – وهذا شىء يعرفه الجميع ، ثمة نظرية تساق للتعليم عن الواجب المطلق نحو الله : « ان كان أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وامه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسه ايضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا » . وهذا قول صعب فمن ذا الذى يستطيع أن يتحمل الاستماع اليه ؟ ولهذا السبب فانه لا يسمع الا نادرا جدا . وهذا الصمت – أيا كان الأمر – ليس الا هروبا لا جدوى منه. ومع ذلك ، فان طالب اللاهوت يتعلم أن يعرف أن هذه العبارات ترد فى « العهد الجديد » ، وفى كتاب أو آخر من كتب التفسير المساعدة (٥٦) يجد هذا التفسير وهو أن لفظة (يبغض) فى هذه الفقرة وفى فقرات أخرى قلائل تستخدم بمعنى بحيث تعنى **nihili facio L., noncolo, posthabeo-minus diligo**

ومهما يكن من أمر فان السياق الذى ترد فيه هذه الالفاظ لا يبدو انه يدعم هذا التفسير الذى يراعى حسن الذوق . وفى الآية التالية مباشرة ، هناك قصة عن رجل أراد أن يشيد برجا ، ولكنه جلس بادىء الأمر ليحسب ان كان قادرا على ذلك ، حتى لا يستهزىء به الناس فيما بعد . ويبدو أن الصلة الوثيقة بين هذه القصة والآية التى ذكرناها – يبدو أنها تشير بالضبط الى أن الالفاظ ينبغى أن تؤخذ على قدر الامكان بأفظع المعانى ، وذلك بهدف أن يفحص كل انسان نفسه فيما اذا كان قادرا على اقامة البناء .

---

* معنى هذه الالفاظ بالترتيب :
يجمعهم اقل ، **minus diligo** ينزلهم فى مكان ثاوى ، **posthabeo**
لايظهر لهم احتراما **non colo** يراهم عـدما nihili facio .

وفى حالة ما اذا كان هذا المفسر الورع الشفيق الذى قدر أنه بتخفيضه للثمن يمكن أن يقوم بتهريب المسيحية الى العالم — ما اذا كان محظوظا بما فيه الكفاية ليقنع انسانا ما — من الناحية النحوية واللغوية ، والمجازية ، أن هذا هو معنى تلك الفقرة ، فيمكن أن نأمل أنه فى اللحظة عينها سيكون محظوظا بما فيه الكفاية لاقناع هذا الانسان نفسه بأن المسيحية هى أحق الأشياء بالرثاء فى هذا العالم . لأن العقيدة التى تكون فى اشد تفجراتها غنائية ، وحيث يزدهر الشعور بصحتها الأبدية اقوى ازدهار له ، لا تجد ما تقوله سوى كلمة جوفاء لا تعنى شيئا ، وانما تدل فحسب على أن الانسان ينبغى أن يكون اقل عطفا ، واقل رعاية ، واكثر لامبالاة ، العقيدة التى تبدو فى لحظة وكأنها تعبر عن اشد الاشياء هولا تنتهى بنغمة صبيانية بدلا من أن تثير الرعب — هذه العقيدة لا تستحق أن ارفع قبعتى تحية لها .

الألفاظ رهيبة ، ومع ذلك أعتقد أن الانسان يستطيع أن يفهمها دون أن يفترض أن من يفهمها لديه الشجاعة لتنفيذها . ولابد للمرء على كل حال أن يكون من الامانة للاعتراف بأن ذلك المكتوب شىء عظيم ، وان لم يكن للانسان الشجاعة الجديرة به . ومن يتصرف على هذا النحو لن يجد نفسه مستبعدا من المشاركة فى القصة البديعة التى تتلو ذلك ، فهى على كل حال تتضمن لونا من العزاء للانسان الذى لا يملك الشجاعة للشروع فى تشييد البرج . ولكن ، ينبغى أن نكون أمناء ، والا نفسر هذا الافتقار للشجاعة على انه تواضع ، لانه فى حقيقة الامر كبرياء ، على حين أن شجاعة الايمان هى وحدها الشجاعة المتواضعة .

ومن اليسير على المرء أن يدرك انه لو كان لهذه الفقرة أى معنى ، فينبغى أن تفهم حرفيا . فالله هو الذى يطلب الحب المطلق . اما ذلك الذى فى طلبه لحب شخص ما يفكر فى أن هذا الحب ينبغى البرهنة عليه أيضا بأن يتنكر الانسان لكل ما كان عزيزا عليه — مثل هذا الانسان ليس أنانيا فحسب ، ولكنه غبى أيضا ، ومن يطلب مثل هذا الحب يوقع فى نفس اللحظة قرار اعدامه مفترضا أن حياته كانت مرتبطة بهذا الحب المشتهى . وهكذا يمكن أن يطلب زوج من زوجته أن تهجر أباها وأمها ، ولكن أن يعتبر الدليل على حبها

الخارق له أن تصير من أجله خاملة ، وابنة عاقة ... الخ ، فانه يكون فى هذه الحالة أغبى الأغبياء . ولو ان لديه اية فكرة عن الحب كيف يكون ، لأراد ان يكتشف انها كابنة وكأخت كانت كاملة فى حبها ، وأن يلتمس الدليل فى أن تحبه أكثر من اى شىء آخر فى العالم . فما ينظر اليه المرء فى حالة رجل ما على انه علامة على الأنانية والغباء ، ينظر اليه المرء بمعونة المفسر على انه تصور جدير بالاله .

ولكن ، كيف يفضهم المرء ؟ لن استحضر هنا التمييز الانسانى بين الحب والبغض — لا لأنى لدى الكثير مما اعترض به على هذا التمييز (لانه تمييز عاطفى على كل حال) ، ولكن لأنه أنانى ، وليس فى موضعه هنا . ومهما يكن من امر ، لو اننى نظرت الى المشكلة على انها مفارقة ، فسوف أفهمها اذن ، أى سوف أفهمها على النحو الذى يمكن أن يفهمها به الانسان بوصفها مفارقة ، وقد يدفع الواجب المطلق بالانسان الى أن يفعل ما تنهى عنه الأخلاق ، ولكنها لن تستطيع (أى الأخلاق) بأى حال من الاحوال أن تدفع فارس الايمان الى أن يكف عن الحب . وهذا ما يثبته إبراهيم . ففى اللحظة التى كان مهيئا فيها للتضحية باسحق ، كان التعبير الأخلاقى عما يفعله هو هذا : انه يبغض اسحق . ولكنه لو كان يبغض اسحق حقا ، لأمكنه ان يتأكد من ان الله لا يطلب هذا ، لأن قابيل وابراهيم ليسا شيئا واحدا . فلابد أن يحب اسحق بكل روحه ، وعندما يطلب الله اسحق ، فلابد ان يكون له أشد حبا واعزازا على قدر الامكان ، وعلى هذا الشرط وحده يمكن أن يضحى به . لأن هذا الحب لاسحق ، الذى هو فى معارضة تتسم بالمفارقة لحبه لله — هو فى الواقع الذى يجعل من فعلته تضحية . بيد أن الحزن والقلق فى هذه المفارقة يتمثلان فى أنه عاجز عن أن يجعل نفسه مفهوما ، هذا اذا تحدثنا من الوجهة الانسانية . ففى هذه اللحظة وحدها التى تكون فيها فعلته فى تناقض مطلق مع شعوره ، تكون فعلته تضحية ، ولكن واقعية فعلته هى العامل الذى بواسطته ينتمى الى الكلى ، وفى هذا الصدد يكون — ويظل — قاتلا .

وفضلا عن ذلك ، ينبغى أن تفهم الفقرة الواردة فى انجيل لوقا

على نحـــو يجعل من الواضح أشد الوضوح أن فارس الايمان لا يملك تعبيرا أعلى من الكلى (أعنى من الأخلاق) يستطيع به انقـــاذ نفسـه . وهكذا، لو فرضنا ــ مثــلا ــ أن الكنيسـة تتطلب مثل هذه التضحية من أحد أعضائها، كنا فى هـــذه الحالة وحدها بازاء بطـــل مأساوى . ذلك لأن فكرة الكنيسـة ليست اختلافا كيفيا عن فكرة الدولة من حيث أن الفرد يدخل فيها بواسطة توسط بسيط Simple mediation ، ومن حيث أن الفرد يدخـــل فى المفارقة ، فانه لا يبلغ فكرة الكنيسـة ، وهو لا يخـــرج من المفارقة ، ولكن ينبغى أن يجـــد فيها اما سعادته أو ضياعه . ومثـــل هذا البطـــل الكنسى يعبـــر فى فعله عن الكلى ، ولن يكون فى الكنيسـة شخص واحـــد يعجـــز عن فهمه ، حتى ولا أبـــوه وامـــه .. الخ . ومن ناحية أخـــرى ، لن يكون فارس الايمان ، كما أن عنده أيضا اجابة أخرى تختلف عن اجابـــة ابراهيم ، فهو لا يقول انه امتحان أو غواية يختبر بها .

والناس يحجمون عادة عن الاستشـهاد بمثـــل هـــذا النص الوارد فى انجيل لوقـــا ، اذ يخشـون أن يتركوا الحبل على الغارب للناس ، ويخشون أن يحدث الأسوأ حالما يضع الفرد فى ذهنه أن يسلك بوصفه فردا . وفضلا عن ذلك يعتقدون أن يحيا المرء بوصفه فردا هـــو أيسر الأشياء جميعا ، ومن ثم كان لابد من ارغام الناس على أن يرجعوا الى الكلى . اما أنـــا فلا استطيع أن اشـاطرهم لا هذا الخوف ولا ذاك الراى ، وكلاهما لسبب واحد بعينه . فمن تعلم أن الحياة كفرد هى أفظع الأشياء جميعا ، لن يخشى أن يقول انها عظيمة ، ولكنه سيقول هذا أيضا على نحو لا تكاد تكون فيـــه الالفاظ شركا للحيران ، بل الاحـــرى أن تعينه على الدخـــول فى الكلى ، وان أفسـحت كلماته مكانا الى حد ما للعظيم . والرجل الذى لا يجرؤ على ذكر مثل هذه النصوص لن يجرؤ على ذكر ابراهيم أيضا ، وفكرته عن أن من أشـد الأمور يسرا الحياة كفرد تتضمن اعترافا مريبا جدا بالنسبة الى نفسـه ، لأن ذلك الذى يكن لنفسـه احتراما حقيقيا ، واهتماما بروحه ، يقتنع بأن الانسـان الذى يعيش تحت مراقبة نفسه ، هو وحده فى العالم كله ـــ الذى يعيش فى صرامة وعزلة أكثر من عذراء فى صومعتها . اما ان هناك

بعض الناس الذين يحتاجون الى الارغام ، والذين اذا تمتعوا بالحرية انغمسوا فى الشهوات الأنانية كالسائمة ، فهذا حق لا ريب فيه ؛ ولكن على الانسان ان يثبت انه ليس من هذه الفئة بأنه يعرف كيف يتكلم فى خوف ورعدة . وتبجيلا لما هو عظيم ، لابد للمرء أن يتكلم ، حتى لا ينسى خوفا من التأثير السيء الذى لن يتكشف بكل يقين اذا تكلم انسان على نحو نرى به أنه يعرف العظمة ، ويعرف رعبها — وبمعزل عن الرعب لن نعرف الرجل العظيم على الاطلاق .

دعنا ننظر الآن فى مزيد من القرب الى الحزن والقلق فى مفارقة الايمان. البطل المأساوى ينكر ذاته فى سبيل التعبير عن الكلى ، أما فارس الايمان فينكر الكلى ليصبح فردا . وكل شيء يتوقف — كما قلنا آنفا — على كيفية الوضع الذى يتخذه الانسان . فمن يعتقد انه من اليسير ان يكون فردا ، يستطيع أن يوقن دائما بأنه ليس فارس الايمان لان الصعاليك والعباقرة الجوالين ليسوا رجال ايمان . وفارس الايمان يعرف من ناحية أخرى ، انه يترجم نفسه فى الكلى ، ويحرر طبعة نقية أنيقة من نفسه ، خالية من الأخطاء لشيء مجيد ان ينتمى الى الكلى . ويعرف أن من الجميل والصحى ان يكون فردا على قدر الامكان . ويستطيع كل انسان أن يقرأها . ويعرف أنه لشيء منعش أن يكون المرء واضحا لنفسه فى الكلى بحيث يفهمه ، وبحيث ان كل فرد يفهمه سيفهم الكلى أيضا من خلاله ، وسوف يستمع كلاهما بما يظله عليهما الكلى من امان . وهو يعرف انه لشيء جميل أن يولد فردا يتخذ من الكلى مسكنه ومستقره الأمين ، الذى يرحب به على الفور بذراعين مفتوحتين عندما يمكث فيه . ولكنه يعرف أيضا أن أعلى من ذلك هناك يلف صاعدا درب موحش ، ضيق ، منحدر ، وهو يعلم انه لأمر فظيع أن يولد خارج الكلى ، وان يسير دون أن يلتقى بمسافر واحد . وهو يعرف تمام المعرفة أين موضعه ، ويعرف مدى علاقته بالناس ، فاذا شئنا أن نتحدث من وجهة انسانية ، قلنا انه مجنون ، ولا يستطيع أن يجعل نفسه واضحا لأحد . فان لم يكن من المفروض أنه كذلك ، فهو اذن منافق ؛ وكلما ارتقى صاعدا الى اعلى فى هذا الممر ، صار منافقا من ابشع طراز .

ويعلم فارس الايمان أن استسلام المرء للكلى يلهب الحماسة ، وانه يقتضى الشجاعة ، ولكنه يعلم أيضا أن الايمان يكمن هنا ، لأنه من اجل الكلى. ويعلم انه لشىء مجيد أن يفهمه كل عقل نبيل ، مجيد الى درجة أن من يشاهده يزداد نبلا به ، ويشعر وكأنه مقيد به ، ولعلة أن يتمنى لو أن هذه المهمة عهدت اليه . وهكذا كان من الممكن أن يرغب ابراهيم يقينا من حين الى آخر أن يكون واجبه هو أن يحب اسحق الحب الذى يليق بأب ، وعلى نحو مفهوم للجميع تذكره العصور جميعا ، ويمكن أن يرغب فى أن تكون مهمته هى أن يضحى باسحق على مذبح الكلى ، حتى يحض الآباء على افعال عظيمة — فاذا الرعب يكاد يستولى عليه من فكرة أن مثل هذه الرغبات بالنسبة اليه ليست الا غوايات ، ولابد أن يعالجها بوصفها كذلك ، لأنه يعرف انه سبيل موحش ذلك الذى يسلكه ، وانه لا ينجز شيئا فى سبيل الكلى ، وانما هو وحده الذى يتعرض للامتحان والبلاء . والا ، فما ذلك الذى ينجزه ابراهيم فى سبيل الكلى ؟ دعونى أتحدث عن هذا من وجهة نظر انسانية ، انسانية تماما . لقد قضى سبعين عاما حتى انجب ابنا فى شيخوخته . وما يناله غيره من الناس سريعا ، ويستمتعون به طويلا ، أنفق هو فيه سبعين عاما . ولماذا ؟ لأنه امتحن ، ووضع موضع الاختبار . أليس ذلك جنونا ؟ غير أن ابراهيم كان مؤمنا — وقد اهتزت ساره ، ودفعته الى أن يتسرى بهاجر — ولكن كان عليه حنيئذ أن يأخذها بعيدا وانجب اسحق ، ثم كان عليه أن يمتحن مرة أخرى . كان يعلم أنه شىء مجيد أن يعبر عن الكلى، وشىء مجيد أن يعيش مع اسحق . ولكن ، ليست هذه هى المهمة . وكان يعلم انه لأمر يليق بالملوك أن يضحى بمثل هذا الابن فى سبيل الكلى ، وكان من الممكن أن يجد هو نفسه راحة فى ذلك ، وكان من الممكن أن يرتاح الجميع فى الاشادة بفعلته ، كما يشرع الحرف اللين فى صوته الساكن(٥٧) ، ولكن ليست هذه هى المهمة ، انه يتعرض لامتحان . والقائد الرومانى الذى اشتهر بلقب المسوف(٥٨) Cunctator كان يصد العدو بالتسويف . ولكن أى مسوف كان ابراهيم بالقياس اليه ! .. ومع ذلك ، فانه لم ينقذ الدولة . هذا هو مضمون ثلاثين ومائة عام . من ذا الذى يستطيع أن يتحمل ذلك ؟ أما كان زمانه المعاصر — اذا جاز لنا أن نتحدث عن شىء كهذا —

يستطيع أن يقول له : « ابراهيم يسوف الى الأبــد . وأخيرا ها هو ينجب ابنا . لقد استغرق هذا زمنا طويلا ، والآن يريد أن يضحى به . أليس مجنونا ؟ وحتى اذا استطاع أن يشرح لماذا يريد ذلك على أقــل تقدير ــ ولكنه يقول دائما انه امتحان » . وهنا لا يستطيع ابراهيم أن يأتى بالمزيد من الشرح ، ذلك أن حياته أشبه بكتاب موضوع تحت مصادرة الهية ، ولا يمكن أن يكون أبدا ملكية عامة(٥٩) **Puplici juris** .

وهذا هو الشيء الرهيب . ومن لا يرى ذلك ، يستطيع أن يكون دائمــا على يقين من أنه ليس فارس ايمان ، أما من يراه فلن ينكر أنه حتى أكثــر الابطــال المأساويين تعرضــا للامتحان ، يسير بخطوة راقصة اذا قيس بفارس الايمان ، الذى يأتى بطيئا زاحفا الى الامام . فاذا أدرك ذلك ، وطمأن نفســه بأنه لا يملك الشجاعة لفهمه ، فسيكون لديه على الأقــل شعور بذلك المجد الرائع الذى يبلغه هذا الفارس من حيث أنه أصبح أحــد معارف الله الحميمين ، صديقا للرب ، و (بلغة انسانية تماما) يقول « أنت » الله فى السموات ، على حين أنه حتى البطل المأساوى لا يخاطبه الا بضمير الغائب .

وما أن يتأهب البطل المأساوى ، ويفرغ من معركته ، حتى يقــدم على الحركة اللامتناهية ، ومن ثم يجد نفســه آمنا فى الكلى . اما فارس الايمان فيظل ــ من جهة أخــرى ــ مؤرقا لا يعــرف الى النوم سبيلا ، لأنه ممتحن دائما وأبدا ، وفى كل لحظة هناك امكانية أن يعود نادما الى الكلى ، وهذه الامكانية يمكن أن تكون هى أيضا امتحانا كالحقيقة . وهو لا يستطيع أن يستمد من أحــد البينة على حقيقتها ، لأنــه فى هــذا الاستفسار يكون خــارج المفارقة .

ولهذا كان لابد لفارس الايمان أن تكون لديه أولا وقبل كل شيء الشهوة اللازمة لتركيز الاخلاقى الذى يتخطاه على عامل واحــد ، وذلك حتى يستطيع أن يمنح نفسه اليقين بأنه يحب أسحق حقا بجماع روحه* .

---

* سأقوم مرة أخــرى بتوضيح الاختلاف بين الصراعات التى يلقــاها البطل المأساوى وتلك التى يلقاها فارس الايمان . فالبطل المأسوى يؤكد =

فاذا لم يستطيع أن يفعل ذلك ، كان واقعا فى الغواية . وفى المثل الثانى ، فان لديه من العاطفة ما يكفى لكى يجعل هذا اليقين ميسرا فى طرفة عين ، وعلى هذا النحو يكون صحيحا صحة تامة مثلما كان فى المثل الاول . فان لم يكن قادرا على ان يفعل ذلك ، فلن يتمكن أبدا من أن يتحرك من موقعه ، لأن عليه باستمرار ان يبدأ المسألة كلها من جديد . ويقوم البطل المأساوى أيضا بتركيز الأخلاقى على عامل واحد ، ذلك الأخلاقى الذى تجاوزه من الموجهة الغائية teleological ، ولكنه كان يتمتع فى هذا المجال بمساندة الكلى . أما فارس الايمان فيقف وحيدا دون سند ، وهذا ما يؤلف فظاعة الموقف . ومعظم الناس يعيشون على هذا النحو خاضعين لالتزام أخلاقى بحيث يستطيعون أن يدعوا الأسى كافيا ليومهم هذا ، ولكنهم لا يبلغون أبدا ذلك التركيز العاطفى ، وذلك الشعور المتدفق . وربما ساعد الكلى البطل المأساوى على بلوغ ذلك — بمعنى ما — وأما فارس الأيمان فمتروك لنفسه تماما . ويقوم البطل بفعلته ، ويجد الراحة فى الكلى ، أما فارس الايمان فيبقى فى توتر مستمر . فأجاممنون يتنازل عن افيجينيا ، ومن

= لنفسه أن الالتزام الاخلاقى (أعنى الالتزام الاخلاقى الادنى الذى يطرحه جانبا فى سبيل الأعلى فى هذه الحالة الحاضرة ، هو تبعالذلك الالتزام بانقاذ حياة ابنته) حاضر بأكمله فيه لأنه يحيله الى رغبة . وهكذا يستطيع أجاممنون أن يقول : « الدليل على أننى لا أسىء الى واجبى الأبوى هو أن واجبى هو رغبتى الوحيدة » ومن ثم نجد لدينا هنا الرغبة والواجب وجها لوجه . والفرصة السعيدة فى الحياة هى أن الاثنين يتجاوبان ، وأن رغبتى هى واجبى ، وبالعكس ، ومهمة معظم الناس فى الحياة هى أن يظلوا فى واجبهم ، وأن يحيلوه بحماستهم الى أن يصبح رغبتهم . أما البطل المأساوى فيتنازل عن رغبته ليؤدى واجبه . وبالنسبة لفارس الايمان تتطابق الرغبة والواجب أيضا ، ولكنه مطالب بأن يتنازل عن الاثنين ومن ثم ، فانه حين يقنع نفسه بالتخلى عن رغبته لا يجد الراحة ، لأنها واجبه قبل كل شىء ، فاذا ظل فى نطاق واجبه ومشيئته ، لم يكن فارسا للايمان ، لأن الواجب المطلق يقتضى أن يتنازل عنهما . أما البطل المأساوى فقد أدرك تعبيرا ساميا عن الواجب ، ولكنه لم يدرك الواجب المطلق .

ثم يجد السكينة فى الكلى ؛ ثم يقدم على الخطوة الخاصة بتضحيتها . فلو لم يقم اجاممنون بالحركة اللامتناهية ، ولو أن روحه كانت فى تلك اللحظةالحاسمة بدلا من أن تقوم بالتركيز العاطفى — كانت مستغرقة فى ذلك اللغو الشائع من ان له عددا من البنات ، وأن شيئا خارقا قد يحدث — فلن يكون بطلا بالطبع ، وانما حالة مرضية . وهذا التركيز البطولى كان يتمتع به ابراهيم ايضا ، وان كان فى حالته أصعب كثيرا ، مادام لا يجد له سندا فى الكلى ، ولكنه يقوم بحركة أخرى يركز بها روحه على المعجزة . ولو لم يفعل ابراهيم هذا ، لكان مجرد أجاممنون — اعنى لو كان ممكنا على اى نحو من الأنحاء تفسير كيف يمكن تبرير فعلته فى التضحية باسحق ، على حين لا يضاف اى ربح الى الكلى .

وسواء أكان الفرد فى غواية ، أم كان فارسا للايمان ، فهذا ما يستطيع الفرد وحده أن يحدده . ومع ذلك ، من الممكن أن ننشىء من المفارقة عدة معايير يستطيع أن يفهمها أيضا من لم يكن فى نطاق المفارقة . وفارس الايمان الحقيقى هو دائما عزلة مطلقة ، أما الفارس المزيف فعضو فى طائفة . وهذه الطائفية محاولة لتفادى المرور بالدرب الضيق للمفارقة ، ولاكتساب لقب البطل المأساوى بثمن بخس . البطل المأساوى يعبر عن الكلى ، ويضحى بنفسه فى سبيله . أما الطائفى المهرج ، فانه يملك عوضا عن هذا — مسرحا خاصا ، أعنى مجموعة من الأصدقاء والأصحاب الأوفياء الذين يعرضون الكلى كما يعرض الشمامسة العدالة فى مسرحية « علبة السعوط الذهبية » (٦٠) . أما فارس الايمان — فعلى النقيض من ذلك — هو المفارقة ، وهو الفرد ؛ ولا شىء على الاطلاق الا الفرد ، دون روابط أو ادعاءات . وهذا هو الشىء المرعب الذى لا يستطيع القزم الطائفى أن يتحمله . فبدلا من أن يتعلم من ذلك الرعب أنه غير قادر على القيام بالفعل العظيم ، والاعتراف بعجزه صراحة (هو فعل لا أستطيع الا أن أوافق عليه لأن هذا هو ما أفعله) يعتقد القزم أنه باتحاده مع الأقزام الآخرين يستطيع القيام به . ولكن ، هذا شىء خارج الموضوع تماما . ففى عالم الروح لا يمكن احتمال أى غش . قد تضم دستة من الاقزام سواعدها معا ، ولكنهم لا يعلمون

شيئا — ايا كان — عن الغوايات الموحشة التى تنتظر فارس الايمان ، والتى لا يجرؤ على تفاديها ، لأنه سيكون من الأفظع عندئذ أن يهرول قدما فى وقاحة . اما الطائفيون فيصمون آذان بعضهم البعض بما يحدثون من جلبة وصخب ، ويصدون القلق بصيحاتهم ، وهكذا تظن هذه الجماعة الرياضية الصاخبة انهم يقتحمون السماء ، ويحسبون أنهم يسيرون على نفس الدرب الذى يسلكه فارس الايمان الذى لا يتناهى اليه — وهو فى عزلة الكون — أى صوت بشرى ، وانما يتقدم وحده حاملا على كاهله مسئوليته الرهيبة .

وفارس الايمان مرغم على الاعتماد على نفسه وحده ، ويشعر بالألم لعجزه عن أن يجعل نفسه واضحا للآخرين ، ولكنه لا يشعر بأية رغبة يشوبها الغرور لارشاد الآخرين . ويأتى أمله من يقينه بأنه يسلك الطريق الصحيح ، أما تلك الرغبة الغرور فانه لا يعرفها . فهو اكثر جدية من أن يكون على مثل هذا الغرور . أما فارس الايمان المزيف فانه مهيأ للكشف عن زيفه بهذه الكفاءة فى الارشاد التى اكتسبها فى لحظة واحدة . وهو لا يفهم عما يدور هذا كله ، وأنه لو سلك فرد آخر الطريق نفسه ، لكان ينبغى عليه أن يصبح تماما على النحو نفسه ذلك الفرد دون ان يكون فى حاجة الى ارشاد أى مخلوق ، ولاسيما ارشاد شخص يقحم نفسه . وعند هذه النقطة ينفلت الناس جانبا ، لأنهم لا يستطيعون احتمال الاستشهاد الذى ينشأ عن عدم فهم الآخرين لهم ، وبدلا من ذلك ، يؤثرون الاعجاب الدنيوى بكفاءتهم ايثارا للراحة . اما فارس الايمان الحقيقى فهو شاهد ، ولن يكون معلما أبدا ، وهنا تكمن انسانيته العميقة ، التى تستحق نصيبا أكبر كثيرا من تلك المشاركة البلهاء فى أفراح الآخرين واتراحهم التى يمجدها الناس باسم التعاطف ، وان لم تكن فى حقيقة الأمر الا غرورا . ان من لا يريد الا أن يكون شاهدا يقر بأنه ما من انسان ، حتى لو كان أشد الناس وضاعة — يحتاج الى تعاطف انسان آخر ، أو الى الحط من قدره ليعلو قدر انسان غيره . ولكنه مادام لم يكسب ما كسبه بثمن رخيص ، فانه لن يبيعه بثمن

بخس ، وهو ليس من الدناءة بحيث يأخذ اعجاب الناس ليعطيهم في التبايل ازدراءه الصامت ، اذ يعلم أن ما هو عظيم حقا ، يكون في متناول الجميع على السواء .

فاما أن هناك واجبا مطلقا نحو الله ، فان يكن الأمر كذلك فان هذا الواجب يكون هو المفارقة التي وصفناها هنا ، أعني أن الفرد بوصفه فردا يكون أعلى من الكلي ، وبوصفه فردا يقف في علاقة مطلقة مع المطلق أو أن الايمان لم يوجد قط ، لأنه وجد دائما وابدا ، أو بتعبير مختلف ، يضيع ابراهيم ، أو يجب أن يفسر المرء الفقرة الواردة في الاصحاح الرابع عشر من انجيل لوقا كما فسرها ذلك المفسر حسن الذوق ، وأن يفسر على هذا النحو نفسه الفقرات المماثلة والمتشابهة (٦١) .

المشـــكلة الثالثة

هل يمكن الدفاع عن ابراهيم من الوجهة الأخلاقية فى اخفاء نيته عن ساره وأليعازر واسحق ؟

الأخلاقى بوصفه كذلك هو الكلى ، وهو بوصفه الكلى أيضا يكون هو الظاهر ، المعلن . أما الفرد منظورا اليه على ما هـو عليه مباشرة ، أعنى بوصفة كائنا فزيائيا نفسيا ، فهو الخفى ، المستور . ومـن ثم فان واجبه الأخلاقى هو أن يخرج من هذا الخفاء وأن يكشف عن نفسه فى الكلى . وكلما شاء أن يبقى فى الحجاب يأثم ويمكث فى الغواية ، التى لا يخرج منها الا بالكشف عن نفسه .

وبهذا نعود مرة أخرى الى نفس النقطة . فلو لم يكن ثمة احتجاب يتخذ أساسه من أن الفرد بوصفه فردا هو أعلى من الكلى ، اذن لكان سلوك ابراهيم أمرا لا يقبل التبرير ، لأنه لم يعبأ بالمحددات الأخلاقية الوسيطة intermediate ethical determinants . ولو أن هناك — من ناحية أخرى — مثل هذا الاحتجاب ، فاننا نكون فى حضرة المفارقة التى يمكن التوسط فيها من حيث استنادها الى أن الفرد بوصفه فردا يكون أعلى من الكلى ، ولكن الكلى هو الوساطة mediation ، على وجه التحديد . وتذهب الفلسفة الهيجلية الى أنه لا وجود لاحتجاب مبرر ، أو لاقياسية مبررة justified incommensurability . ومن ثم فانهـا متسقة مع نفسها حين تتطلب الجهر ، ولكنها ليست مبررة حين تنظر الى ابراهيـم بوصفه أبا الايمان ، أو حين تتحدث عـن الايمان . لأن الايمان ليس هـو المباشرة الأولى first immediacy ، ولكنـه

مباشرة لاحقة Subsequent . اما المباشرة الاولى فهى الجمالى Aesthetical ، وفى هذا قد تكون الفلسفة الهيجيلية على حق . غير أن الايمان ليس هو الجمالى — والا لم يوجد الايمان قط ؛ لأنه كان موجودا دائما وأبدا .

وقد يكون من الأفضل ان ننظر الى المسالة برمتها من وجهة نظر جمالية خالصة ، وبهذا القصد نشرع فى مداولة جمالية أرجو أن يستسلم لها القارىء تماما الى حين ، بينما سأعمل من جهتى — للاسهام بنصيبى — على تعديل عرضى ليتفق مع الموضوع . والقولة التى سأبحثها بحثا أدق هى مقولة « الشائق » interesting ، وهى مقولة اكتسبت فى عصرنا — بوجه خاص — أهمية عظمى (لأن عصرنا يعيش نقطة تحول فى التاريخ) ، ولأنها على الأصح مقولة نقطة التحول . وعلى هذا ، ينبغى علينا بعد أن أحببنا هذه المقولة بكل ما فينا من قوة — ينبغى الا نزدريها كما يفعل البعض — لأننا قد كبرنا عليها ؛ ولكن لا ينبغى علينا أيضا أن نكون من شدة الطمع بحيث نرجو الوصول اليها ، فمن اليقين أن رغبة المرء فى ان يكون « شائقا » أو أن تكون له حياة شائقة — من اليقين أن هذه ليست مهمة الفن الصناعى ، ولكنها ميزة قدرية ، fateful privilege وهى كأية ميزة فى عالم الروح لا تشترى الا بالألم العميق . وعلى سبيل المثال كان سقراط أكثر من عاش من الناس تشويقا ، وكانت حياته أكثر الحيوات التى سجلها التاريخ تشويقا ، غير أن هذا الوجود شىء خصه به الاله ؛ ولما كان عليه أن يكتسبه ، لم يكن العناء والألم أمرين غير مألوفين له . وأن تؤخذ مثل هذه الحياة سدى شىء لا يليق برجل يأخذ الحياة مأخذ الجد ، ومع ذلك ، من النادر أن نشاهد فى عصرنا نماذج على هذا الجهد . وفضلا عن ذلك ؛ فان « الشائق » مقولة حدية border-category فهى الحد الفاصل بين علم الجمال وعلم الأخلاق . ولهذا السبب ينبغى أن تلقى مداولتنا بنظرة مستمرة الى ميدان الأخلاق ؛ على حين أنها لكى تكون قادرة على اكتساب الدلالة ؛ ينبغى أن تقبض على المشكلة بشدة جمالية وشهوة عارمة . فقلما يتناول علم الأخلاق فى زماننا مثل هذه الأمور . والمفروض أن يكون السبب فى ذلك أنه لا يوجد

لـها مكان مناسـب فى « المذهب » . وعلى هذا ، فمن المؤكد ان يتناولها المرء فى مقال موجز ، فان لم يكن ثمة مجال للاسـهاب ، فليلجأ المرء الى الايجاز ، ولكن على أن يبلغ نفس النهاية — هذا اذا كان الانسـان يملك فى قدرته صفة واحدة (المحمول Predicate) ، لأن صفة واحدة او صفتين يمكن أن تكشـفا عن عالم بأسـره . الا يمكن أن يوجد مكان ما فى المذهب لكلمة صـغيرة مثل كلمة الصـفة ؟ (المحمول) .

يقول أرسـطو (٦٢) فى كتابه الخالد « فن الشـعر » : « جزءان فى الأسـطورة يتصلان بهذا الموضوع (أى الموضـوع الذى كان يتحدث عنه أرسـطو) . هما التغير Change والتعرف Recognition . وانـما بـالطبع معنى هنا بالعامل الثانى الذى هو التعرف recognition . وحيثما تـعلقت المسـألة بتعرف ما فان ذلك يتضمن فى حد ذاته اخفاء سـابقا . وكما أن التعرف هو عامل الانفراج للازمة ، كما انه العامل المخفف فى الحياة الدرامية ، فان الاخفاء هو عامل التوتر . وما قاله أرسـطو فى الفصل نفسـه عن مزايا المأسـاة التى تباين مدحها حسـبما يصطدم (٦٣) كل من التغير والتعرف الواحد بالآخر فى نفس اللحظة ؛ وكذلك ما يقوله أيضـا عن « الفرد » و « التعرف المزدوج » double recognition — ما يقوله عن هذا وذاك لا أسـتطيع أن أضـعه هنا موضـع الاعتبار ، وان يكن ما غيه من جوانية inwardness ، وتركيز هادىء ، يجعل ما يقوله مغريا بوجه خاص لشـخص ارهقته تلك الاحاطة الشـاملة التى يدعيهـا الجهابذة الموسـوعيون . وربما كان من المناسـب أن نورد هنا ملاحظة اكثر

---

* المحمول مصـطلح منطقى ومـعناه الصـفة أو المسـند . فالقضـية فى المنطق تتألف من موضـوع ومحمول وهو ما يقابل فى اللغة الصـفة او المسـند ، والجملة اللغوية تتألف من صـفة وموصـوف او مسـند ومسـند اليه ، والتعريف المنطقى للمحمول هو الحد الذى يضـاف الى الموضـوع فى القضـية . (ف . ك) .

عمومية . ففى المأساة الاغريقية يعد الاخفاء (وبالتالى التعرف) بقية ملحمية قائمة على قدر تتوارى فيه الحركة الدرامية عن الأنظار ، ومنها تستمد أصلها الغامض الملغز . ومن ثم كان الأثر الذى تحدثه المأساة الاغريقية أشبه بتأثير تمثال من رخام يفتقر الى قدرة البصر . فالمأساة الاغريقية عمياء . ولهذا كان لابد من قدر معين من التجريد لتقديرها التقدير الصحيح . فهذا ابن (٦٤) يغتال أباه ، ولكنه لا يعلم الا فيما بعد أن هذا الشخص كان أباه . وهذه أخت (٦٥) تريد التضحية بأخيها ، ولكنها تعرف فى اللحظة الحاسمة من يكون . هذا الدافع الدرامى لا يقدر على انتزاع الاهتمام من عصرنا الذى يميل الى التأمل reflective . وقد تخلت الدراما الحديثة عن القدر ، وحررت نفسها دراميا ، وبدأت تبصر بعينيها ، وتفحص نفسها ، وتذيب القدر فى شعورها الدرامى . واضحى الاحتجاب والكشف فى هذه الحالة هما الفعل الحر الذى يسأل عنه البطل .

والتعرف والاخفاء حاضران أيضا كعنصر جوهرى فى الدراما الحديثة . وأن نسوق الأمثلة على ذلك ، أمر يدفعنا الى الاسهاب . وانى من اللباقة بحيث أفترض أن كل انسان فى عصرنا المفرط فى النواحى الجمالية ، والقادر ، والمتأجج ، بحيث يأتى اليه فعل التصور فى يسر كما يأتى لدجاجة الحجل والتى لا تحتاج — كما يؤكد أرسطو (٦٦) — الا الى الاستماع لصوت الديك ، أو لصوت طيرانه عاليا — افترض أن كل انسان لدى مجرد سماعه لكلمة « اخفاء » سيكون قادرا على أن ينفض من كمه نصف دسته من الحكايات الغرامية والمهازل . ولهذا أعبر عن نفسى باقتضاب . وسأدلى على الفور بملاحظة عامة . ففى حالة ما اذا أخفى الشخص الذى يلعب لعبة الاخفاء (وبالتالى يدخل الى المسرحية الخميرة الدرامية) أخفى شيئا تافها ، فاننا نكون بازاء ملهاة ، أما أن كان يقف — من جهة أخرى — فى علاقة مع الفكرة ، فقد يقترب من أن يكون بطلا مأساويا . وسأضرب هنا مثلا على ما هو هزلى Comic . فهذا رجل يصبغ وجهه بالأحمر ويضع على رأسه باروكة . وهذا الرجل نفسه متلهف على تجربة حظه مع الجنس اللطيف . وهو على يقين تام

من انتصاره بمعونة الاحمر والباروكة اللذين يجعلانه شخصا لا سبيل الى مقاومته على الاطلاق . ويقتنص فتاة ، ويصل الى أوج السعادة . وهنا يأتي مربط الفرس : فلو أنه استطاع الاعتراف بهذه الزينة ، فانه لا يفتقد كل قدراته الفاتنة ، وعندما يكشف عن نفسه بوصفه رجلا عاديا بسيطا ، وأن له صلعة ، فانه لا يفتقد المحبوبة عندئذ — فالاخفاء هنا هو فعله الحر ، الذى يعتبره علم الجمال مسئولا عنه . فهذا العلم ليس صديقا للمنافقين الصلع ، ولهذا يتركه تحت رحمة الضحك . ويكفى هذا للتلميح الى ما اعنيه — فالهزلى لا يمكن أن يكون موضوعا يهتم به هذا البحث .

ولزام على أن افحص — من الوجهة الجدلية — الدور الذى يلعبه الاخفاء فى علم الجمال وعلم الأخلاق ، لأن المسألة هى أن أبين الأختلاف المطلق بين الاخفاء الجمالى والمفارقة .

واليكم هذين المثالين : فتاة تسر حبها لرجل ما ، وان لم يعترف احدهما للآخر بحبه اعترافا صريحا . ويرغمها والداها على الزواج من شخص آخر (وقد يكون هناك فضلا عن ذلك اعتبار التقوى البنوية التى تحدد قرارها) ، فتطيع أبواها وتكتم حبها « حتى لا تجعل الآخر شقيا ، ولن يعرف أحد قط ما تعانيه » . — وهذا شاب يستطيع بكلمة واحدة أن يمتلك موضوع أشواقه وأحلامه الحائرة . وهذه الكلمة الصغيرة ستعرض للفضيحة ، بل ربما (من يعلم ؟) حطمت أسرة بأكملها ، ولكنه يتخذ قرارا شهما بأن يظل على كتمانه ، « لن تعرف الفتاة هذا أبدا ، حتى تصبح سعيدة باعطاء يدها لرجل آخر » وللأسف الشديد أن هذين الشخصين اللذين آثرا اخفاء عزمهما عن محبوبيهما ، لم يكتشف أحدهما الآخر ، والا لجمعت بينهما وحدة عظمى لها شأنها — وخفاؤهما فعل حر ، فعل مسئولان عنه أيضا أمام علم الجمال . فعلم الجمال على كل حال ، هو علم مجامل مسرف فى عاطفيته **Sentimental** ، يعرف من الحيل أكثر مما يعرف صاحب الرهونات . فماذا يفعل اذن ؟ أنه يجعل كل شىء ممكن أمام العشاق . فبمعونة مصادفة ما يعرف الشريكان فى الزواج المزمع عقده تلميحا عن العزم الخطير الشأن الذى يتخذه

الطرف الآخر ، وينتهى الامر بتفسير ، وينال كل منهما الآخر ، ويصلان فى الوقت نفسه الى مرتبة الأبطال الحقيقيين . فعلى الرغم من أن الوقت لم يتح لهما للنوم بعد اتخاذ قرارهما ، يعاملهما علم الجمال وكأنهما قد حاربا بشجاعة سنوات طوالا فى سبيل ما اتخذاه من قرار . ذلك لأن علم الجمال لا يعنى نفسه كثيرا بالزمن ، وسواء أكان الأمر هزلا أم جدا ، فان الزمن يجرى سراعا بالنسبة اليه .

بيد أن الأخلاق لا تعرف شيئا عن هذه المصادفة أو عن تلك الطرطشة العاطفية ، كما أنها لا تتصور الزمن ذلك التصور الخاطف . ومن ثم تتخذ المسألة وجها مختلفا . فلا جدوى من الدخول فى جدل مع الأخلاق ، لأن له مقولاته الخالصة . وهى لا تهيب بالتجربة ، التى تعد أكثر الأشياء المضحكة اضحاكا ، والتى بدلا من أن تجعل الانسان حكيما ، تجعله مجنونا ان لم يكن يعلم شيئا اعلى منها . ولا يمتلك علم الأخلاق فى حوزته أية مصادفة ، ومن ثم لا تنتهى الأمور بتفسير ، فهو لا يمزح مع الاشياء الجليلة ، بل يضع مسئولية هائلة على عاتق البطل الهزيل ، فهو يشجب رغبته فى أن يلعب لعبة العناية الالهية بأفعاله ، يشجب هذه الرغبة بوصفها تطاولا ، ولكنها تستنكره أيضا لرغبته فى أن يفعل ذلك بواسطة معاناته . فهو يطلب من الانسان أن يؤمن بالواقع ، وأن تكون لديه الشجاعة للنضال ضد أحزان الواقع جميعا ، بل ضد كل تلك العذابات التى تخلو من الرحمة ، والتى تحملها على مسئوليته الخاصة . وهذا العلم (أعنى علم الأخلاق) يحذر ضد الايمان بحسابات العقل التى هى أشد غدرا من نبوءات العصور القديمة . كما يحذر ضد كل شهامة فى غير اوانها . فلندع الواقع يقرر — وعندئذ يحين الوقت لاظهار الشجاعة . وحينئذ يقدم علم الأخلاق نفسه كل عون ممكن . فلو أن هناك شيئا أعمق يتحرك فى هذين الاثنين ، ولو أن الجدية كانت هناك لتشاهد ذلك العمل . ولتشرع فيه ، اذن لأتى شىء منهما . غير أن علم الأخلاق لا يمكنه أن يساعد . فقد أهين ، لأنهما يخفيان عنه سرا . سرا يكتمانه مجازفين بحياتهما .

وهكذا يتطلب علم الجمال الاخفاء ، ويكافىء عليه ، أما علم الأخلاق فيقتضى الكشف ويعاقب الاخفاء .

وحتى علم الجمال ، فانه يتطلب الكشف فى بعض الأحيان . وعندما يقع البطل فى أحبولة الوهم الجمالى فيظن انه ينقذ شخصا آخر بصمته ، فهو يطالب بالصمت حينذاك ، ويثيب عليه . ومن ناحية اخرى ، عندما يتدخل البطل بفعله تدخلا مزعجا فى حياة شخص آخر ، فانه يتطلب الكشف فى تلك الحالة . وأنا اتحدث الآن فى موضوع البطل المأساوى ، وسأحاول النظر على عجل فى مسرحية « افيجينيا فى أوليس » ليوريبيديز . لابد أن يضحى أجاممنون بافيجينيا . والآن يطالب علم الجمال بأن يلزم أجاممنون الصمت ، اذ لا يليق بالبطل أن يسعى الى الراحة عند شخص آخر ، كما أنه — مراعاة للنسوة أيضا — ينبغى أن يخفى عنهن هذا الأمر ما وسعه الاخفاء . ومن ناحية أخرى ، لكى يكون البطل بطلا ، فلابد من امتحانه بغوايات رهيبة تمده بها دموع كليتمنسترا وافيجينيا . فماذا يصنع علم الجمال ؟ ان لديه حيلة ، ويقف طوع أمره خادم يكشف كل شىء لكليتمنسترا . ومن ثم ، يسير كل شىء كما ينبغى أن يسير .

أما علم الاخلاق ، فلا يجد مصادفة فى متناول يده ، ولا يجد خادما عجوزا . والفكرة الجمالية تناقض نفسها حالما يكون من الضرورى تنفيذها فى الواقع . ومن ثم يتطلب علم الأخلاق الكشف . أما البطل المأساوى فيبدى شجاعته الاخلاقية فيكون هو نفسه الذى يعلن افيجينيا بمصيرها ، دون أن يقع فى شراك أى وهم جمالى . فاذا فعل البطل المأساوى هذا الفعل، فانه يكون حينذاك الابن المحبوب من الاخلاق التى ترضى عنه كل الرضا . ولو أنه اخلد الى الصمت ، فربما لأنه يفكر فى أن يجعل الأمر أيسر على الآخرين ، او ربما كان ذلك لأنه يريد أن يجعله أيسر على نفسه . ومهما يكن من أمر ، فانه يعلم انه ليس متأثرا بهذا الدافع الأخير . فاذا التزم الصمت ، فانه يحمل على عاتقه بوصفه فردا مسئولية خطيرة ولاسيما اذا تجاهل حجة قد تأتى من الخارج . ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك بوصفه بطلا مأساويا ، لأن الأخلاق لا تحبه الا لأنه

يعبر دائما عن الكلى . وفعله البطولى يتطلب الشجاعة ؛ ولكن مما يعزى الى هذه الشجاعة أنه لن يمتنع عن أى جدال . والآن من المؤكد ان الدموع حجة انسانية رهيبة ؛ كما لا شك أن هناك من لا يهزهم شيء ، ومع ذلك يتأثرون بالدموع . وفى المسرحية تترك افيجينيا المشهد لتسلم نفسها للبكاء ، ولابد أنها منحت شهرين — مثل ابنة يفتاح — للبكاء ، لا بمفردها ، ولكن عند قدمى أبيها ، واتيح لها أن تستخدم كل ما تملك من فن — « وهو ليس شيئا آخر غير البكاء » ، وأن تلتف عند ركبتيه بدلا من أن تقدم غصن الزيتون الذى يقدمه المتوسل عادة .

علم الجمال يطلب الكشف ، ولكنه يساعد نفسه للخروج من المآزق بصدفة ، أما علم الأخلاق فيقتضى الكشف ويجد فى البطل المأساوى ضالته المنشودة .

وعلى الرغم من الصرامة التى يتطلب بها علم الأخلاق الكشف ، الا أنه لا يمكن انكار أن السرية والصمت هما ما يصنعان حتما الرجل العظيم ، لأنهما من سمات الجوانية . وعندما يترك « الحب » Amor بسيشيه Psyche (النفس) يقول لها : « سوف تلدين طفلا وسيكون طفلا الهيا لو أنك التزمت بالصمت ، ولكنه لن يزيد عن طفل بشرى اذا بحت بالسر » . والبطل المأساوى المفضل لدى علم الاخلاق هو الانسانى الخالص ، وانا استطيع أن أفهمه ، وكل ما يفعله يأتى فى ضوء المكشوف revealed . فاذا توغلت أكثر من ذلك ، تعثرت فى المفارقة، سواء أكانت المفارقة الالهية أم الشيطانية ، لأن الصمت يمكن أن يكون كليهما. الصمت هو احبولة الشيطان ، وكلما أمعن المرء فى الصمت ، ازداد الشيطان رعبا ؛ بيد أن الصمت هو أيضا ذلك التفاهم المتبادل بين الاله والفرد .

● ● ●

وعلى كل حال ، وقبل أن نمضى فى قصة ابراهيم ، سأستدعى عدة اشخاص شاعريين قبل اسدال الستار . وبقوة الجدل (الديالكتيك) أحتفظ بهم على أطراف أصابعهم ، وباستخدام سوط اليأس معلقا

فـوق رءوسهم سأجعلهم لا يستقرون فى أماكنهم بكل تأكيـد ، وذلك حتى يبوحوا فى خوفهم بشىء أو بآخـر* .

وفى كتاب « فن الشعر »(٦٧) يروى أرسطو قصة شغب سياسى وقع فى دلفى ، وكان سبب اثارته مسألة زواج . ذلك أن العريس عنـدما تنبأ لـه الكهنة (٦٨) بأن هناك نكبة ستعقب زواجه ، يقوم فجأةبتغيير مشروعه فى اللحظة الحاسمة عندما جاء ليصحب العروس ــ فقد قرر ألا يحتفل بالزواج

---

* هذه الحركات والمواقف يمكن أن تكون موضوعا لمزيد من المعالجـة الجمالية . وعلى كل حال ، فأنا أترك الأمـر معلقا : الى أى مـدى يمكن أن يكون الايمان وحياة الايمان بأسرها موضوعا ملائما لمثـل هـذه المعالجة. ولما كنت أسعد دائما بشكر من أدين له بالفضل ، فسوف أشكر لسـنج على بعض لمحاته عن الدراما المسيحية التى نجدها فى كتابه **Hamburgische Dramaturgie** (٦٩) . وقد ركـز نظرته ــ على كل حال ــ على الجانب الالهى البحت من الحيـاة المسيحية (الانتصار الكامل) ، ومن ثم تراوده بعض الهواجس ، وربما كان من الممكن أن يصـدر حكما مختلفا لو أنـه وجـه مزيدا من الانتباه للجانب الانسانى الخالص (لاهوت الحجاج)(٧٠) . وليس من شك أن ما يقوله شديد الاقتضاب ، ويتسم بالمراوغـة فى جـزء منه ، ولكن مادمت أجـد دائما متعتى فى صحبة لسنج ، لهـذا أغتنمها على الفـور . لم يكن لسنج مجـرد عقلية من أشمل العقليات التى انجبتها المانيا فحسب ، كما لم يكن يتمتع بدقـة نادرة فى علمه فحسب (ولهـذا السبب يستطيع المـرء الاعتماد عليه وعلى تشريحـه دون خـوف مـن الانخداع باستشهادات غـير دقيقة لا يملك المـرء متابعتها فى كل مكان ، وبالجمـل نصف المفهومة المستقاة من الملخصات غير الموثوق بها ، كما لا يلقى المـرء عنده اساءة للتوجيه باطلاق أحمق لنفير التجديدات التى عرضها القدماء عرضا أفضل) ــ ولكنه كان يملك فى الوقت نفسه موهبـة فـذة ليست شائعة على الاطلاق فى شرح ما فهمه هو نفسه : وهنا يتوقف. أما فى عصرنا ، فالناس يمضون الى ابعد من ذلك ويشرحون أكثر مما فهموا .

قائلا : « لست فى حاجة الى ما هو أكثر »*ولم تمر هـذه الحادثة فى دلفى دون اراقة للدموع ، ولو أن شاعرا اتخذ منهـا موضوعا لشعره ، لكان كفيلا بأن ينتزع التعاطف بكل ثقة . اليس من المحزن حقا أن الحب الذى كثيرا ما يبعـد فى الحيـاة الانسانية الى المنفى فى كثير من الأحيـان ، يحـرم من مساندة السماء ؟ ألا يقف الآن ذلك المثل القديم القائل « بأن الزيجـات تعقد فى السماء » موقف الخزى ؟ وقـد جرت العادة بأن أحزان المتنـاهى وصعابه جميعا هى التى تفرق بين العشاق كما تفعل الارواح الشريرة ، غير ان الحب يجـد السماء دائمـا الى جانبه ، ومن ثم ، فان هذا التحالف المقدس يتغلب على الأعـداء جميعا . وفى هذه الحالة تكون السماء نفسها هى التى تفصل ما جمعته السماء معا . ومن كان يستطيع أن يتكهن بمثـل هـذا الأمـر ؟ والعروس الشابة أبعـد الناس عن مثل هـذا التكهن . فمنذ لحظة واحدة فحسب كانت تجلس فى حجرتها بكل فتنتهـا ، وكانت العذارى الرقيقات قد زينها باخلاص حتى يستطعن أن يبررن أمـام العالم كله ما قمن به ، فما كن يجدن السرور فى عملهن ، بل الحسد أيضا . أجل، السرور لأنه لم يكن ممكنا بالنسبة اليهن أن يصبحن أشد حسدا ، لأنـه لم يكـن من الممكن بالنسبة اليها أن تصير أكثر فتنة . كانت تجلس وحيـدة فى حجرتها ، وكانت تتحول من جمال الى جمال ، فقد استخدمت كل الوسائل التى يستطيع الفن الانثوى أن يزين بها فى جدارة من كانت به أهلا . ولكن ، كان ثمة شيء ناقص لم تحلم به العذارى الصغيرات : غلالة الطف وأخف ، ومع ذلك فانه أكثف من تلك الغلالة التى لفعنها بها ، ثوب عرس لم تعرفه عذراء شابة ، أو يمكن أن تساعدها فى الحصول عليه .. أجل ، حتى العروس

---

* يذكر أرسطو أن النكبة التاريخية كانت كالآتى : لكى تثـأر أسرة العروس لنفسها دست آنيـة من أوانى المعبد بين متاعه ، فحكم عليـه القضاء بوصفه سارقا للمعبـد . ولم يكن لهـذا على كل حال أى شأن ، لأن المسألة ليست أن تكون الاسرة بارعـة أو غبية فى الاخـذ بثأرها . اذ لا تتمتع الاسرة بأية دلالة مثالية الا من حيث ادراجها فى جدل (ديالكتيك) البطـل . وفضلا عن ذلك ، فانه يكفى أن يكون اذعانه للقـدر متمثلا فى تجنبه للخطر بالاحجام عن الزواج ، كما أن حياته تدخل فى صلة مـع الالهى على نحو مزدوج : أولا بنبوءة الكاهنات ، وثانيا فى ادانته بانتهاك حرمة المعبد.

نفسها لم تكن تعرف كيف تحصل عليه . كان قوة غير مرئية ، قوة صديقة ، تجد متعتها فى تزيين العروس ، وقد لفته حولها دون علمها ، ذلك انها لم تشاهد الا كيف مر العريس ، وذهب الى المعبد ، ورأت الباب يغلق وراءه ، أما هى فقد ازدادت هدوءا وهناء لأنها لم تعرف الا أنه ينتمى اليها الآن أكثر من أى وقت مضى . وانفتح باب المعبد ، وخطا منه خارجا ، ولكنها غضت من بصرها فى حياء ومن ثم لم تلمح ماغشى وجهه من كدر ، ولكنه رأى أن السماء كانت غيورا من حسن عروسه ، ومن حسن حظه . انفتح باب المعبد وشاهدت العذارى العريس يخطو خارجا ، ولكنهن لم يلمحن ما ران على وجهه من قلق ، وانما كن مشغولات بالبحث عن العروس. وهنا أقبلت بكل تواضعها العذرى ، وان كانت أشبه بملكة محوطة بوصيفات الشرف ، اللواتى انحنين أمامها كما تنحنى العذارى دائما أمام العروس . وهكذا وقفت على رأس فرقتها البديعة وأخذت تنتظر — وكانت لحظة واحدة فحسب ، لأن المعبد كان قريبا أشد القرب — وجاء العريس ... ولكنه تجاوز بابها .

وهنا أقتحم القصة — وأنا لست شاعرا ، ولا أتناول الأشياء الا من وجهة جدلية . وينبغى أن نتذكر قبل كل شىء أن البطل يتلقى فى اللحظة الحاسمة هذه الاستنارة ، ومن ثم ، فانه نقى لا تثريب عليه ، ولم يكن ارتباطه بخطيبته ارتباطا نزقا . كما انه تلقى — فى المحل الثانى — أمرا الهيا صادرا اليه ؛ أو لعله ضده(٧١) ، ومن ثم ، فانه ليس مسوقا كأولئك العشاق التافهين بخداعه لنفسه . وفضلا عن ذلك ، من نافلة القول أن هذا الأمر يجعله شقيا كما تشقى به العروس ، أجل ، وان يكن أكثر قليلا ، لأنه على كل حال المناسبة التى سببت شقاءها . ومن الحق أن الكاهنات تنبأن بكارثة تصيبه « هو » ، ولكن المسألة هى هل هذه الكارثة من النوع الذى اذا أساء اليه ، يسىء أيضا الى سعادتهما الزوجية ؟ ماذا عليه أن يفعل اذن ؟ (١) هل يلزم الصمت ويحتفل بالزواج ؟ بفكرة « ان هذا السوء ربما لن يقع على الفور ، ومهما يكن من أمر ، فقد تمسكت بالحب ، ولم أخش من أن أجعل نفسى شقيا . ولكن أن ألزم الصمت ، هذا ما ينبغى لبقائه صامتا :
أن أفعله ، والا كانت أقصر اللحظات قد تبددت » . يبدو هذا معقولا ، ولكنه ليس كذلك بحال من الاحوال ، لأنه ان فعل ذلك يكون قد أهان

الفتاة . وعلى كل حال ، فقد جعل الفتاة مذنبة بما آثره من الصمت ، ففى حالة ما اذا عرفت الحقيقة ، فلن توافق أبدا على مثل هـذا القران . وهكذا فانه فى ساعة الشدة لم يكن عليه أن يتحمل مصيبته فحسب ، بل كان عليه أيضا أن يتحمل مسئولية بقائه صامتا ، واستنكارها الذى له ما يبرره لبقائه صامتا . أو ٢ ـــ هل يتمسك بصمته ، ويعدل عن الاحتفال بالزواج ؟ فى هذه الحالة ينبغى عليه أن يورط نفسه فى جو من الالغاز والغموض يجعله فى حكم العدم بالنسبة لعلاقته بها . وربما وافق علم الجمال على هذا . وهنا ربما تشكلت النكبة كما تشكلت القصة الحقيقية ، فيما عدا أن تفسيرا قد يأتى وشيكا فى اللحظة الاخيرة ـــ وعلى كل حال ، لن يحدث هذا الا بعد أن يكون كل شىء قد انتهى ، مادامت النظرة الجمالية ترى أن موته ضرورة محتومة .. الا اذا تبين هذا العلم (علم الجمال) سبيله لالغاء تلك النبوءة المحتومة . ولكن ما برح هذا السلوك رغم ما ينطوى عليه من شهامة ـــ متضمنا اساءة الى الفتاة والى حقيقة حبها . أو (٣) هل يفضى بكل شىء ؟ وعلينا ألا ننسى أن بطلنا أوتى حظا ضئيلا من الشاعرية فى نظرنا أضأل من أن نفترض أن توقيع وثيقة حبه قد لا يتخذ لديه دلالة تختلف اختلافا كبيرا عن نتيجة مضاربة تجارية فاشلة . فاذا تكلم ، اتخذت المسألة كلها شكل قصة حب فاشل على نمط قصة «آكسل وفالبورج» * Axel and Valborg ، فهذا زواج من الناس

---

* وفضلا عن ذلك ، يستطيع المرء أن يوجه الحركات الجدلية ابتداء من هذه النقطة ـــ وجهة أخرى . فالسماء تتنبأ بمصيبة تأتى فى أعقاب زواجه ، ولهذا قد يعدل عن الزواج ، ولكنه لن يتخلى عن الفتاة لهذا السبب ؛ بل ربما عاش معها فى اتحاد رومانسى قد يكون بالنسبة للعشاق اكثر اشباعا . غير أن هذا ينطوى على اساءة الى الفتاة ، لأنه فى حبه لها لا يعبر عن الكلى . ومهما يكن من أمر ، فان هذا الموضوع يصلح لشاعر أو لأخلاقى يدافع عن الزواج . فاذا كان على الشعر أن يلتفت الى العنصر الدينى والى جوانية الشخصيات ، فسوف يعثر على موضوعات اكثر أهمية من تلك التى يشغل الآن بها نفسه . وفى الشعر ، تتردد هذه القصة حينا بعد حين : رجل مرتبط بفتاة أحبها ذات مرة ـــ أو لعله لم يحبها =

تقوم نفسها بالتفريق بينهما(٧٢) . وأيا كان الأمر ، فان الافتراق فى هذه الحالة ينبغى أن نتصوره تصورا مختلفا نوعا ما ، اذ أنه ينشأ فى الوقت نفسه عن الفعل الحر للفردين . واصعب ما فى جدل (دياكتيك) هذه الحالة هو أن المصيبة ستقع عليه وحده . ولهذا لا يجد العاشقان ــ مثلما يجد آكسل وفالبورج ــ تعبيرا مشتركا عن عذابهما ، ولا سيما أن السماء تسوى فى قرارها ضد آكسل وفالبورج ، لأنهما قريبان من عشيرة واحدة . ولو كانت الحالة هنا على هذا النحو ، لأمكن التفكير فى منفذ من هذه الورطة . فما دامت السماء لا تسخر هنا أية قوة مرئية للتفرقة بينهما ، وانما تترك لهما هذا الأمر ، فقد يتطرق الى الذهن أنهما قد يعتزمان فيما بينهما تحدى السماء ، وما تريده بهما من سوء أيضا .

على كل حال ، سوف يتطلب منه علم الاخلاق أن يتكلم . وهنا تلتمس بطولته أساسا فى تخليه عن الشهامة الجمالية التى لا يمكن ــ على كل حال ــ

= مخلصا قط ، لأنه راى الآن فتاة أخرى وجد فيها مثله الأعلى . ورجـ ارتكب خطئا فى حياته ، وكان ذلك فى الطريق الصحيح ، ولكنه كان فى المنزل الخطأ ، ففى مواجهته ، وفى الطابق الثانى ، تقطن المثل الأعلى ــ مثل هؤلاء الناس يفكرون فى موضوع يصلح للشعر . هذا عاشق أخطأ ، فقد أبصر خطيبته فى ضوء المصباح ، وكان يظن أن شعرها فاحم السواد ، ولكن، واأسفاه ــ عندما اقترب منها الفاها شقراء ــ أما أختها فهى المثل الأعلى! هذا ما يعتقدون أنه موضوع يصلح للشعر ! وفى رأيى أن كل رجل على هذه الشاكلة لا يعدو أن يكون جلفا قد لا يطاق فى الحياة الواقعية ، ولكن ينبغى أن يستقبل فورا بصفير الاستهجان على خشبة المسرح حين يشرع فى القاء قصائد الشعر . العاطفة حين تصطدم بالعاطفة ، هذا هو ما يولد الصراع الشاعرى ، لا مجرد الشجار الذى ينشب بين هذه الجزئيات داخل عاطفة واحدة بعينها . وعلى سبيل المثال ، لو أن فتاة من العصر الوسيط ، أقنعت نفسها بعد أن وقعت فى الحب ــ بأن كل حب دنيوى ما هو الا خطيئة ، وآثرت الحب الالهى ، هنا ينشأ الصراع الشاعرى، والفتاة تتسم بالشاعرية ، لأن حياتها تقوم فى الفكرة .

التفكير بيسر فى هــذه الحالة ــ على أنها مشوبة بشىء من الغرور ، وهو غرور يأتى من كونها مخفية ، اذ ينبغى أن يكون من الواضح اليه حقا أنه يجعل الفتاة شقية . وتتوقف حقيقة هذه البطولة ــ على كل حال ــ عــلى أن الفرصة قــد سنحت له ليحب حبا صادقا ،ولكنه أعرض عنها ، اذ لو كان من الممكن أن تكتسب مثل هذه البطولة دون هــذا ، لكان لدينا عــدد كبير من الأبطــال فى عصرنا ، ذلك العصر الذى يتمتع بكفاءة لا نظير لها فى التزييف ، والذى يقوم بأسمى الاشياء بالقفز على الخطوات الوسيطة .

ولكن ، لماذا اذن كان هــذا المخطط ، مادمت لم أتقدم الى ابعــد من البطل المأساوى ؟ أجل ، ذلك لأنه من الممكن على الاقــل أن يلقى ضوءا على المفارقــة . وكل شىء يتوقف على الموقف الذى يتخــذه ذلك الرجل من نبوءة الكاهنات التى تعــد ــ بصورة أو بأخــرى ــ شيئا حاسما فى حياته . هل هذه النبوءة ملكية عامة ، أم أنها شىء خاص ؟ المشهد يقــع فى بلاد الاغريق ، ونبوءة الكاهنات واضحة للجميع . ولا أعنى مجرد أن الانســان العادى قادر على فهم مضمونها من ناحية المصطلح ، ولكننى أعنى أن الرجل العادى يستطيع أن يفهم أن الكاهنة تعلن للفــرد القرار الــذى اتخذته السماء . وعلى هــذا فان نبوءة الكاهنة لا تتضح للبطل وحــده، بل للجميع ، ولا تنشأ عن هــذا أية علاقة خاصة بالاله . فليفعل البطــل ما يفعل ، ولكن النبوءة سوف تقع ، وسواء عليه أفعلها أم لم يفعلها ، فانه لن يعقد مع الاله علاقة أوثق ، ولن يكون موضوعا للطفها أو سخطها . فالنتيجة التى تنبأت بها الكاهنة شىء يقدر أى شخص عادى تماما على فهمه كما يفهمه البطل ،ولا وجود لكتابة سرية (شفرة) لايستطيع قراءتها الا البطل وحده . فاذا كان عليه أن يتكلم ، فسوف يتكلم على أكمــل وجه ، ذلك لأنه يستطيع أن يجعل نفسه واضحا . أما اذا كان عليه أن يلتزم بالصمت ، فلأنه بفضل كونه فردا ، فانه أعلى من الكلى ، وسيوهم نفسه بكل أنواع الأفكار الخيالية بأن فتاته لن تلبث أن تنسى حزنها .. الخ . ومن ناحية أخرى ، وفى حالة ما اذا لم تكن مشيئة السماء قد أعلنت اليه بواسطة الكاهنة ، وتناهت اليه معرفتها بطريقة خاصة تماما ، وفى حالة ما اذا وضعت نفسها فى علاقة خاصة

تماما معه ، فهنا نلتقى بالمفارقة (على افتراض أن هناك شيئا كهذا ـ اذ يتخذ تفكيرى شكل الورطة) ، وعندئذ ، لن يقدر على الكلام ، وان اعتملت فى نفسه رغبة شديدة لأن يفعل(٧٣) . فهو لم يكن مستمتعا بهذا الصمت ، بل كان يعانى من العذاب ـ ولكن كان هذا بالضبط فى نظره تأكيدا بأنه مبرر. ومن ثم ، لم يكن بسبب صمته انه بوصفه فردا قد وضع نفسه فى علاقة مطلقة مع « الكلى » ، وانما كان هذا السبب انه وضع بوصفه فردا فى علاقة مطلقة مع « المطلق » . وفى هذا اذن يستطيع أن يجد السكينة (على قدر ما استطيع أن اصور الأمر لنفسى) ، على حين أن صمته الشهم قد كان من الممكن أن تكدره باستمرار مقتضيات « الاخلاقى » ethical . ان من المنشود بشدة أن يحاول علم الجمال ـ ولو مرة واحدة ـ أن يبدأ من النقطة التى انتهى عندها منذ أعوام عديدة ـ اعنى من الشهامة الوهمية . فاذا فعلت ذلك مرة ، فسوف تعمل مباشرة لحساب « الدينى » لأن الدين هو القوة الوحيدة التى يمكن أن تخلص «الجمالى» من صراعه مع « الأخلاقى ». لقد ضحت الملكة اليزابيث(٧٤) للدولة حبها لاسكس Essex عندما وقعت الحكم باعدامه . كان ذلك فعلا بطوليا ، حتى وان شابه شىء من الظلم الشخصى لأنه لم يرسل اليها الخاتم . والواقع أنه كان قد أرسله ـ كما نعلم ـ ولكن اخفته بخبثها سيدة من سيدات البلاط . وتلقت اليزابيث معلومات بذلك (كما تروى القصة ، دون اختلاق) ، وعندما احاطت علما بهذا الأمر جلست عشرة أيام وقد وضعت اصبعا فى فمها ، وأخذت تعض عليه دون أن تتفوه بكلمة ، ثم ماتت . هذا موضوع يصلح لشاعر يعرف كيف يفغر الأفواه اندهاشا ـ وبدون هذا الشرط ، لن تصلح على أكثر تقدير الا لقائد باليه ، وهو شخص كثيرا ما يخلط الشاعر بينه وبين نفسه .

وسأتبع ذلك بصورة مجملة أرسم بها ما هو شيطانى demoniacal وتنفعنى لهذا الغرض اسطورة آجنس Agnes والغرانق Merman . فالغرانق ما هو الا مغرر seducer يصوب سهامه من مخبئه فى الهاوية ، وبشهوة ضارية يقبض على الزهرة البريئة ويحطمها ، تلك الزهرة التى تقف بكل رشاقتها على شاطىء البحر ، وتحنى راسها سارحة مع افكارها لتنصت الى هدير المحيط . وهذا ما عناه الشعراء حتى الآن . ولكن

دعنا ندخل تعديلا علي هذا المعنى . كان الغرانق مغررا . وقد دعا آجنس اليه ، واستطاع بأقواله المعسولة أن يغوى مشاعرها الدفينة ، فقد رأت في الغرانق ما كانت تبحث عنه ، وما كانت تحملق اليه فى قاع البحر . كانت آجنس تحب أن تتبعه . وقد رفعها الغرانق بين ذراعيه ، وطوقت آجنس عنقه ، وبكل روحها استسلمت فى ثقة للشخص الاقوى . وكان قد وقف نعلا على شفا الهاوية ، وانحنى على البحر ، وأوشك أن يهوى فيـــه بفريسته — وهنا نظرت اليه آجنس مرة أخرى ، لا عن جبن ، أو عن شك ، ولا عن زهو بحظها السعيد ، ودون انتشاء بالمتعة ، ولكن فى ايمان عميق به ، وفى تواضع مطلق ، كالزهرة الوديعة ، كما كانت تحسب نفسها ، وبهذه النظرة سلمت له فى ثقة مطلقة مصيرها كله(٧٥) . وانظـــروا الآن ماذا حدث : توقف البحر عن الهدير ، وسكت صوته ، وشهوة الطبيعة التى يستمد منها الغرانق قوته تخلت عنه فى هذا الموقف الحرج ، وساد هدوء مميت — وما برحت آجنس تنظر اليه تلك النظرة . ثم يتداعى الغرانق ، لأنه لايستطيع أن يقاوم ســـلطان البراءة ، وخـــــذله عنصره الشـــيطانى ، فلـــم يعـــد قـــادرا علي اغـــواء آجنس . ويقودها راجعا على أعقابه ، ويفسر لها الأمـــر بأنه لم يكن يريد الا أن يريها كيـــف يكـــون البحـــر جميـــلا عنـــدما يهدأ ، وتصدقه آجنس . — ثم يعود بمفرده ، فيزمجر البحر ، غـــير أن يأس الغرانق يزمجر فى نفسه على نحو أكثر ضراوة . انه يستطيع أن يغرر بآجنس، بل بمئات من الآجنسات ، انه قادر على فتنة كل فتـــاة — غير أن آجنس انتصرت ، وبذلك ضـــاعت مـــن يـــده . انهـــا لا يمـــكن أن تـــكون لـــه الا بوصفها فريسة ، فهو لا يستطيع أن يخلص فى حب اية فتاة ، لأنه فى واقع الامر ليس الا غرانق . وهنا سمحت لنفسى بادخال تعديل طفيف *

---

* يستطيع المرء أيضا أن يعالج هذه الأسطورة على نحو آخر ، فالغرانق لا يريد اغواء آجنس ، وان كان قد أغوى قبلها كثيرات . فهو لم يعد غرانقا كما كان ، أو اذا شاء المرء — هو مجرد غرانق بائس يقبع فى قاع البحـــر حزينا أســـفا . ولكنـــه يعلم على كل حـــال (كمـــا تحكى الاسطورة فى الواقع) (٧٦) . انه من الممكن أن ينـــال الخلاص بحب فتاة =

عليه ، كما أدخلت تعديلا جوهريا على آجنس ، ذلك ان الأسطورة لا تعفى آجنس تماما من الخطأ — فمن العبث واللغو والاهانة للجنس الأنثوى — اذا شئنا ان نتحدث بوجه عام — أن نتصور حالة من الغواية لا تكون فيها الفتاة ملومة على اى وجه من الوجوه . ففى الأسطورة نرى آجنس امرأة تشتهى « الشائق » the interesting (هذا على سبيل تحديث العبارة) ، وتستطيع كل امرأة على شاكلتها أن توقن دائما بأن هناك غرانق على كثب منها ، وهذا ما اكتشفه الغرانق

= بريئة . ولكنه يضمر سوء الطوية للفتيات ، ولا يجرؤ على الاقتراب منهن . وهنا يرى آجنس . وكان قد رآها عديدا من المرات — وهو مختبىء بين أعواد القصب — تتمشى على الشاطىء (٧٧) . وكان جمالها ، وانشغالها الهادىء بنفسها مما لفت أنظاره اليها ، غير أن الحزن كان هو وحده الذى يسود نفسه ، ولم تكن تعتمل فيها أية شهوة ، وهكذا عندما مزج الغرانق آهاته بتنهدات أعواد القصب أرهفت سمعها ناحيته ، ثم وقفت ساكنة فى مكانها ، واستغرقت فى الأحلام ، ساحرة سحرا لم يؤت لامرأة، ومع ذلك باهرة كملاك محرر liberating يوحى للغرانق بالثقة . ويستجمع الغرانق أطراف شجاعته ، فيقترب من آجنس ، ويفوز بحبها ، ويأمل فى الخلاص . بيد أن آجنس لم تكن عذراء هادئة ، بل كانت مفتونة بهدير البحر ، أما التنهدات الحزينة التى كانت تطلقها البحيرة الداخلية ، فلم تكن تسرها الا لأنها كانت تفور فى داخلها فورانا اقوى من أنين البحيرة . وكانت تحب الانطلاق بعيدا ، وتود الأندفاع فى وحشية الى اللامتناهى مع الغرانق الذى أحبته — ومن ثم فانها تحرض الغرانق ، وتعرض بتواضعه . وهنا تستيقظ كبرياؤه . ويثور البحر وتزبد الامواج ، فيعانق الغرانق آجنس ويهوى بها الى الاعماق . لم يكن بهذه الوحشية قط ولم يمتلىء بمثل هذه الشهوة أبدا ، فقد كان يرجو ان يجد الخلاص بهذه الفتاة . وسرعان ما ينتابه السأم من آجنس ، ومع ذلك ، لم يعثر أحد قط على جثتها ، فقد تحولت الى حورية mermaid تغوى الرجال بأغانيها .

بنصف عين أو شيئا من هذا القبيل فتحرك مندفعا كسمكة القرش نحو فريستها . فمن الغباء الشديد اذن أن نفترض (أو لعلها شائعة نشرها غرانق فى الخارج) أن تلك الحضارة المزعومة تعصم الفتاة من الاغراء . كلا ، ان الوجود أكثر عدلا وصوابا . فليس هناك غير عاصم واحد ، وذلك هو البراءة .

سنضفى الآن على الغرانق شعورا انسانيا ، ونفترض أن حقيقة كونه غرانق تشير الى وجود انسانى سابق فى النتائج التى اشتبكت فيها حياته . فليس هناك ما يمنعه أن يصير بطلا ، لأن الخطوة التى يتخذها الآن هى ضرب من المصالحة . لقد انقذته آجنس ، وانسحق المغرر ، ولم يجد بدا من الانحناء لسلطان البراءة ، ولم يعد فى مقدوره أن يغرر بأحد مرة اخرى . ولكن فى هذه اللحظة نفسها تتنازعه قوتان ، كل منهما تريد امتلاكه : الندم ، وآجنس والندم . فلو استولى عليه الندم وحده ، اذن فسيلجأ الى الاختفاء ، واذا استولت عليه آجنس ومعها الندم ، فسيفصح عن نفسه .

والآن ، فى حالة ما اذا استحوذ الندم على الغرانق ، وظل مختفيا ، بذلك يكون من الواضح أنه ترك آجنس للشقاء ، لأن آجنس أحبته بكل ما فيها من براءة ، وآمنت أنه حتى فى اللحظة التى بدا فيها متغيرا — وان كان قد استطاع اخفاء ذلك ببراعة شديدة — فانه كان صادقا فى قوله ان كل ما كان يريده هو أن يريها البحر فى هدوئه الجميل . ومهما يكن من أمر ، وفيما يتعلق بالعاطفة ، اصبح الغرانق نفسه أشد شقاء ، لأنه أحب آجنس بعواطف شتى ، وكان عليه أن يحتمل بالاضافة الى هذا كله — ذنبا جديدا . فسوف يفسر له الآن العنصر الشيطانى فى الندم أن هذه بالضبط عقوبته (جزاء على أخطاء حالته السابقة على الوجود) . وكلما عذبته تعذيبا أشد ، كان ذلك افضل .

ولو أنه استسلم لهذا التأثير الشيطانى ، فربما قام حينذاك

بمحاولة اخرى لانقاذ آجنس ، على النحو الذى يمكن أن يقوم به المرء — بمعنى ما — لانقاذ شخص بواسطة اللجوء الى الشر . كان يعلم أن آجنس تحبه . فلو أمكنه أن ينتزع من آجنس هـذا الحب ، أذن لانقذها على نحو ما . ولكن ، كيف ؟ كان الغرانق من حسن الفهم بحيث لا يعتمد على فكرة أن اعترافا صريحا يفتح به قلبه سيثير تقززهـا . ربما حاول من ثم أن يحرض كل الشهوات المظلمة فى نفسها ، فيبدى لها احتقاره ، وسخريته ، واستهزاءه بحبها ، واذا اسـتطاع ، أثار كبرياءها . ولن يعفى نفسه من أى عذاب ، لأن هـذا هو التناقض العميق فيما هـو شيطانى ، وثمة خير أفضـل كثيرا الى مالانهاية — بمعنى ما — فى الشخص الشيطانى عنه فى الشخص التافه . وكلما تزايدت أنانية آجنس ، كان الخداع أيسر عليه (لأن الناس الذين لم تتح لهم أية خبرة هم الذين يفترضون أن خداع البراءة أمـر يسير ، فالوجود عميق جدا ، والواقع أن من أيسر الأشـياء على الأريب أن يخدع أريبا مثله) — ولكن آلام الغرانق ستكون فى هذه الحالة أشد هولا . وكلما دبر خداعه فى مكر أشد ، كان اخفاء آجنس لآلامها عنه أقل حياء ، فسوف تلجأ الى كل وسيلة ، ولن يكون هذا بغير تأثير — لا أعنى أن تزعزع عزمه ، بل أن تضاعف من تعذيبه .

وهكذا يرغب الغرانق — مستعينا بالشيطانى — أن يكون الفرد الذى بوصفه فردا عاليا على « الكلى » . وللشيطانى نفس السمات التى يتمتع بها الالهى من حيث أن الفرد يسـتطيع أن يدخل معه فى علاقة مطلقة . وهذا هو المماثل ، المقابل المضاد ، لتلك المفارقة التى نتحدث عنها ، ومن ثم فان بها مشابها معينا يمكن أن يخـدع المرء . وهكذا يملك الغرانق — ظاهريا — الدليل على أن صمته له ما يبرره والدليل هو أنه يعانى كل هذا العذاب . وعلى كل حال ، يسـتطيع دون شك الافصاح عما فى نفسـه . وبهذا يستطيع أن يصير بطلا مأساويا ، بل بطلا مأساويا من طراز فخم فى رأيى ، اذا أفضى بما عنده . وربما

لم يفهم الا البعض اين تكمن هذه الفخامة * . وسيتمكن حينئذ من أن ينتزع من ذهنه كل خداع للذات، عن قدرته على اسعاد آجنس بما يلجأ اليه من حيلة ، بل ستكون لديه الشجاعة لسحق آجنس ، اذا تحدثنا بلغة انسانية . وهنا سأتقدم فى الختام بملاحظة نفسية واحدة . فكلما تطورت آجنس لتزداد انانية ، ازداد خداع الذات ابهارا . ولا يستعصى على التصور حقا أن يتمكن الفرانق بحصافته الشيطانية — ونحن نتكلم هنا من وجهة نظر انسانية — لا من انقاذ آجنس فحسب ، بل من استخلاص شىء خارج عن المألوف منها ، ذلك ان الجنى يعرف كيف يثير كوامن القوة حتى فى أضعف الأشخاص ، وقد تكون نياته حيال كائن انسانى افضل ما تكون على طريقته الخاصة .

ويقف الغرانق عند نقطة التحول الجدلية (الديالكتيكية) . فاذا تم خلاصة من « الشيطانى » عن طريق الندم ، انفتح أمامه طريقان :

---

* يعالج علم الجمال مثل هذا الموضوع أحيانا بخفته المعتادة . لقد انقذت آجنس الغرانق ، وانتهى الموضوع كله بزواج سعيد . زواج سعيد ! هذا شىء يسير كل اليسر . ومن جهة أخرى ، اذا أتيح لعلم الأخلاق أن يلقى الخطبة أثناء مراسيم الزواج ، فستكون المسألة مختلفة ، على ما أتصور . علم الجمال يلقى عباءة الحب على الغرانق ، وهكذا يطوى النسيان كل شىء . ومن الاهمال الشديد ايضا أن نفترض أن الأشياء تسير فى حفل الزواج كما يسير الأمر فى مزاد حيث يباع كل شىء على حالته عندما تدق المطرقة . وكل ما يعنيه هو ان يظفر كل محب بمحبوبته ،ولا يشق على نفسه بما يحدث بعد ذلك . ولو انه شاهد بحسب ما يحدث بعد ذلك — ولكن وقته لا يتسع لذلك ؛ بل ان كل طاقته مكرسة فى أن يلقى زوجا جديدا من العشاق الواحد فى حضن الآخر . وعلم الجمال هو اشد العلوم انكارا للايمان على الاطلاق . وكل من أحب حبا عميقا ، يصير تعسا بمعنى ما ؛ أما ذلك الذى لم يحب قط ؛ فانه يبقى . ويظل معدودا فى جنس البهائم .

فاما أن يتماسك ، ويبقى فى تخفيه ، ولكن دون اعتماد على حصافته . وهنا لا يأتى بوصفه فردا فى علاقة مطلقة مع الشيطانى ، وانما يجد مستقرا فى المفارقة المضادة بأن الاله سينقذ آجنس (وعلى هذا النحو يمكن أن تقوم العصور الوسيطة بهذه الحركة ، ذلك أن الغرانق قد نذرعلى نحو مطلق — وفقا لتصورها — لدخول الدير) . والطريق الثانى هو أن يتم انقاذه هو وآجنس معا . ولكن ينبغى ألا يفهم هذا بأنه يعنى انقاذه من كونه مخادعا نتيجة لما يضمره من حب لآجنس (هذه هى طريقة علم الجمال فى القيام بعملية انقاذ ، وهى طريقة تدور دائما حول النقطة الرئيسية التى هى استمرار حياة الغرانق) ، فاذا مضت الأمور على هذا المنوال ، يكون انقاذه قد تم فعلا ، فهو ينقذ بقدر ما ينكشف من أمره . ثم يتزوج آجنس . ومع ذلك ينبغى عليه أن يلجأ الى المفارقة ، لأن الفرد عندما يخرج من « الكلى » بسبب اقترافه للذنب ، فانه لا يستطيع العودة اليه الا بفضل دخوله — بوصفه فردا — فى علاقة مطلقة مع المطلق . وهنا سأدلى بملاحظة أزيد بها على ما قلته فى أى نقطة من نقاط المناقشة السابقة * . فالخطيئة ليست هى المباشرة الأولى First immediacy ، ولكنها مباشرة لاحقة . وبالخطيئة يكون الفرد بالفعل أعلى من الكلى (فى اتجاه المفارقة الشيطانية) ، لأنه تناقض يقع فيه الكلى عندما يفرض نفسه على انسان يفتقر الى الشرط الذى بدونه لا يتم شىء conditio sine qua non ولو أن الفلسفة كانت تفكر ضمن ما تفكر فيه من أوهام أخرى أنه قد يحدث لانسان أن يتصرف وفق تعاليمها — اذن لأمكن للمرء أن يخرج

---

* امتنعت عمدا فى المناقشة السابقة عن أى تعرض للخطيئة وحقيقتها . وتشير المناقشة كلها الى ابراهيم ، الذى مازلت أستطيع التعرض له بمقولات مباشرة على قدر وسعى فى فهمه . ولكن ، ما تكاد الخطيئة تعلن عن ظهورها حتى يبدأ علم الأخلاق فى الاهتمام بالندم على وجه التحديد ، ذلك لأن الندم هو أعلى تعبير أخلاقى ، ولكنه بالذات من حيث هو كذلك — يعد أعمق تناقض ذاتى فى علم الاخلاق .

من هذه الفكرة بملهاة غريبة . وعلم الأخلاق الذى يتجاهل الخطيئة يعد علما بليدا تمام البلادة ، أما اذا كان يقرر الخطيئة ، فانه فى هذه الحالة يتجاوز نفسه . والفلسفة تدعو الى الغاء المباشر (aufgehoben) وهذا حق تماما ، ولكن ما يجانب الحق فى ذلك هو ان الخطيئة هى المباشر فى واقع الامر ، وليس هناك أصدق من أن الايمان فى واقع الامر هو المباشر immediate .

ومادمت أتحرك فى هذه المجالات فان كل شىء يسير سيرا هينا ، ولكن ما يقال هنا لا يفسر ابراهيم بأى حال من الأحوال ، ذلك أن ابراهيم لم يصبح فردا عن طريق الخطيئة ، بل على النقيض كان رجلا صالحا ، ممن اصطفاهم الله . ولهذا لن يظهر التشبيه بابراهيم الا بعد أن يصل الفرد الى النقطة التى يستطيع عندها أن ينجز الكلى ، وعندئذ تكرر المفارقة نفسها .

أما حركات الفرانق فأستطيع أن أفهمها ، على حين لا أستطيع أن أفهم ابراهيم ، ذلك أن الفرانق لا يصل الا عن طريق المفارقة بالذات الى نقطة تحقيق « الكلى » . فلو أنه ظل مختفيا ، وأخذ يعانى كل عذابات الندم ، اذن لأصبح شيطانا ، وبهذه الصفة يكون هلاكه محققا . أما اذا ظل مخفيا ، ولم يفكر فى مكر أن تعذيبه هو نفسه فى أغلال الندم يجعله قادرا على اطلاق سراح آجنس ، فسيجد السكينة حقا ، ولكنه سيضيع بالنسبة لهذا العالم . اما اذا كشف عن نفسه وسمح لها أن تنقذه آجنس ، اذن لكان أعظم كائن يمكن أن أتصوره ، ذلك لأن الكاتب الجمالى وحده هو الذى يفكر فى نزق أنه يمجد سلطان الحب حين يجعل الرجل الضائع محبوبا من فتاة بريئة ، ومن ثم تتم نجاته ، والكاتب الجمالى وحده هو الذى يضل بصره ، فيعتقد أن الفتاة هى البطلة . بدلا من أن يكون الرجل هو البطل . وهكذا لا يستطيع الفرانق أن ينتمى الى آجنس الا اذا قام بالحركة اللامتناهية : حركة الندم ، وتبقى حركة واحدة أخرى يقوم بها بفضل اللامعقول . وهو قادر على القيام بحركة الندم مستعينا بقوته الخاصة : ولكنه فى سبيل

ذلك يستخدم كل قواه بصورة مطلقة ، ومن ثم لا يستطيع بقوته الخاصة أن يعود فيمسك بالواقع . فاذا كان للرجل ما يكفى من العاطفة للاقدام على هذه الحركة او تلك ، فانه يتخبط خلال الحياة ، نادما ندما قليلا ، معتقدا ان ما تبقى سيعنى بنفسه — فقد تخلى الى الأبد عن بذل المجهود الذى يجعله يحيا فى الفكرة — وعندئذ يستطيع فى يسر ان يبلغ ، وان يساعد الآخرين على ان يبلغوا أسمى الغايات ، اعنى ان يخدع نفسه وان يخدع الآخرين بفكرة ان كل شيء فى عالم الروح يسير كما تسير الأمور فى لعبة الورق المعروفة التى يعتمد كل شيء فيها على المصادفة . وعلى هذا يستطيع المرء أن يروح عن نفسه بالتفكير كم هو غريب فى عصرنا بالذات ان يكون كل انسان قادرا على انجاز اسمى الأشياء ، ومع ذلك ينتشر الشك فى خلود الروح هذا الانتشار الواسع ، ذلك لأن الانسان الذى أقدم حقا على حركة اللامتناهى لا يمكن ان يكون شاكا . ونتائج العاطفة هى وحدها النتائج الموثوق بها ، اعنى النتائج الوحيدة المقنعة . ولحسن الحظ ، فان الوجود فى هذا المثل اكثر عطفا ، واشد اخلاصا عما يعتقد الحكماء ، لانه لا يستبعد اى انسان ، ولو كان اشد الناس وضاعة ، ولا يخدع احدا لان من ينخدع فى عالم الروح هو وحده ذلك الذى يخدع نفسه .

وفى راى الجميع ، وفى رايى انا ايضا اذا تجاسرت فسمحت لنفسى باصدار حكم — أن دخول الدير ليس أسمى شيء ، ولكن مع هذا كله ، لست أرى بحال من الآحوال أنه فى عصرنا عندما لا يدخل احد الدير أن كل انسان يكون اعظم من الأرواح العميقة الجادة التى تجد الاستقرار فى الدير . كم من الناس فى عصرنا يتمتعون بما يكفى من العاطفة لكى تخطر لهم هذه الفكرة ، ثم ليحكموا بأنفسهم فى امانة ؟ مجرد هذه الفكرة التى تجعل ضمير الانسان مسئولا عن الوقت ، والتى تمنحه الوقت ليرتاد بيقظة المؤرقة كل فكرة مستسرة ، بحيث أن كل لحظة تمر دون أن يقوم بالحركة بفضل اسمى وأقدس ما فى الانسان ، فى هذه الحالة يكتشف * المرء فى قلق وفزع ، وبالقلق نفسه ، أن لم

* الناس لا يؤمنون بهذا فى عصرنا الجاد ، ومع ذلك فان من الاشياء الجديرة بالملاحظة أنه حتى فى الوثنية التى تعد أميل الى التساهل =

يكن ذلك بطريقة أخرى ، يكتشف ، ويغرى باخراج الليبيدو (٧٨) المظلم المستتر فى كل حياة انسانية ، على حين أن العكس هو ما يحدث عندما يعيش المرء فى مجتمع مع الآخرين ، فانه ينسى بسهولة ، ويتساهل فى يسر ، ويجد من يسانده بطرق شتى ، وتتاح له الفرصة للبدء من جديد — مجرد هذه الفكرة ، اذا تم تصورها بما يناسبها من احترام ، فانها على ما أفترض — ستعمل على تهذيب كثير من الأفراد فى عصرنا الذى يتخيل أنه بلغ بالفعل اسمى الغايات . بيد أن الناس لا يشغلون أنفسهم الا قليلا بهذا الأمر فى عصرنا الذى بلغ أسمى الغايات ، على حين أن الحقيقة هى أنه ما من عصر وقع فريسة لما هو هزلى كما وقع هذا العصر ، ومما يستعصى على الفهم أيضا ان هذا العصر لم ينجب فعلا عن طريق التوليد دون زواج generatio eaquivoca — بطله الخاص به ، الجنى الذى يمكن أن ينتج دون أن يساوره أدنى ندم ذلك المشهد المروع بأن يجعل العصر كله يضحك ، ويجعله ينسى أنه يضحك على نفسه . والا ففيم يصلح العصر ان لم يكن للضحك عليه ، اذا كان الشباب الذين لم يتجاوزوا العشرينات من أعمارهم قد وصلوا بالفعل الى أقصى ما يمكن الوصول اليه ؟ وفوق هذا كله ، ما أسمى العاطفة التى عثر عليها العصر مادام الناس قد أعرضوا عن دخول الدير ؟ أليس حرصا يدعو الى الرثاء ، وحصافة ، وجبنا ، ذلك الذى وجده العصر ، متربعا على أعلى الأماكن ، رعديدا حين يجعل الناس يعتقدون انهم انجزوا أعظم الاشياء — على حين يمسكهم — فى غدر تام — عن محاولة الاتيان بأتفه الاشياء ؟ فالانسان الذى أقدم على حركة — الدير (أى دخول الدير) ، لم تتبق له سوى حركة أخرى يقدم عليها ، هى حركة اللامعقول . كم من الناس فى عصرنا يفهمون ما هو اللامعقول ؟

= وأقل استغراقا فى التأمل ، الح أبرز شخصيتين يمثلان الشعار الاغريقى « اعرف نفسك » بوصفه تصورا للوجود الى أن الانسان اذا غاص عميقا داخل نفسه ، فسوف يكتشف أول ما يكتشف استعداده لارتكاب الشر . ولست فى حاجة بالطبع الى القول بأننى أفكر فى فيثاغورس وسقراط .

كم من معاصرينا يعيشون بحيث يكونون قد تخلوا عن كل شيء ، أو كسبوا كل شيء ؟ كم من الناس بلغوا حتى من الأمانة مع انفسهم بحيث يعلمون ما يستطيعون أن يفعلوا وما لا يستطيعون ؟ واليس من الصدق ان المرء عندما يعثر على مثل هؤلاء الناس فانه يعثر عليهم بين من هم أقل حظا من الثقافة ، وجزء منهم من النساء ؟ ان العصر يكشف فى نوع من شفافية البصيرة نقطة ضعفه ، مثلما يكشف الشيطانى نفسه دائما دون أن يفهم نفسه ، ذلك لأنه يطالب دائما وأبدا بالهزلى . فان كان هذا هو ما يحتاجه العصر حقا ، اذن لكان المسرح فى حاجة الى مسرحية جديدة تتخذ من رجل تقتله الحب موضوعا للضحك — أو ربما كان من المفيد لهذا العصر أن يحدث مثل هذا الشيء بيننا ، ان كان لابد أن يشهد العصر مثل هذه الواقعة ، وذلك حتى يكتسب — ولو مرة — الشجاعة على الايمان بقوة الروح ، الشجاعة على الكف عن اطفاء الدوافع الحسنة فى أنفسنا بضرب من الجبن الشديد ، واخماد دوافع الآخرين الحسنة بضرب من الحسد ... وذلك بواسطة الضحك ؟ هل يحتاج العصر حقا الى معرض هزلى يقيمه متحمس دينى حتى يتيسر لنا شيء نضحك منه ، أو أنه يحتاج بالأحرى الى مثل هذه الشخصية المتحمسة ليذكره بما قد نسيه ؟

ولو أراد المرء أن يؤلف قصة مكتوبة حول موضوع مماثل ، على أن تكون اشد تأثيرا لأن عاطفة الندم لم تكن قد استيقظت بعد ، فانه يستطيع أن يلجأ الى حكاية يرويها سفر طوبيت Tob it (*) لاحداث هذا التأثير . فقد أراد الشاب طوبيا Tobias أن يتزوج ساره ابنة راجويل Raguel وادنا Edna . غير أن نحسا مشئوما كان معلقا بمصير هذه الفتاة ، فقد دخلت بسبعة أزواج ، ماتوا جميعا الواحد اثر الآخر فى غرفة العروس . غير ان هذا الملمح يعد عيبا شائنا فى

(*) من الاسفار المنحولة التى لا توجد منها الآن نسخة باللغة العربية . والحكاية التى يضمها السفر ذات طابع تربوى . (ف.ك) .

القصة بالنظر الى ما وضعته لها من خطة ؛ ذلك أن المرء لا يستطيع أن يقاوم الأثر الهزلى الذى تحدثه فكرة سبع محاولات عقيمة للزواج ، مع اقتراب العروس الشديد من تحقيق هذا الأمل — اقترابا أشبه باقتراب الطالب الذى اخفق سبع مرات فى الحصول على دبلومه . اما فى سفر « طوبيت » ، فان التركيز يقع على نقطة مختلفة ، ومن ثم فان للشخصية ذات المقام الرفيع دلالة ، كما أنها تسهم — بمعنى ما — فى التأثير الفاجع ، اذ تعزز من شجاعة « طوبيا » الجدير بالتنويه نظرا لأنه الابن الوحيد لأبويه (٦ : ١٤) ، ونظرا لأن العائق كان شديد الغرابة . ولهذا ينبغى أن نستبعد هذه السمة من القصة . وقد كانت ساره عذراء لم تعرف الحب قط ، تدخر النعمة الكبرى التى تملكها العذراء ، أول رهن هائل لها ترتهنه على الحياة ، وصك الائتمان على السعادة (٧٩) ، والامتياز الممنوح لها بأن تحب رجلا بكل قلبها . ومع ذلك ، فهى أتعس العذراوات طرا ، فهى تعلم أن الجنى الشرير الذى يحبها سيقتل العريس ليلة الزفاف . وما أكثر ما قرأت عن الأحزان ، ولكنى أشك فى وجود حزن أعمق من الحزن الذى نكتشفه فى حياة هذه الفتاة . ومهما يكن من أمر ، فلو أن المصيبة تأتى من الخارج ، لكان من الممكن أن نجد — على كل حال — شيئا من العزاء . ومع أن الوجود لا يجلب للمرء ما يمكن أن يجعله سعيدا ، فمازال هناك شىء من العزاء فى التفكير بأن الانسان كان قادرا على تلقى المصيبة . أما الحزن الذى لا سبيل الى سبر غوره والذى لا يستطيع الزمن أن يسرى عنه أبدا ، ولا يستطيع شفاءه أبدا فهو معرفة ألا جدوى مطلقا حتى لو فعل الوجود كل شىء ! وهناك كاتب اغريقى يخفى الكثير بما لا نهاية له ببساطته البسيطة حين يقول : « لأن أحدا لم يفلت أبدا من الحب ، ولن يفلت أحد مادام هناك جمال وعيون ترى هذا الجمال . (رعويات لونجوس) (Longi Pastoralia) (٨٠) .

وكم من فتاة كان الشقاء نصيبها فى الحب ، ولكنها « صارت » شقية ، أما سارة فقد كانت شقية « قبل » أن تصبح كذلك . وكم يشق على الفتاة ألا تجد الرجل الذى تستطيع أن تستسلم له فى تفان تام ، ولكن أصعب

من ذلك كثيرا الا يكون فى مقدورها الاستسلام على الاطلاق . فهذه فتاة تسلم نفسها ، فيقولون عنها : « الآن ، لم تعد حرة » ، أما ساره ، فلم تكن حرة أبدا ، ولكنها مع ذلك لم تسلم نفسها قط . ومن الصعب ان تسلم فتاة نفسها ، ثم تكون ضحية للغش(٨١) ، اما ساره فقد خدعت قبل تسليم نفسها . أى عالم من الحزن انطوت عليه الأحداث التى أعقبت ذلك ، عندما أراد طوبيا أخيرا أن يتزوج ساره ! ويالها من حفلات للزفاف ! ويالها من استعدادات ! ما من عذراء خدعت كما خدعت ساره ، لأنها خدعت من قبل أقدس الأشياء جميعا ، الثروة المطلقة التى تمتلكها حتى أفقر الفتيات ، خدعت من تفانى التسليم الآمن غير المحدود ، غير المقيد ، المنطلق العنان — فلابد أولا من عملية تدخين بوضع قلب السمكة وكبدها على جمرات مشتعلة . وتخيل كيف ودعت الأم إبنتها ، تلك الابنه التى كانت أشد الناس تعرضا للخداع ، ومع ذلك كان عليها — استمرارا لهذا كله — أن تخدع امها فى أجمل ما تملكه . وما عليك الا أن تقرأ القصة : « أعدت ادنا الحجرة ، وأحضرت ساره اليها ، وانتحبت ، وتلقت دموع ابنتها . وقالت لها : فلتنزل السكينة على قلبك يا طفلتى ، فلقد منحك رب السموات والارض الفرح ولهذا تحزنين ! كونى شجاعة يا ابنتى » . ثم حانت لحظة الزفاف ! فليقرؤها المرء أن استطاع من خلال دموعه . « ولكن ، عندما خلا كل منهما الى الآخر ، نهض طوبيا من السرير وقال : « أختى ، انهضى ، ودعينا نصلى لكى يرحمنا الرب » (٨ : ٤) .

فلو أن شاعرا قرا هذه الحكاية ، وقرر أن يستخدمها ، فنا أراهن بمائة الى واحد بأنه سيضع تركيزه كله على الشاب « طوبيا » . فشجاعته انبطولية التى تتمثل فى استعداده للمجازفة بحياته فى مثل هذا الخطر الجلى — الذى تستحضره القصة مرة أخرى . اذ يقول راجويل لاحفاده صبيحة ليلة الزفاف ، « ابعثى بواحدة من الوصيفات ودعيها ترى ان كان حيا ، فان لم يكن حيا ، فمنا بدفنه دون أن يعلم احد » (٨ : ١٢) — هذه الشجاعة البطولية ستكون الموضوع الذى يتخذه الشاعر . أما

أنا ، فأتقدم باقتراح آخـــر : لقد تصرف طوبيا فى شجاعة ، ورباطة جأش ، وشهامة ، ولكن إى رجـــل لا يتحلى بالشجاعة فى مثل هـــذا الموقف فلـــن يكون الا شخصا مخنثا لا يعـــرف ما هو الحب ، أو معنى أن يكون رجـــلا ، أو الشىء الجدير بأن يحيـــا المرء من اجله ، بل انه لم يفهم حتى ذلك السر الصغير ، وهو أن البذل أفضل من الأخـــذ ، كما انه لا يشـعر بأى ميل الى السر الأعظم ، وهو ان الأخـــذ أصعب كثيرا من العطـــاء ــ اعنى اذا كان للمرء الشجاعة أن يفعل بدونه ، وفى ساعة الشدة لا يصير جبانا. كلا، ان سارة هى البطلة . وانى لاود الدنو منها كما لم أدن مـــن أية فتاة أخرى او احسست داخل نفسى برغبة فى الدنو من اية فتـــاة قرأت عنها . فيـــا له من حب عظيم لله ذلك الذى يقتضيه الاستعداد لأن يدع الانسان نفسه للشـــفاء حين تشـــوه صورته منذ البداية دون ذنب جنـــاه ، وحين يكون منذ البداية عينة مجهضة من البشرية(٨٢) ! اى نضج اخـــلاقى كان مطلوبا لتحمل المسئولية فى أن يقـــدم المحبوب على هـــذه الفعلة الجسور ! واى مذلة ازاء وجه الشخص الآخـــر ! واى ايمان أن تؤمن بأنهـــا فى اللحظة التـــالية لـــن تمقت الزوج الذى تدين له بكل شىء !

هب أن سارة كانت رجلا ، حينئذ سيكون ما هو شيطانى **demoncial** فى متناول اليـــد . فالطبيعة النبيلة ذات الكبرياء تستطيع ان تتحمل كل شىء ، غـــير أن شيئا واحـــدا لا تستطيع احتماله ، وهـــذا الشىء هـــو الشفقة ، فهذه الشفقة تنطوى على نـــوع من المهانة التى لا يمكن أن تقضى بها على المرء الا سلطة اعلى ، لأن الانسان لا يمكن أن يصبح من تلقاء نفسه موضوعا للشفقة . فلو وقـــع انسان فى الخطيئة ، فانه يستطيع أن يتحمل العقاب عليها دون أن ينوشه اليأس ، أما ان ينتزع ــ دون أن يأتى مـــا يستحق اللوم ــ من حضن أمه كتضحية للشفقة ، وكنكهة عذبة الرائحـــة فى منخريها ، فهـــذا ما لا يطيقه . وللشفقة جـــدل (ديالكتيك) عجيب ، فهى فى لحظة تتطلب الذنب ، وفى اللحظة التالية ترفضه ، وهكذا أن يكون مقدرا على الشخص أن يتعرض للشفقة أمـــر يزداد بشاعة بقـــدر ما تـــكون مصيبته فى اتجـــاه ما هو روحى . بيد أن ساره لا يلحق بها أى لوم ، وما

هـذا يلقى بها غريسة لكل عذاب ، وبالاضافة الى هذا كله عليها ان تتحمل عذاب الشفقة — فحتى أنا الذى اعجب بها اعجابا يفوق حب طوبيا لها ، حتى انا لا استطيع أن اذكر اسمها دون أن أهتف : « يا للفتاة المسكينة ! » ضع رجلا فى مكان ساره واخبره أنه فى حالة حبه لفتاة ، فسوف تأتى روح من الجحيم لاغتيال محبوبته — ربما كان من الممكن حينئذ ان يختار الجانب الشيطانى ، وأن يغلق على نفسه داخل نفسه ، وأن يقول سرا على النحو الذى تحدث به الطبيعية الشيطانية نفسها : « شكرا جزيلا ، لست من أنصار العبارات اللبقة المسهبة ، ولست فى حاجة على الاطلاق لمتعة الخب ، ويمكن ان أصبح سفاحا للنساء ، فأجد متعتى فى رؤية العذارى يلاقين حتفهن فى ليلة زفافهن » . والمرء لا يسمع عادة الا قليلا عن « الشيطانى » ، وان يكن لهذا الميدان — ولاسيما فى عصرنا الحاضر — حق المطالبة بالكشف عنه — وعلى الرغم من أن الملاحظ — فى حالة قدرته على أن يكون على صلة ولو ضئيلة بالشيطان — يستطيع أن يستغل كل انسان تقريبا لهذا الفرض من حين الى حين على اقل تقدير . ولقد كان شكسبير بوصفه هذا الرائد — بطلا ، وسيظل كذلك باستمرار . وهذا الشيطان الرهيب ، أشد الشخصيات شيطانية التى صورها شكسبير ، وصورها على نحو لا يضارع — اعنى دوق جلوسستر Duke of Glaucester (الذى أصبح فيما بعد رتشارد الثالث) — ما الذى جعله شيطانا ؟ من الجلى أنها تلك الشفقة التى لم يكن يتحملها والتى فرضت عليه منذ الطفولة . والمناجاة (المونولوج) التى كتبها فى الفصل الأول من « رتشارد الثالث » أروع من كل المذاهب الأخلاقية التى لا تدرى شيئا عن فظائع الوجود أو عن تفسيرها .

أنا ، ذلك المنسحق انسحاقا يخلو من كل رحمة
ومع ذلك يصبو الى صاحب الجلالة الحب
لكى يختتال أمام حورية لعوب متبخترة ،
ولما يكتمل نصف خلقتى بعد ،
شائه الخلقة ، غير مكتمل ، مرسل قبل أوانى
وخدعتنى الطبيعة المخاتلة حين صاغت ملامحى ،
الى هذا العالم المتنفس

وانى لمن العرج والبعد عن الأناقة
وانى لمن العرج والبعد عن الأناقة
حتى لتنبحنى الكلاب حين أعبر بها
ظالعـــا فى مشيتى .

مثل هذه الطبائع المشابهة لجلوسستر لا يمكن للمرء أن ينقذها بأن يجعلها تتوسط فكرة عن المجتمع . والواقع أن علم الأخـــلاق يتلاعب بهـــا ، تماما كما يمكن أن تصبح ساره هزؤة أضحوكة لو قال لها علم الاخـــلاق ، « لماذا لا تعبرين عن الكلى ، وتقبلين الزواج ؟ » مثل هـــذه الطبائع تحيـــا ــ جوهريا ــ فى المفارقة ، وليست أشد نقصا عن غـــيرها من الناس ، ولكنها اما أن تضيع فى المفارقة الشيطانية أو تنجـــو بارتفاعها الى الالهى. وقد كان الناس منـــذ أزمان موغلة فى القـــدم يسرهم اعتقاد بأن الساحرات والغيلان والاقزام ... الخ . مخلوقات شائهة ، ولا سبيل الى انكار أن كل من تقع عيناه على شخص مشوه يميل على الفـــور بالربط بين هذا التشويه وبين الانحطاط الخلقى . فياله من ظلم بشع ! اذ الاولى أن يكون الموقف معكوسا ، بمعنى أن الوجود نفسه هو الذى افسدهم ، على النحو نفسه الذى تجعـــل به زوجة الأب من أبناء زوجها اشرارا ! ان واقعة عـــزل الانسان أصلا خارج الكلى ، سواء بواسطة الطبيعة أو الظروف التاريخية ، هذه الواقعة هى بداية الشيطانى ، ولا يلام الفـــرد نفسه عليها بحـــال من الاحـــوال . ومن هذه الشاكله ايضـــا اليهودى الـــذى صـــور شخصيته كمبرلاند(٨٣) Cumberland ، فهو شيطان وان كان يفعل ما هـــو خـــير. كما يمكن أن يعبر الشيطانى عن نفسه على هيئة احتقار للناس ــ احتقار لا يجعل الشـخص يتصرف باحتقار ــ وهذا ما ينبغى ملاحظته ــ مادام ــ على العكس ــ يعـــد من أسباب قوته أنه أفضل من الذين يدينهم جميعـــا . وعلى الشعراء بالنظر الى مثل هذه الحالات ــ أن يدقـــوا جرس الانذار . ويعلم الله أى كتب يقرؤها الآن الجيل الأصغر من صناع الشعر ! فمـــن المرجح أن دراستهم تقوم على استظهار القوافى دون فهم ! والله وحـــده يعلم الدلالة التى يتمتع بها هؤلاء الناس فى الوجود ! ولا أعـــرف فى هـــذه اللحظة أى نفع يرجى منهم ، اللهم الا أنهم يقدمون دليلا اساسيا على خلود الروح ، اذ يستطيع المرء أن يقول عنهم ما قاله باجيزن(٨٤) Baggesen

عن شاعر مدينتنا كيلدفال Kildevalle : « لو كان خالدا ، اذن لكنا جميعا كذلك » . وما قيل هنا عن ساره ، كضرب من الأنتاج الشعرى ولهذا ينطوى على افتراض خيالى — يكتسب دلالته الكاملة اذا غاص شخص يتمتع بشيء من الاهتمام النفسى — الى اعماق المعنى الذى يشير اليه المثل القديم : «لم توجد قط عبقرية عظيمة دون أن يخالطها شيء من الجنون»(٨٥) . وهذا الجنون هو العذاب الذى خصت به العبقريةفى الوجود ، انه تعبير — ان صح هذا القول — عن الغيرة الالهية ، على حين ان هبة العبقرية تعبير عن الفضل الالهى . وهكذا تضل العبقرية منذ البداية فى علاقتها بالكلى ، وتتحول الى علاقة بالمفارقة — سواء أكان ذلك عن يأس من محدوديته (التى تعمل على تحويل قدرته الشاملة الى عجز فى نظره) يدفعه الى البحث عن طمأنينة شيطانية ، ومن ثم لا يسلم بهذه المحدودية امام الله أو أمام الناس ، أم يعيد الاطمئنان الى نفسه دينيا بمحبة الله . وهنا نتعرض لموضوعات نفسية يمكن ان يضحى المرء فى سبيلها بحياة بأكملها عن طيب خاطر — ومع ذلك نادرا ما يسمع عنها المرء كلمة واحدة(٨٦) . ما العلاقة بين الجنون والعبقرية ؟ هل نستطيع أن نقوم بتركيب الواحدة من الأخرى ؟ وبأى معنى ، والى أى مدى يمكن للعبقرى أن يسيطر على جنونه؟ فلا حاجة بنا الى القول بأنه يسيطر عليه الى حد ما ، والا كان مجنونا بالفعل . والقيام بمثل هذه الملاحظات يتطلب على كل حال درجة عالية من البراعة ، ومن الحب ، ذلك ان ابداء الملاحظات عن عقلية أعلى — أمر عسير كل العسر . فاذا وعى المرء هذه الصعوبة جيدا ، وطالع مؤلفات كتاب معينين اشتهروا بعبقريتهم ، فقد يكون الأمر ممكنا فى مجرد مثل مفرد أن يكتشف المرء شيئا قليلا ، بكثير من العناء .

مازالت هناك حالة أخرى أريد ان افحصها ، وهى حالة فرد كان يمكن بتخفيه وصمته أن ينقذ « الكلى » Universal ، ولهذا الغرض استخدم اسطورة فاوست(٨٧) . كان فاوست شاكا* ، اقنوما من الأقانيم

* اذا آثر المرء الا يستخدم شاكا ، فانه يستطيع أن يختار شخصية شخصية مشابهة ، شخصا ساخرا — مثلا — اكتشفت بصيرته الثاقبة الجانب اساسا فى الوجود ، والذى بتفاهمه الخفى مع قوى الحياة يتحقق مما يتمناه المريض . فهو يعلم أنه يملك القدرة على الضحك اذا شاء أن يستخدمها =

= وهو على يقين من النصر ، بل من حظه السعيد أيضا . ويعلم ان صوتا فرديا سيرتفع بالمقاومة ، ولكنه يعلم أنه أقــوى . ويعلم ان المرء مازال يستطيع فى لحظــة أن يكون سببا فى أن يبــدو الناس جادين ، ولكنه يعلم أيضا أنهم يشتاقون أن يضحكون معه على انفــراد ، ويعلم أيضا ان المــرء مازال ستطيع للحظة واحــدة أن يكون سببا فى أن تضع امراة مروحتها أمام عينيها عندما يتحدث ، ولكنه يعلم أنها تضحك خلف المروحــة ، وان المروحــة ليست مانعة تماما للرؤية ، ويعلم أن المرء يستطيع أن يكتب عليها كتابة غير مرئية ، ويعلم أنه حينما تربت عليه امرأة بمروحتها فذلك لأنها فهمته ، ويعلم دون أدنى خداع كيف يتسلل الضحك ،وكيف يقبع فى كمين منتظرا بعد أن يكون قد استقر مكانه ، دعنا نتخيل شخصـــا كاريستوفان ، أو كفولتير ، مع تعديل طفيف ، ذلك لأنه فى الوقت نفسه طبيعة متعاطفة ، فهو يحب الوجود ، ويحب الناس ، وهو يعلم أنه حتى لو كان تأنيب الضحك قد يربى جنسا شابا تم انتقاذه ، الا أنه فى الجيل المعاصر سيتحطم عــدد كبير من الناس . ولهذا فانه يلزم الصمت وينسى على قــدر ما فى وسعه كيف يضحك . ولكن هل يجرؤ على التزام الصمت ؟ لعل هنـــاك عديدا من الاشخاص الذين لا يفهمون الصعوبة التى تدور فى ذهنى بحـــال من الاحوال . والارجح أنهم مـــن الرأى القائل بأن التزام الصمت فعل من أفعال الشهامة يدعـــو الى الاعجاب . ولست من هـــذا الرأى على الاطلاق ، لأننى أعتقد أن كل شخصية على هذه الشاكلة ، ان لم تكن من الشهامة بحيث تلتزم الصمت ، فانها تكون خائنة للوجود . ولهذا أطلب منه تلك الشهامة ، ولكن اذا امتلكها هل سيجرؤ على التزام الصمت ؟ ان علم الاخـــلاق علم خطر ، وربما كان من الممكن أن أرستوفان كان مدفوعا باعتبارات أخلاقية صرف فى اعتزامه تأنيب عصره الضـــال متوسلا بالضحك . والشهامة الجمالية لا تساعد (على حل هذه المشكلة وهى : هل ينبغى على المرء التزام الصمت ؟) ، لأنه على أساس هذا الضمان لا يقدم الانسان على مثـــل هـــذه المجازفة ولو التزام الصمت، فلابـــد أن يقتحم المفارقة . ــ ومازال فى جعبتى خطة أخـــرى للقصـــة . هب أن رجـــلا ــ على سبيل المثال ــ يمتلك تفسيرا لحياة بطولية يفسرهـــا على نحـــو حزين ، ومع ذلك يستتر جيل بأكمله آمنا فى ايمان مطلق بهـــذا البطل دون أن يساوره أى اشتباه فى شىء من هذا القبيل .

المعادية للروح ، فلا يختار الا طريق الجسد . وهـذا ما يعنيه الشـاعر بها (أى بتلك الاسطورة) ، ومع ما يتردد دائما مرة بعداخـرى من أن لكل عصر فاوست خاصبه ، الا أن الشعراء يتبعون بعضهم بعضا دون كلل فى نفس الطريق المطروق . فلندخل اذن تعديلا طفيفا . فاوست هو الشاك بلا منازع ، ولكنه ذو طبيعة جذابة متعاطفة . وحتى فى تفسير جيته لفاوست احس بافتقار الى بصيرة نفسية أعمق للنفاذ الى المحادثات السرية التـى اجراها الشك مع نفسه . وفى عصرنا ، حيث عانى الجميع من الشك — بلا شك — ما من شاعر واحـد تقدم خطوة واحـدة فى هـذا الاتجاه . ومن ثم ، يحسن بى أن أقدم لهم بوالص « التأمينات الملكية »(٨٨) للكتابة عليهـا، حتى يكتبوا فيها كل خبرتهم فى هذا المجال — ولن يكتبوا أكثر من المكان المتاح لهم فى هامش اليد اليسرى .

وعندما يعيـد المرء فاوست على هـذا النحو ليصب فى نفسه مـن جديد ، فى هـذه الحالة وحـدها يمكن أن يبدو الشك شاعريا ، وفى هـذه الحالة وحـدها أيضا سيكتشف هو نفسه فى الواقع كل آلامه . وسيعلم أن الروح هى التى تساند الوجود ، ولكنه سيعلم أيضا حينذاك أن الامن والفرح اللذين يعيش فيهما الناس لا يقومان على سلطان الروح ، ولكن من السهل تفسيرهما بأنهما سـعادة تخلو من التفكير . وبوصفه شاكا ، بـل بوصفـه الشاك بلا منازع ، فانه يعـد اعلى من كل هـذا ، وان كان لأحـد أن يخدعه بأن يجعله يعتقـد بأنه اجتاز دورة تدريبية فى الشك ، فانه يستطيع على الفور أن ينفـذ ببصيرته فى هـذا الخداع ، ذلك لان الانسـان الـذى اقـدم على حركة فى عالم الروح ، ومن ثم فهى حركة لا متناهية ، يستطيع على الفور ان يسمع خلال الكلمة المنطوقة هل الشخص الذى صدرت عنـه شخص محنك مجرب . او مجـرد شخص تافه . ومـا استطاع تامبرلين **Tamberlane** أن يحققه بواسطة رجاله من الهون **Huns** ، يستطيع فاوست ان يحققه عن طريق شكه : أن يخيف الناس رعبـا ، أن يجعـل الوجـود يميد تحت أقدامهم ، أن يشتت الناس فى الخـارج ، أن يجعـل صيحات الفزع مسموعة فى كل الأرجاء ، فاذا فعل ذلك ، لم يـكن تامبرلين على كل حال ، انه مسوغ بمعنى ما ، ويمتلك مسوغات الفكر . غير أن فاوست طبيعة متعاطفة ، فهو يحب الوجود ، وروحه لا تألف الحسد ، وهو يدرك

انه عاجز عن كبح جماح السخط الذى يستطيع اثارته ، كما انه لا يريد اى تكريم هيروستراتى(٨٩) — ولهذا يخلد الى الصمت ، ويخفى الشك فى نفسه بحرص أشد من حرص الفتاة التى تخفى فى أحشائها ثمرة حب آثم ، وهو يجتهـد بكل وسعه لكى تتمشى خطواته مع خطوات الآخـرين ، اما ما يجرى داخل نفسه فانه يحترق به داخـل روحه ، وبهـذا يقـدم نفسه قربانـا على مذبح الكلى .

وعندما يثير عقل غريب الاطوار دوامة من الشك ، يسمع المرء الناس يقولون أحيانا « أما كان أحـرى به أن يلتزم الصمت » . وفاوست يحقق هـذه الفكرة . ومن كان لديه تصور عن معنى الحيـاة على الروح يعلم أيضـا معنى التعطش الى الشك ، وأن الشاك يجـوع الى خبز الحياة اليومى مثلما يجوع الى غذاء الروح . ومع أن كل الآلام التى عاناها فاوست يمكن أن تكون حجة قوية على أن الشىء الذى استولى عليه لم يكن الكبرياء ، فاننى لكى اختبر هذه الحجة مزيدا من الاختبـار سأستخدم حيلـة احتياطية صغيرة اخترعتها فى يسر شديد . فمثلما أطلق على جريجورى أوف ريمينى **Gregory of Rimini** لقب « جـلاد الاطفال » **tortor infantium** لأنه اعتنق الرأى القائل بادانة الاطفـال ، كذلك أرانى مدفوعا الى تسمية نفسى « جلاد الأبطـال » **tortor heroeum** ، اذ أكون شديد الاختراع عنـدما يتعلق الأمر بتعذيب الابطـال . وفاوست يرى مرجريت — لا بعد أن وقـع اختياره على المتعة ، لأن فاوست الذى ينتمى الى لا يختار المتعة — انـه يشاهد مرجريت لا فى مرآة ميفيستوفلي **Mephistopheles** المقعرة ، ولكن بكل براءتها المحببة ، ولما كانت روحه قد احتفظت بحبه للجنس البشرى ، فانه من الممكن أن يقـع فى غرامها تماما . ولكنه شاك ، وقـد الغى شكه الواقع بالنسبة اليه ، ذلك ان فاوست الذى اخترعته مثالى الى درجة أنـه لا ينتمى الى أولئك الشكاك العلميين الذين يشكون ساعة كل نصف سـنة دراسية وهـم فى كرسى الاستاذية ، وان كانوا فى غير ذلك من الأوقـات يستطيعون ان يفعلـوا اى شىء آخـر ، لأنهم يفعلون ذلك حقـا (اى يتشككون) دون أى سند من الروح ، أو بفضل الروح . فاوست شاك ، والشاك يجوع الى خبز الفـرح اليومى مثلما يطلب غذاء الروح . ولكنـه

يظل — على كل حال — صادقا فى عزمه ، فيلتزم بالصمت ، ولا يفضى بشكه الى احـد ، ولايبوح بحبه لمرجريت .

ولا حاجة بنا الى القـول ان فاوست شخصية مثالية بحيث لا يمكن ان يقنع بذلك الهذر الذى يرى أنه اذا تكلم فسـوف يتيح الفرصة لاثـارة مناقشة عادية ، وستمر المسألة كلها دون أية عواقب — أو ربما ، أو ربما .. « وهنـا — كما يستطيع كل شاعر أن يرى فى يسر ، يكمن عنصر الملهاة فى الخطة ، مهـددا بوضع فاوست فى علاقة تهكمية مع اولئك الحمقى اصحاب الملهاة الرخيصة الذين يجرون فى عصرنا وراء الشك ويتقدمون بحجة خارجية مثـل درجة الدكتوراه ليثبتوا بها انهم قد شكوا حقا ، أو يحلفون بأنهم قـد شكوا فى كل شىء ، أو يثبتون ذلك بأنهم التقوا فى احدى الرحلات بشخص من الشكاك — هؤلاء الرسل الذين يركبون القطار السريع ، والمشتركون فى مسابقات الجرى فى عالم الروح ، والذين فى تسرعهم الشديد يختطفون لمحة ضئيلة من الشك من احـد الاشخاص ، ويختطفون من شخص آخر لمحة هزيلة من الايمان ، ثم يحيلونها الى افضل ما يمكن أن يصنعوه منها حسب ما يريده المجمع : ان كان رملا ناعما ، أو رملا خشنا)(٩١) — ان فاوست شخصة مثالية بحيث لا يسير بالخف الخاص بالسجاد . ومن لم يكن يتمتع بعاطفة لا متناهية ، فليس مثاليا ، ومن كانت له عاطفة مثالية ، فقـد أنقـذ روحـه منذ أمـد طويل من مثـل هذا الهراء . انه يلتزم بالصمت ويضحى بنفسه / أو يبوح وهو يشعر بأنه سيخلط بين كل شىء .

فلو انه اخلد الى الصمت ، فسوف يدينه علم الأخلاق ، اذ يقول : « سوف تعترف بالكلى ، وفى كلامك نفسه اعتراف به ، ولا ينبغى أن تأخذك الشفقة بالكلى » . ولا ينبغى على المرء ان ينسى هذا الاعتبار عندما يصدر احيانا حكما قاسيا على الشكاك لأنه تكلم . ولست ميالا الى الحكم على هذا السلوك حكما هينا ، ولكن فى هذه الحالة ، كما هو شأن كل الحالات — يتوقف كل شىء على وقوع الحـركات على نحو سـوى . فاذا تأزمت الأمور ، وتسبب الشاك بكلامـه فى انزال كل النكبات الممكنة على العالم ، فانه أفضل كثيرا على كل حال من أولئك التعساء اصحاب الأسنان الخربة الذين يتذوقون شيئا قليلا من كل شىء ، والذين يعالجون الشـك دون ان يتعرفوا عليه ،والذين يؤلفون عادة

العلة القريبـــة للشـــك عندما ينفجر فى وحشية ، وفى ثورة لا سبيل الى كبح جماحها . – انه اذا تحدث ، فسيخلط اذن بين كل شيء – فعلى الرغم من أن هذا لايحدث بالفعل ، فانه لن يعرف ذلك الا فيما بعد ، ولا يمكن ان تساعد النتيجة الانسان سواء فى لحظة الفعل او فيما يتعلق بمسئوليته .

ولو أنه التزم بالصمت على مسئوليته الخاصة ، لكان بكل يقين – متصرفا بشهامة ، ولكنه يضيف الى آلامه الأخـــرى غواية صغيرة ، ذلك لأن الكلى لن يكف عن تعذيبه باستمرار قائلا : « كان ينبغى أن تتكلم . فأين ستجد اليقين فى أنها لم تكن قبل كل شيء كبرياء مستترة هى التى تحكمت فى قرارك ؟ » .

فاذا استطاع الشـاك – من ناحية أخرى – أن يصبـــح الفرد الجـــزئى الذى يقف بوصفه فردا فى علاقة مطلقة مــــع المطلق ، اذن لاستطاع ان يحصل على مبرر لصمته . وفى هـــذه الحالة يجب عليه ان يحول شكه الى ذنب guilt . ويكون حينئذ داخــل المفارقة ، يبرأ من شكه ، وان انتابه شك آخر .

حتى العهد الجديد New Testament يمكن ان يؤيد مثل هـــذا الصمت . فهناك فقرات فى العهد الجديد تشيد بالتهكم – حتى لـــو كانت مستخدمة لاخفاء شيء طيب . فهذه الحركة – على كل حال – حركة تهكم خالصة كأية حركة اخرى تتخذ اساسها فى هذه الحقيقة ألا وهى أن الذاتية أعلى من الواقع . ولا يريد الناس فى عصرنا أن يستمعوا الى شيء عن هذا الموضوع ، فهم لا يريدون – بوجه عام – ان يعرفـــوا عن التهكم اكثر مما قاله هيجل عنه (٩٢) – والعجيب ان هيجل لم يفهم التهكم فهما صحيحا ، بل كان يضمر له نوعا من الضغينة التى لم يتخل عصرنا عنها ، وله عذره القوى فى ذلك ، لأن من الخير له أن يحذر من التهـــكم . وقد قيل فى موعظة الجبل : « أما أنت فمتى صمت فادهن راسك ، واغسل وجهك لكى لا تظهر للناس صائما » (انجيل متى : ٦ : ١٧) هذه الفقرة تشهد شهادة مباشرة على هذا الحق ، وهو أن الذاتية لا تقاس بالواقع . أجل ، وأن من المسموح لهـــا ان تخدع .

فلو أن أولئك الناس الذين يتسكعون فى عصرنا بتلك الاقوال المبهمة عن الفكرة المجمعية (٩٣) قراوا العهد الجديد ، فربمـــا استـــتقرت أفكار اخرى داخل رؤوسهم .

ولكن نعــود الآن الى ابراهيم — كيف تصرف ؟ فأنا لم انس ، ولعل القارىء الكريم يتذكر أيضا ، اننى بهدف الوصول الى هذه النقطة دخلت فى المناقشة السابقة كلها — لا على امل ان يصبح ابراهيم اكثر وضوحا ، ولكن لكى يصبح عدم الوضوح اكثر تفككا (٩٤) . فابراهيم لا أستطيع أن افهمه ، كما قلت من قبل ، وليس فى وسعى الا أن اعجب به . كمالوحظ أيضا أن المراحل التى وصفتها لا تتضمن احداهـــا اى مماثل لابراهيم . وانما ضربت الأمثلة حتى يكون فى عرضها فى اجوائها الخاصة ، وفى لحظة التباين (مع حالة ابراهيم) ما يشير الى حدود الارض المجهولة . ولو كان هناك اى تماثل ، اذن فلابد ان نجـــده فى مفارقة الخطيئة ، بيد أن هذا يقع فى مجال آخر ، ولا يمكن أن يفسر ابراهيم ، بل ان من الأيسر تفسيره هو نفسه عن تفسير ابراهيم .

وهكذا لم يتحدث ابراهيم ، لم يتحدث الى ساره أو الى اليعازر أو الى اسحق ، وهكذا تخطى ثلاث سلطات اخلاقية ، اذ لم يكن للاخلاقى عند ابراهيم تعبير اعلى من الحياة العائلية .

وعلم الجمال يبيح ، كلا ، بل يقتضى الصمت من الفرد ، حين يعلم انه بالتزامه بالصمت يمكن أن ينقذ شخصا آخر . وهذا بالفعل دليل كاف على ان ابراهيم لا يقـــع فى محيط علم الجمال . ذلك أن صـــمته لم يكن ينوى على الاطلاق انقاذ اسحق ، وبوجـــه عـــام ، كانت مهمته كلها التى تتمثل فى تضحيته باسحق من اجل نفسه ، وفى سبيل الله ، اعتداء على علم الجمال ، فعلم الجمال يستطيع ان يفهم جيدا أن اضحى بنفسى ، لا ان اضحى بشخص آخر من اجل نفسى . وقد كان البطل الجمالى صامتا . فأدانة علم الاخلاق — على كل حال — لأنه كان صامتا بفضل طابعه الجزئي العرضى accidental وكانت معرفته الانسانية

المسبقة هى التى حددت له الالتزام بالصمت . وهذه الأخلاقيات لا تستطيع العفو ، لأن كل معرفة من هذا القبيل ليست الا وهما ، وعلم الاخلاق يتطلب حركة لامتناهية ، انها تطلب الكشف . ومن ثم « يستطيع » البطل الجمالى أن يتكلم ، ولكنه لن يفعل .

والبطل المأساوى الأصيل يضحى بنفسه وبكل ما يتعلق به فى سبيل الكلى ، فكل أفعاله ، وكل عواطفه تنتمى الى الكلى ، وهو مكشوف ، وفى هذا الكشف الذاتى **Self-revelation** يرى فيه علم الأخلاق ابنه الحبيب . وهذا كله لا يلائم حالة ابراهيم ، فهو لا يفعل شيئا من أجل الكلى ، كما انه مستور .

والآن نصل الى المفارقة . فاما أن يكون الفرد بوصفه فردا — قادرا على أن يقف فى علاقة مطلقة مع المطلق (وهنا لا يكون الأخلاقى هو الأعلى)/ أو يضيع ابراهيم ، فلا يكون بطلا مأساويا ، ولا بطلا جماليا .

وهنا يبدو مرة أخرى وكأن المفارقة أيسر الأشياء جميعا واكثرها راحة . ومع ذلك ، لابد ان أكرر أن من يرى نفسه مقتنعا بهذا ليس فارس ايمان ، لأن الحزن والقلق هما المسوغان الشرعيان الوحيدان اللذان يمكن التفكير فيهما ، ولا سبيل الى التفكير فيهما بعبارات عامة ، لأن التفكير على هذا النحو يلغى المفارقة .

التزم بالصمت ابراهيم — ولكنه « لا يستطيع » أن يتكلم . وهنا يكمن الحزن والقلق . فلو اننى حين أتكلم اكون عاجزا عن توضيح نفسى ، فاننى لا اكون متكلما فى هذه الحالة (أى ان كلامى لا جدوى منه) — حتى ولو كنت أتكلم دون انقطاع ليلا ونهارا . هذه كانت حالة ابراهيم . كان يستطيع أن يتحدث بكل شىء ، ولكن ثمة شىء واحد لم يكن يستطيع أن يفصح عنه ، اعنى ان يقوله على نحو يجعل الشخص الآخر يفهمه ، ومن ثم ، فانه لم يكن يتكلم . والراحة التى يجدها المرء فى الكلام هى أنه يقوم بترجمتى الى الكلى . والآن ، يستطيع ابراهيم

ان يقول اجمل ما تقوله أية لغة من أشياء للتعبير عن مدى حبه لاسحق . ولكن ، ليس هذا ما يريده أن يفصح عن مكنون قلبه ، أعنى الفكرة الأعمق التى تدفعه الى التضحية به لأنه امتحان . هذه الفكرة الأخيرة لا يستطيع أن يفهمها أحد ، ومن ثم لا يستطيع أحد الا أن يسىء فهم الفكرة الأولى . هذا الحزن الشديد لا يعرفه البطل المأساوى . فهو مطمئن — قبل كل شيء — الى أن كل حجة مضادة قد لقيت ما تستحقه من دراسة ، وبأنه كان قادرا على أن يعطى لكليتمنسترا ، ولافجينيا ولأخيل ، وللجوقة (الكورس) ، ولكل كائن حى ، ولكل صوت صادر من قلب البشرية ، ولكل فكر ماكر ، منذر ، متهم ، متعاطف — كان قادرا على أن يتيح لهؤلاء جميعا الفرصة للوقوف ضده . وهو يستطيع أن يوقن بأن كل ما يمكن أن يقال ضده قد قيل فعلا ، دون اغفال ، وبلا رخمة — والنضال ضد العالم كله .. ينطوى على شيء من العزاء ، على حين أن جهاد النفس شيء مخيف . وليس ثمة ما يدعوه الى الخوف من انه اغفل شيئا ما ، فيجد نفسه مرغما على أن يصيح كما صاح الملك ادوارد الرابع عندما جاءه نبأ وفاة كلارنس (٩٥) Clarence

من ذا الذى يتوسل الى من اجله ؟
ومن ذا الذى ركع عند قدمى فى حالة غضبى
ورجانى أن استمع الى النصيحة ؟
من ذا الذى تحدث الى عن الأخوة ؟
ومن الذى تحدث عن الحب ؟

ان البطل المأساوى لا يعرف المسئولية الرهيبة التى تفرضها العزلة . وانه ليتمتع — فى المحل الثانى — بعزاء آخر ، وهو انه يستطيع أن يبكى وينوح مع كليتمنسترا وافجينيا — والدموع والصرخات ملطفة للعذاب ، اما الآهات المكتومة فهى العذاب نفسه . ويستطيع اجاممنون أن يستجمع روحه بسرعة فى يقينه بأنه سيقدم على التصرف ، ومن ثم فان الوقت ينفسح له للراحة والنصح . وهذا مالا يستطيع ابراهيم ان يفعله . وعندما يتأثر قلبه ، وحينما تنطوى الكلمات على راحة مباركة للعالم بأسره ، فانه لا يجرؤ على تقديم شيء من الراحة ، الن

تقول له ساره ، ويقول له اليعازر وإسحق : « ولماذا تفعلها ؟ إنك تستطيع الاحجام ؟ » فاذا أطلق العنان لمشاعره وهو فى حزنه ذاك ، وعانق أعزائه جميعا قبل أن يقدم على الخطوة النهائية ، فربما جلب هذا كله تلك النتيجة الرهيبة وهى أن يخيب ظن ساره واليعازر واسحق فيه ، فيعتقدون أنه منافق . انه عاجز عن الكلام ، وهو لا يتكلم بلغة انسانية . ومع أنه هو نفسه قد فهم كل لغات العالم ، ومع أن احبابه قد فهموها أيضا ، الا أنه لا يستطيـــع أن يتكلم ـــ انه يتكلم لغة الهية ... انه « يتكلم بكل الألسـنة » .

هذا الحزن العميق شيء أستطيع أن أفهمه جيدا ، كما أستطيع الاعجاب بابراهيم ، ولست أخشى أن تغرى هـــذه القصة شخصا ما فيريد فى شيء من النزق أن يكون the individual ، ولكننى اعترف أيضا بأننى لا أجد فى نفسى الشجاعة للاقدام على هذا الفعل ، وبأننى اتخلى مسرورا عـــن امكانية المضى الى أبعد من ذلك ـــ ان كان من الممكن على أى نحو من الأنحاء ـــ رغم فوات الأوان ـــ ان أمضى الى ذلك المدى البعيد . كان فى استطاعة ابراهيم فى كل لحظة أن يتراجع ، فيريد فى شيء من النزق أن يكون الفرد Anfechting) ، وعندئذ يستطيع أن يتكلم ، وعندئذ يستطيع أن يفهمه الجميع ـــ ولكنه لن يكون ابراهيم بعـــد .

ابراهيم لا يستطيع أن « يتكلم » ، لأنه لا يستطيـــع أن يتفوه بالكلمة التى تفسر كل شيء (أى ما كان ، لا على أنه شيء واضـح) ، فهو لا يستطيع ان يقول ان الامر كله اختبار ، واختبار من النوع الـــذى يكون فيه الأخلاقى ، ethical هو الامتحان (Versuchung) ، وهـــذا ما ينبغى أن نلاحظه . ومن يكون هذا موقفه يعد مهاجـــرا من مجال الكلى . غير أن الكلمة التالية مازالت أيضا شيئا يعجز عن النطق به . ذلك أن ابراهيم ـــ كما عرضنا ذلك آنفا عرضا كافيا ـــ يقوم بحركتين : فهو يقوم بحركة التســـليم اللامتناهية ويضحى باسحق (وهـــذا شيء لا يستطيع أحد أن يفهمه لأنه مخاطرة خاصة)، ولكنه يقوم فى المحل الثانى ـــ

بحركة الايمان فى كل لحظة . وهذا هو عزاؤه ، لأنه يقول : « ولكن هذا لن يحدث ، أو لو انه حدث ذلك ، فسوف يهبنى الله اسحاقا جديدا بفضل اللامعقول » . وهكذا يصل البطل المأساوى اخيرا الى ختام القصة . وتنحنى افيجينيا لقرار أبيها ، وتقوم هى نفسها بحركة التسليم اللامتناهية ، فهما الآن متصالحان الابنة مع أبيها . فهى تستطيع أن تفهم اجاممنون لأن فعلته تعبر عن الكلى . ولو قال لها اجاممنون — من ناحية اخرى — : « على الرغم من أن الاله يطلبك كتضحية ، فقد يكون من الممكن مع ذلك انه لا يطلبها ، بفضل اللامعقول » ، فى هذه اللحظة عينها يصبح غير مفهوم لافيجينيا . فلو انه قال ذلك على اساس حسابات انسانية ، فسوف تفهمه افيجينيا بكل تأكيد ، ولكن يلزم عن ذلك الا يكون اجاممنون قد قام بحركة التسليم اللامتناهية ، ومن ثم فانه ليس بطلا ، ويكون قول الكاهن حكاية يرويها قبطان البحر ، ويتحول الحدث كله الى فدفيل (مسلاة) * .

لم يتكلم ابراهيم ، ولم تؤثر عنه سوى كلمة واحدة ، رده الوحيد على اسحق ، ذلك الرد الذى يعد ايضا دليلا كافيا على انه لم يتكلم قبله . فقد سأل اسحق ابراهيم أين الخروف للمحرقة ؟ فقال ابراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى » . (تكوين — ٢٢ : ٧ و ٨) .

هذه الكلمة الأخيرة لابراهيم سأمعن فيها النظر ، لأنه لو لم تكن هذه الكلمة ، لنقص الحدث كله شيئا ما ، ولئن كان لهـا تأثير آخر ، فلعل كل شىء أن يصير الى الخلط والاضطراب .

---

* الفدفيل Vaudville أو المسلاة عبارة عن تمثيلية خفيفة مرحة قد يتخللها بعض الأغنيات المضحكة . واشهر من كتب الفدفيل هو جورج فيدو (١٨٦٢ — ١٩٢١) وقد نقلت أعماله — ولا تزال تنقل — الى اللهجة المصرية (راجع « معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية » وضع د . ابراهيم حماده ، طبعة دار الشعب — ١٩٧١ — ص ٢٧١) — (ف . ك .) .

ولقد تأملت فى كثير من الاحيان هذه المسألة وهى : هل يحتاج البطل المأساوى ، سواء أكانت ذروة مأساته عذابا أم فعلا — هل يحتاج الى كلمة أخيرة ؟ فى رأيى أن الأمر يتوقف على مجال الحياة الذى ينتمى اليه ، وهل لحياته دلالة عقلية ، وهل يقف عذابه أو فعله فى علاقة مع الروح .

ومن نافلة القول ان البطل المأساوى ، كأى انسان آخر لم يحرم من القدرة على الكلام — يستطيع فى لحظة الذروة أن ينطق بكلمات قلائل ، وربما كلمات قلائل مناسبة ، ولكن المسألة هى : هل هذه الكلمات مناسبة لأن ينطقها . فاذا كانت دلالة حياته تتمثل فى فعل خارجى ، اذن فلن يكون لديه ما يقوله مادام كل ما يقوله سيكون فى جوهره لغوا لن يضعف الا الانطباع الذى يحدثه ، على حين أن احتفالية المأساة تقتضى ان يؤدى مهمته فى صمت ، سواء أكان ذلك متمثلا فى فعل أم فى عذاب . ودون أن أشرد بعيدا ، سأضرب مثلا قريبا من مناقشتنا أشد القرب . ولو كان أجاممنون هو الذى ينبغى أن يسحب السكين لا كلشاس Calchas ـ ضد افيجينيا ، اذن لحط من قدر نفسه بأن يريد فى اللحظة الأخيرة قول بضع كلمات قلائل ، ذلك أن دلالة فعلته كانت سيئة السمعة ، فالاجراءات القانونية للتقوى ، والشفقة ، والعاطفة ، والدموع كانت قد اكتملت ، وبالاضافة الى هذا لم تكن لحياته أية صلة بالروح ، فلم يكن معلما وشاهدا على الروح . ومن جهة أخرى ، اذا كانت الدلالة التى تتخذها حياة البطل فى اتجاه الروح ، اذن فان الافتقار الى كلمة أخيرة يضعف من الانطباع الذى يحدثه . ان ما ينبغى أن يقوله ليس مجرد كلمات قلائل ، خطبة صغيرة عصماء ، وانما دلالة رده هو أنه حتى فى اللحظة الحاسمة يحتفظ برباطة جأشه . وينبغى أن يتحلى مثل هذا البطل المأساوى المفكر بما يجاهد الآخرون لبلوغه فى ظروف أخرى بأساليب تبعث على السخرية فى معظم الأحيان ، اذ ينبغى أن تكون له الكلمة الأخيرة ، كما ينبغى أن يحتفظ بها لنفسه . وان المرء ليتطلب منه تلك المهابة المتسامية اللائقة بكل بطل مأساوى ، ولكن بالاضافة الى هذا كله ثمة كلمة واحدة مطلوبة منه . فعندما يصل

مثل هذا البطل المأساوى المفكر الى ذروته فى العذاب (فى الموت) ، عندئذ يصبح بكلمته الأخيرة خالدا قبل أن يموت ، على حين أن البطل المأساوى العادى لا يصير خالدا — من جهة أخرى — الا بعد موته .

ونستطيع أن نتخذ من سقراط مثلا . فقد كان بطلا مأساويا مفكرا . وقد أعلن اليه الحكم باعدامه . فى هذه اللحظة بدأ موته — فالشخص الذى لا يفهم أن قوة الروح كلها مطلوبة فى عملية الموت ، وأن البطل يموت دائما قبل أن يموت ، مثل هذا الشخص لن يتقدم كثيرا فى تصوره للحياة . المطلوب اذن من سقراط بوصفه بطلا أن يطمئن هادئا داخل نفسه ، ولكن المطلوب منه بوصفه بطلا مأساويا مفكرا أن تكون له حتى اللحظة الأخيرة تلك القوة الروحية الكافية لاجتياز هذه المحنة دون أن يفقد رباطة جاشه . ولهذا لا يستطيع أن يفعل ما يفعله البطل المأساوى العادى فيركز على الاحتفاظ بنفسه وجها لوجه ازاء الموت ، بل ينبغى عليه أن يقوم بهذه الحركة بسرعة بحيث يكون فى هذه اللحظة نفسها واعيا بقدرته على اجتيازها ، وبأنه عبر هذا الصراع ، ويعمل على توكيد نفسه . ولو أخلد سقراط الى الصمت فى محنة موته ، اذن لأضعف من التأثير الذى تركته حياته ، ولأثار الشك فى أن مرونة التهكم فيه لم تكن قوة عنصرية elemental ، بل كانت مجرد لعبة ، عليه أن يستخدم مرونتها فى اللحظة الحاسمة لمساندته عاطفيا * .

---

* انقسمت الآراء حول رد سقراط الذى ينبغى اعتباره الرد الحاسم ، وخاصة أن سقراط قد تبخر على يدى أفلاطون بطرق شتى . واقترح الآتى : أعلن بحكم الاعدام عليه ، وفى هذه اللحظة نفسها يموت ، وفى هذه اللحظة نفسها يتغلب على الموت ، ويجتاز الموقف برباطة جأش برده الشهير الذى يعبر عن الدهشة لأنه أدين بأغلبية أصوات ثلاثة (٩٦) . ماكان يستطيع دون كلام غامض أو فاتر فى سوق المدينة ، ودون ملاحظة حمقاء تصدر عن أبله — ما كان يستطيع أن يمزح مزاحا أشد تهكما بالحكم الذى صدر باعدامه .

وما أقترحه بايجاز هنا لا ينطبق يقينا على ابراهيم فى حالة ما اذا خطر للمرء أن يفكر فى التماس كلمة مناسبة عن ابراهيم عن طريق التماثل — ليختم بها ، ولكنه ينطبق الى هذا المدى وهو ان المرء يدرك بعده (أى بعد ذلك الأقتراح) كيف انه من الضرورى أن يحتفظ ابراهيم برباطة جأشه حتى اللحظة الأخيرة ، كما لا ينبغى أن يستل سكينه صامتا ، بل يجب عليه أن يقول كلمة ، مادامت له بوصفه أبا الايمان دلالة مطلقة بمعنى روحى . اما فيما يتعلق بما ينبغى أن يقوله ، فلا أستطيع أن أضع تصورا مسبقا ، فبعد أن يقوله ، ربما استطعت أن أفهمه ، وربما استطعت بمعنى معين — أن افهم ابراهيم فيما يقوله ، وان لم أستطع الاقتراب منه بأكثر مما استطعت فى المناقشة السابقة . ولو لم توجد كلمة أخيرة لسقراط ، اذن لأمكننى أن أضع نفسى مكانه وأن أصوغ مثل تلك الكلمة ، فاذا عجزت عن ذلك ، فربما استطاع شاعر ، ولكن ما من شاعر يستطيع أن يلحق بابراهيم .

وقبل أن أمضى فى النظر الى كلمة ابراهيم الأخيرة مقتربا منها مزيدا من الاقتراب ، أود أن أوجه الأنتباه الى الصعوبة التى لقيها ابراهيم فى أن يقول شيئا على الاطلاق . فالأسى والقلق الكامنان فى المفارقة يتمثلان (كما ذكرنا آنفا) — فى الصمت — فابراهيم لا يستطيع أن يتكلم * . وبالنظر الى هذه الحقيقة ، يكون من التناقض أن يطلب منه الكلام ، الا اذا أخرجه المرء من المفارقة مرة أخرى ، بمعنى أنه يعمد الى تعليقها فى اللحظة الاخيرة ، وبهذا التعليق يكف عن أن يكون ابراهيم ويلغى كل ما حدث من قبل . اذن فلو أن ابراهيم قال

---

* لو كان الأمر يتعلق بشىء مماثل ، اذن لأمدنا موت فيثاغورس بشىء من هذا القبيل ، ذلك لأن الصمت الذى التزم به دائما ، كان عليه أن يحرص عليه حتى لحظته الأخيرة . فلما أرغم على الكلام قال ، « أن ألقى الموت خير من أن أتكلم » (قارن ، ديوجين Diogenes Laertius الفصل الثامن VIII ، ص ٣٩) .

لاسحق فى اللحظة الأخيرة ، « عليك ينطبق الأمر » ، لكان ذلك مجرد ضعف . لأن لو كان له أن يتكلم على الاطلاق ، اذن فقد كان ينبغى عليه ان يتحدث قبل ذلك بفترة طويلة ، ويتمثل الضعف فى هذه الحالة فى أنه لا يتمتع بنضج الروح ، وبالتركيز الذى يجعله يستحضر مسبقا كل العذاب ، ولكنه قذف بشىء ما بعيدا عنه ، بحيث أن العذاب الفعلى تضمن قدرا زائدا ، ومضافا على مجرد التفكير فى العذاب . وفضلا عن ذلك ، فانه بمثل هذا الحديث يسقط خارج دور المفارقة ، فلو كان يريد حقا أن يتحدث الى اسحق ، لوجب عليه أن يحيل الموقف الى امتحان (Anfechtung) ، والا لما استطاع أن يقول شيئا ، ولو كان عليه أن يفعل ذلك ، اذن لما بلغ حتى مرتبة البطل المأساوى .

ومهما يكن من أمر ، ثمة كلمة أخيرة بقيت لنا من ابراهيم ، وبقدر ما فى وسعى من فهم للمفارقة ، فاننى أستطيع أيضا أن أفهم الحضور الكلى لابراهيم فى هذه الكلمة . فأولا ، وقبل كل شىء ، لم يقل ابراهيم شيئا ، وفى هذه الصيغة يقول ما ينبغى عليه أن يقوله . واجابته على اسحق تتخذ شكل التهكم ، فانه من التهكم دائما أن أقول شيئا فلا أقول شيئا . ويوجه اسحق السؤال الى ابراهيم على فرض أن ابراهيم يعلم . فلو كان ابراهيم قد أجاب عندئذ « أنا لا أعرف شيئا » . لنطق فى هذه الحالة بشىء يخالف الحقيقة . انه لا يستطيع أن يقول شيئا ، لأن ما يعرفه لا يستطيع أن يقوله ، « الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى » . وهنا تتجلى الحركة المزدوجة التى اعتملت فى روح ابراهيم ، كما وصفناها فى المناقشة السابقة . فلو أن ابراهيم تخلى عن مطالبته باسحق ، ولم يفعل اكثر من ذلك ، لكان فى هذه الكلمة الأخيرة يقول ما يجافى الصدق ، ذلك لأنه يعرف أن الله يطلب تقديم اسحق كتضحية ، ويعرف أنه هو نفسه فى هذه اللحظة بالذات على استعداد للتضحية به . وهكذا نرى أنه بعد أن قام بهذه الحركة ، فانه يقوم بالحركة التالية فى كل لحظة ، أعنى حركة الايمان استنادا الى اللامعقول . ولهذا السبب لا ينطق الكذب ، لأنه بفضل اللامعقول ، يكون من الممكن بالطبع ، ان يفعل الله شيئا مختلفا تمام الاختلاف . ومن ثم ، فانه لم

يقل كذبا ، ولكنه لم يقل أيضا أى شىء ، لأنه يتحدث بلغـة أجنبية . ويزداد هذا الأمر جلاء عندما نرى أن ابراهيم نفسه هو من كان يجب عليه التضحية باسحق . فلو كانت المهمة شيئا آخر مختلفا ، ولو أن الرب أمر ابراهيم أن يحضر اسحق الى جبل المريا ، وأرسل هو نفسه صاعقة من البرق على اسحق ، وعلى هذا النحو تلقاه بوصفه قربانا ، اذن لكان ابراهيم على حق ـ اذا أخذنا كلماته بمعناها البسيط ـ عندما تحدث حديثا ملغزا كما فعل ، لأنه هو نفسه لم يكن يعلم ما سيحدث . ولكن كان لابد لابراهيم أن يتصرف نظرا للطريقة التى القيت بها المهمة عليه ، وكان يجب عليه فى اللحظة الحاسمة أن يعرف ما سيفعله هو نفسه ، وكان لابد أن يعرف أنه سيضحى باسحق . وفى حالة ما اذا لم يكن يعرف ذلك على وجه التحديد ، اذن فلن يكون قد قام بحركة التسليم اللامتناهية ، وعندئذ ، على الرغم من أن كلمته لم تكن كذبا بكل تأكيد ، الا أنه أبعد جدا عن أن يكون ابراهيم ، بل انه أقل دلالة من البطل المأساوى ، أجل ، انه يكون حينئذ رجلا مترددا يعجز عـن اتخاذ هذا القرار أو ذاك ، ولهذا السبب سيظل يتكلم بالألغاز دائما . بيد أن مثل هذا المتردد لن يكون الا صورة مشوهة لفارس الايمان .

وهنا يبدو مرة أخرى أنه ربما بلغ المرء شيئا من الفهم لابراهيم ، بيد أن هـذا الفهم لا يعدو أن يكون على النحو نفسه الذى يفهـم به المفارقة . ومن ناحيتى أنا أستطيع على نحو ما أن أفهم ابراهيم ، ولكننى أدرك فى الوقت نفسه أننى لا أمتلك الشجاعة لكى أتكلم ، كما أننى أقل من ذلك شجاعة اذا تعلق الأمر بأن أفعل مثلما فعل ـ ولكننى لا أقصد بحال من الأحوال أن أقول أن ما فعله شىء يفتقر الى الدلالة ، بـل على النقيض ، ان ما فعله هو الأعجوبة الوحيدة .

وماذا يرى المعاصرون فى البطل المأساوى ؟ انهـم يعتقدون أنه كان عظيما ، ويبدون اعجابهم به . وذلك المجلس الموقر من النبلاء ، المحلفين الذين يختارهم كل جيل ليصدروا حكمهم على الجيل السابق ، أصدروا الحكم نفسه عليه . أما بالنسبة لابراهيم ، فلم يكن هناك من

يستطيع أن يفهمه . ومع ذلك ، تخيل ما وصل اليه ! لقد ظل مخلصا لحبه ، غير أن ذلك الذى يحب الله لا يحتاج الى الدموع ، وليس فى حاجة الى الاعجاب ، وفى حبه ينسى العذاب ، أجل ، لقد نسيه نسيانا تاما الى درجة أنه لم يوجد فيما بعد أدنى تلميح الى ألمه ان لم يشر الله نفسه اليه ، ذلك أن الله ينظر الى السريرة ، ويعلم ما تكنه من الحزن ، ويحسب الدموع ، ولا ينسى شيئا .

فاما أن هناك مفارقة ، أعنى أن الفرد بوصفه فردا يقف فى علاقة مطلقة مع المطلق/أو يضيع ابراهيم .

خاتمة

حدث فى هولندا ذات يوم ، عندما أصيب سوق التوابل بشىء من الركود ، أن أغرق التجار بضع شحنات فى البحر أملا فى رفع الاسعار . وقد كانت هذه حيلة جديرة بالمغفرة ، بل لعلها كانت ضرورية لخداع الناس . فهل نحتاج الآن الى شىء من هذا القبيل فى عالم الروح ؟ اترانا مقتنعين اقتناعا تاما بأننا بلغنا أعلى نقطة بحيث لم يبق أمامنا ما نفعله الا أن نقنع أنفسنا فى كثير من الورع بأننا لم نوغل بعيدا بما فيه الكفاية — لمجرد أن نجد شيئا نشغل به أوقاتنا ؟ أهو شىء مثل هذا الخداع هو ما يحتاج اليه جيلنا الحاضر ، أيحتاج الى شىء من التدريب على البراعة فى خداع نفسه ، أم انه قد اتقن فعلا اتقانا كافيا فن خداع ذاته ؟ أو الاحرى ان اكثر ما نحتاج اليه هو نوع من الجدية الامينة التى تشير بلا تهيب أو تلوث الى الواجبات ، جدية أمينة تتابع فى حب الواجبات ، ولا تخيف فتدفعهم الى الهرولة الزائدة فى انجاز أسمى الواجبات ، بل تحتفظ لتلك الواجبات بنضارتها وفتنتها وسحرها وان كانت بالاضافة الى هذا كله شاقة وجذابة للعقول النبيلة ، ذلك أن حماسة الطبائع النبيلة لا تحركها الا الصعوبات . وأيا كان ما يتعلمه جيل من جيل آخر ، فان ما هو انسانى أصيل لا يتعلمه جيل من الجيل السابق . ففى هذا المجال يبدأ كل جيل من البداية ، ولا يختلف واجبه عن واجب الجيل السابق ، كما أنه لا يتقدم الى أبعد منه اللهم الا من حيث أن الجيل السابق قد تهرب من واجبه وضلل نفسه . هذا العامل الانسانى الاصيل هو **العاطفة** ، والتى بها أيضا يفهم جيل الجيل الآخر فهما كاملا ويفهم نفسه . وعلى هذا لم يتعلم جيل من جيل آخر ان يحب ، ولا يبدأ جيل من نقطة أخرى غير نقطة البداية ، ولم يعهد الى جيل بمهمة أقصر من مهمة الجيل السابق ، فاذا لم يكن المرء مستعدا هنا أن يقف — كما وقف الجيل السابق — عند الحب ، بل يريد أن يمضى الى ابعد من ذلك ، فهذا لغو فارغ ، وهراء لا طائل وراءه .

بيد أن أسمى العواطف فى الانسان هى الايمان ، وهنا لا يبدأ اى جيل من نقطة أخـرى غير تلك التى بدأ بها الجيل السابق ، كل جيل يبـدأ مـن جـديد ، ولا يتقـدم الجيل اللاحق عن الجيـل السابق ـ بقدر ما كان هذا الاخـير أمينا فى أداء واجبه ولم يتركه فى مركز حرج . أما ان يكون هذا الواجب مضنيا فشىء لا يستطيع الجيل أن يقوله بالطبع . فالواقع ان الجيل لديه الواجب الذى عليه أن يؤديه ، وليس له أن ينظر فى ان الجيـل السابق كان عليه نفس الواجب ـ الا اذا كان الجيـل المعين أو الافـراد المعينون الذين عاشوا فيه من الصفاقة بحيث يحتلون المكان الذى ينتمى شرعا الى « الروح » التى تحكم العالم ، وتتمتع بما يكفى من الصبر بحيث لا تعـرف الضجر . ولو بدأ الجيل بشىء من هذا القبل فسيكون حينئذ مقلوبا راسا على عقب ، ولا عجب أن يبـدو له الوجـود كله عنـدئذ مقلوبا راسـا عـلى عقب ، فمن المؤكـد ان أحـدا لـم يجـد العالم مقلوبا راسـا على عقب كما وجـده الحائك فى القصة الخرافية(٩٧) ، ذلك الحائك الذى صـعد الـى السماء أثناء حياته ، ومن تلك النقطة أخـذ يتأمل العالم . ولو لم يشـغل هـذا الجيل نفسه الا بواجبه فحسب ، وهو أسمى ما يستطيع أن يفعله ، فلن يلحق به ضرر ، لأن الواجب دائما يكفى حياة انسانية . وعندما يفرغ الاطفال فى يوم عطلة من جميع العابهم قبـل أن تدق الساعة الثانية عشرة ، فأنهم يقولون فى شىء من نفاذ الصبر : « اليس هناك من يستطيع أن يفـكر فى لعبة جديدة ؟ » ايثبت هذا أن الاطفـال أكثر نمـوا وتقدما من أطفال الجيل نفسه او الجيل السابق الذى يستطيع أن يطيل فى الالعـاب حتى تستغرق اليوم كله ؟ أو الا يثبت بالاحـرى أن أولئك الاطفـال يفتقرون الى ما يمكن ان أسميه الجدية المحببة التى تنتمى أساسا للعب ؟

الايمان هو اسمى عاطفة فى الانسان . وربمـا كان هناك فى كل جيل عديد كبير من الناس لم يصل اليه . غير ان أحـد لا يستطيع أن يمضى الى ابعد من ذلك . أما انكان هناك الكثيرون ممن لم يكتشفوه فىعصرنا، فهذا أمر لا استطيع أن استقر فيه على رأى ، كل ما أجرؤ عليه هو أن أهيب بنفسى كشاهد لا يخفى سرا حين يقول ان الامكانيات بالنسبة اليه ليست أحسن ما تكون ، دون أن يرغب مع هـذا كلـه . ان يضلل نفسه وان يخون ذلك

الشيء العظيم الذى هـو الايمان بتحويله الى شيء يخلو من كل دلالة ، الى علة من علل الطفولة التى ينبغى على المرء أن يتغلب عليها بأسرع ما فى وسعه . أما بالنسبة للانسان الذى لم يصل بعد الى الايمان ، فان الحياة تدخر له أيضا واجبات كافية ، فاذا احب هذه الواجبات باخلاص ، فلن تتبدد الحياة بحال من الاحوال ، وان لم تكن ابدا شيئا يمكن مقارنته بحياة أولئك الذين أدركوا الأسمى وتمسكوا به . اما من بلغ الايمان (وسيان فى هذا الحالة ان كان رجلا ذا مواهب ممتازة او رجلا بسيطا) فانه لا يقف جامدا امام الايمان ، أجل ، انه سيشعر بالاساءة ان قال عنه أحد ذلك ، كالعاشق الذى يشعر بالاستياء اذا قال عنه أحد انه وقف عند الحب لا يتعداه ، اذ يجيب فى هذه الحالة : « أنا لم أقف جامدا بحال من الاحوال ، لأن حياتى كلها هى فى هـذا الحب » . ومع ذلك ، فانه لا يمضى الى أبعد من ذلك ولا يصل الى أى شيء مختلف ، لأنه لو اكتشف هذا لكان لديه تفسير مختلف له .

« يجب على المرء أنْ يمضى الى أبعد من ذلك ، يجب عليه أن يمضى الى أبعد من ذلك » . هـذا الدافع الى المضى الى ما هـو ابعد شيء قديم فى هـذا العالم . وقد قال هرقليطس الغامض الذى وضع أفكاره فى كتاباته وعلق ما كتب على معبد ديانا (ذلك لأن أفكاره كانت درعه أثناء حياته ، ومن ثم فقد قام بتعليقها فى معبد الالهة)(٩٨) ، قال هرقليطس الغامض : « لا يستطيع احد ان يعبر النهر الواحد مرتين »* . وكان لهرقليطس الغامض تلميذ لم يقف عند هذا القول ، بل توغل الى أبعد من ذلك واضاف ، « بل ان المرء لا يستطيع ان يفعل ذلك حتى ولو مرة واحدة » * فيالهرقليطس المسكين ، أن يكون له مثل هـذا التلميذ ! فبهذا التعديل تغيرت دعوى هرقليطس بحيث أصبحت دعوة ايلية (نسبة الى المدرسة الايلية التى تزعمها بارمنيدس تنكر الحركة ، ومع ذلك ، لم يكن هـذا التلميذ يريد الا أن يكون تلميذا لهرقليطس ... ويمضى الى الأبعد — لا ان يعود الى الوضع الذى هجره هرقليطس .

---

* أفلاطون ، محاورة اقراطيلوس **Cratyllus** .

* تارنتنمان فى « تاريخ الفلسفة » جا ، ص ٢٢٠ .
Tennemann, Geschichte der Philosophie

هوامش

بقلم

وولتر لاورى

(انا مدين بمعظم هذه الملاحظات لمحررى الطبعة الدنماركية لأعمال سرن كيركجور الكاملة) .

(١) حكيت قصة ابن تاركينيوس مع شعب جابى فى المقدمة .

(٢) يستهدف التصدير بوجه خاص عرض مارتنسن Martensen للمحاضرات التى ألقاها ج.ل. هايبرج J.L. Heiberg تحت عنوان « محاضرات تمهيدية للمنطق Introductory Lectures to Speculative Logic. مخطوط دنماركى رقم ١٦ لعام ١٨٣٦ صفحات ٥١٥ وما بعدها .... Dansko Mannedskrift

(٣) يذكر ديكارت هنا لأن مارتنسن أهاب به فى المقال المذكور فى الهامش السابق .

(٤) (يورد لاورى هذا النص باللغة اللاتينية فى متن الكتاب ، ويترجمه الى الانجليزية فى هذا الهامش ، ولا أرى ما يدعو الى ايراده باللاتينية ،ولكننى أردت الاحتفاظ بتسلسل أرقام الهوامش . وهذه الفقرة مأخوذة من كتاب ديكارت : المبادىء الفلسفية ، الفقرتان ٢٨ ، ٧٦ من الجزء الاول ، ولهذا الكتاب ترجمة عربية تحت عنوان « ديكارت : مبادىء الفلسفة » قام بها المغفور له الدكتور عثمان أمين — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٠ — ص ١١٩ و ١٨٠ — ف.ك.) .

(٥) (ما ذكرناه عن الهامش السابق ينطبق ايضا على هذا الهامش ، وان تكن الفقرة الواردة فى المتن مأخوذة من كتاب آخر لديكارت هو « مقال فى المنهج » Dessertatio de Methodo ص ٢ ، ٣ ، وقد تكون لهذا الكتاب ترجمة عربية ، ولكننى لم أستطيع العثور عليها ، ومن ثم فالترجمة الواردة فى النص العربى هى ترجمتى . ف.ك) .

(٦) قدم مارتنسن مثل هذه الوعود فى المقال المشار اليه فى الهامشين ٢ ، ٣ .

(٧) طريقة سرن كيركجور التى تتسم بالاحتقار فى الاشارة الى صحيفة Berlingske Tidende ، وهى صحيفة يملكها ويحررها عدوه اللدود ، تاجر الجملة ناثانسون Nathanson . وكان هذا الاعلان يلفت الأنظار بوجه خاص لأن البستانى الشاب المغامر أرغق به صورة تخطيطية لنفسه فى موقف التملق الموصوف هنا .

(٨) فى كتاب ج.ل. هايبرج J.L. Heiberg « الناقد الأدبى والوحش».
The Reviewer and the Beast . يمزق تروب Trop مأساته الخاصة
«تدمير الجنس البشرى» The destruction of the Human Race نطعتين
متساويتين ، مع اضافة هذه الملاحظة (لتبرير هذا التقسيم) : « مادام
الامر لا يكلف مزيدا من التكليف أن نحافظ على حسن الـذوق ، فلماذا نقوم
به ؟ » .

(٩) قبل هذا بثلاثة أعوام فحسب ، شوهدت أول حافلة عامة للركاب
(أومنيبوس) فى كوبنهاجن .

(١٠) يشك المرء — دون تثريب عليه — فى كيفية ترجمة هذا العنوان
(كما انتاب الشك المترجمين الأربعة الى الألمانية والفرنسية والانجليزية)
لو لم يشر س. ك / IV B81) الى أنه يستخدم هنا كلمة Steming
بمعنى Πpooipiov ، وهى الكلمة الونانية التى تعطينا كلمة proem
(استهلال) وقد آثرت استخدام كلمة Prelude (تصدير) لأنها أكثر
شيوعا فى الفهم .

(١١) سفر التكوين ، الاصحاح ٢٢ .

(١٢) جوديث Judith ١٠ : ١١ (وهو من الاسفار المنحوله) .
وقد استشهد س.ك. بهذه الفقرة فى كتابه « الحاشية » Postscript.
قارن III A 197 .

(١٣) تلميحا الى فقرات متعددة فى هوميروس (مثل الالياذة ج ٣
٣١٨) حيث تنقذ الالهة بطلا بأن تلفه فى سحابه وتحمله بعيدا . ونحن
نكتشف مزيدا من العاطفية فى هذه الصورة « للمحب » عندما نتذكر أنه
يتطلع س.ك الى مجىء شاعره ، أعنى « المحب » .
فى ختام كتابه « وجهة النظر » The point of view

(١٤) يتضح من السياق أن ارميا (احد انبياء العهد القديم) هو
المعنى بهذا القول .

(١٥) هنا تتبدى لنا ومضة من كتابه « التكرار » Repitition .

(١٦) قارن محاورة فايدروس Phaedrus لأفلاطون ، ٢٢ ، ٣٧ .

يقف البطل ضد « نور الدن » ممثل الظلام .

(١٨) سفر اشعياء (أحد أنبياء العهد القديم) ٢٦ : ١٨ .

(١٧) فى مسرحية « علاء الدين » من تأليف أويلنشليجر Oelenschläger فى كتابه بهذا العنوان نفسه ، ٣٠ ، ٣ .

(١٩) ثيميستوكلير Themistocles ، كما يرويه بلوتارخ Plutarch

(٢٠) بعد أحد عشر شهرا (لم يتخللها غير كتاب واحد باسم مستعار) نشر س.ك « مفهوم القلق » The Concept of Dread ، وظلت هذه المقولة منذ ذلك الحين أشد مقولاته تميزا . ومع ان الجميع قد اتفقوا على استخدام كلمة dread ، الا أن أحدا من المترجمين لم يستطيع القول بأنها الكلمة المناسبة لترجمة Angst . مع انها تشير الى الشعور بالشر ، الا أنها لا تكفى لتأكيد القلق الذى تتسم به التجربة .

(٢١) كلما السياق يقتضى استعمال ضمير المذكر ، ولكن ريجينا هى المقصودة ، ولابد انها عرفت ذلك ، فقد كانت هذه هى كلماتها عندما رفضت أن تعيد لكيركجور حريته .

(٢٢) كما زعم الاستاذ مارتنسن Martensen أنه سيفعل ذلك المشار اليه فى الهامش السابق ٢ — Danske Maanedskrift, No. 16 غير أن سيبرن Sibbern زعم أيضا بالنسبة لهايبرج أنه « يمضى الى ما وراء هيجل » (نفس العدد ، رقم ١٠ لسنة ١٨٣٨ ، ص ٢٩٢) .

(٢٣) مأخوذة من « رسائل » هوراس I ، ١٨ ، ٨٤ : « ان هذا أمر يخصك : عندما تشتعل النيران فى منزل جارك » .

(٢٤) قد يكون القارىء فى حاجة الى أن يحاط علما بأن يوحنا الصامت Johannes de Silentio يمر بتلك المرحلة الدينية التى يسميها يوحنا Climacus فى « الحاشية » بـ « المرحلة الدينية أ » ، وهى

أساس كل تدين ، ولكنها ليست مع ذلك الموقف المسيحى المتميز الذى يسمى هنا « المرحلة الدينية ب » ، أو الدينية المفارقة paradoxical التى تتسم بالايمان بمعناه الدقيق .

(٢٥) هذه بالتأكيد فقرة تندرج تحت الترجمة الذاتية autobiographical

(٢٦) يعزو س.ك انحناء عموده الفقرى الى سقطة من شجرة عندما كان طفلا .

(٢٧) قد يحتاج القارىء الذى لم يسمع أو لم يلتفت الى تحذير س.ك بألا ينسب اليه شخصيا كلمة واحدة مما يرد فى الكتب الصادرة بأسماء مستعارة — قد يحتاج الى تذكيره هنا بأنه ليس س.ك هو الذى يكرر بالحاح بأنه لا يستطيع فهم ابراهيم . ذلك أن يوحنا « الصامت » هو الذى يكرر هذا ، والغرض منه هو تأكيد أن المرحلة الدينية المفارقة (الدينية ب) هى ، وستظل ،مفارقة لكل انسان يقف على مستوى أدنى ، أو حتى لمن يصعد الى الدرجة التى تمكنه من الاتيان بحركة التسليم اللامتناهية ، مادام دينه لم يتجاوز بعد مجال المحاثية immanence .

(٢٨) أدخل فى كوبنهاجن عام ١٨٤٠ .

(٢٩) هذه « الأميرة » بالطبع هى أوضح تشبيه بريجينا ، ولن يشق عليها بالطبع أن تكتشفه ، ولكن قد يكون كل قارىء آخر فى حاجة الى أن نذكره بأن س .ك يصف فى هذه الفقرة كلها . فعل التسليم الذى قام به هو شخصيا .

(٣٠) سجل س.ك أثناء خطبته هذه الملاحظة فى يومياته بأن بعض الحشرات تموت فى اللحظة التى تقوم فيها باخصاب الطرف الآخر ، وقد أعاد هذا القول فى الورقة السادسة Sixth Diapsalm من كتابه : « اما ... أو » .

(٣١) (الترجمة الانجليزية لهذه العبارة) A blissful leap into eternity

(٣٢) قارن ما قيل فى كتابة « التكرار » Repetition عن الشاب الذى « يسترجع » حبه بعدما يعقد خطبته مباشرة ، وقد أوردتها فى كتابى عن « كيركجور » صفحة ٢١٢ .

(٣٣) يبدو من الجلى أن هذه الفقرة كتبت بعد أن علم س.ك بخطبة ريجينا ، وتوحى نغمتها بأنه كان لديه الوقت للندم على اللغة المختلفة اشد الاختلاف التى استخدمها عندما أعاد كتابة « التكرار » ، ومن ثم فهى دليل آخر على الرأى القائل بأن هذا الكتاب وضع فى زمن متأخر عن الكتاب الآخر .

(٣٤) كان « الانسجام الازلى » مفهوما أساسيا فى فلسفة ليبنتس .

(٣٥) انظر Magyarische Sagen تاليف Graf Mailath (شتوتجارت بتجن Tubingen ١٨٣٨) ، المجلد ٢ ، ص ١٨ . وقارن اليوميات ٤٤٩ .

(٣٦) تدوينه فى « اليوميات » (IV A 107) بتاريخ ١٧ مايو (١٨٤٣) ، فى الوقت الذى كان يؤلف فيه هذين الكتابين فى برلين ، يقول س.ك : « لو كنت مؤمنا ، اذن ، لمكثت مع ريجينا » . اذ لم يكن حينذاك غير فارس التسليم اللامتناهى ، ولكنه كان فى طرقه لأن يكون فارس الايمان .

(٣٧) كان من الافضل لو اننى لاحظت مبكرا أن أن كلمتى Resignation و Resignere الدناركيتين يتضمنان معنى أكثر ايجابية من المعنى الذى يرتبط بكلمة resignation الانجليزية ، أن تتضمنان « فعلا » an act (يزهد) و renunciation (زهد — ومع ذلك أظن أنه لا يليق بنا أن نلقب فارسنا بفارس الزهد) .

(٣٨) ازظر روزنكرانتس Rosenkranz فى كتابه : « Erinnerungen an Karl Daub (برلين ١٨٣٧) ، ص ٢ . وقارن « يوميات » كيركجور IV A 42 .

(٣٩) كان يطيب لكيركجور أن يدعى « أستاذ التهكم » Master of Irony نظرا لكتابه الضخم : « مفهوم التهكم » The Concept of Irony الذى نال به درجة الماجستير فى الآداب .

(٤٠) هذه كلمة يونانية معناها غاية أو هدف . وقد كتبها س.ك . بالحروف اليونانية ، ولكننى ترجمتها لأنها ترد كثيرا فى النص ، ولأنها بسبيلها لأن تصبح كلمة انجليزية .

(٤١) هذا هو تصور « الأخلاقى » ethical الذى يلح عليه س . ك فى الجزء الثانى من « اما / أو » . وربما كان شرمف Schrempf على صواب فى تأكيده على أن ما سبب عذاب س . ك الذى لا ضرورة له هو قبوله للفكرة الهيجلية عن العلاقة بين الكلى universal والجزئى particular .

(٤٢) قارن : فلسفة الحق (تأليف هيجل Philosophie des Rechts الطبعة الثانية (١٨٤٠) JJ.. ١٢٩ — ١٤١ — وجدول المحتويات — p. XIX .

(٤٣) حرب طروادة فعندما لم يتمكن الاسطول الاغريقى من الابحار من أوليس Aulis بسبب ريح معاكسة أعلن العراف كالشاش Calchas أن الملك اجاممنون قد اهان آرتميس وأن الالهة تطلب أن يقدم ابنته افيجينيا تكفيرا عن هذه الفعلة .

(٤٤) أنظر مسرحية يوريبيديز « افجينيا فى أوليس » الفصل الخامس صفحة ٤٤٨ من ترجمة ويلستر Wilster . يقول اجاممنون : « ما أسعد حظ من يولد فى مرتبة وضيعة ، حيث يسمح للمرء بالبكاء » . وأمناء السر المشار إليهم أدناه هم مينيلاوس Minelaus وكالشاس وبوليسيس Ulysses قارن الفصل الخامس ١٠٧٠ .

(٤٥) يفتاح — سفر القضاة (من العهد القديم) . ١١ : ٣٠ — ٤٠ .

(٤٦) اشترك أبناء بروتس ، عندما كان أبوهم قنصلا — فى مؤامرة لاعادة الملك الذى طردته روما ، وقد أصدر بروتس أمره باعدامهم .

(٤٧) هذه هى الغواية بالمعنى الذى نقصده عادة للكلمة ، أما الغواية بمعني أعلى من ذلك Anfaegtelse ، فقد لجأت فى ترجمتها فى الكتب الأخرى بعبارة « امتحان الغواية » Trial of Temptation فقرة هامة من كتاب « الحاشية » آثر الاستاذ سوينسون Swenson استخدام الكلمة الألمانية Anfechtung وقد استخدمت فى هذا الكتاب كلمة « غواية » وأضفت الكلمة الألمانية بين قوسين . ولقد اشار س . ك بوضوح فى هذه الفقرة الى التمييز بين هذين النوعين من الغواية .

(٤٨) هذه هى الكلمة الواردة فى الكتاب المقدس التى نترجمها بكلمة عثرة Offence أو « حجر عثرة » Stumbling block . والسيد « درو » هو وحده الذى يستخدم الكلمة الحرفية « فضيحة » Scandal .

(٤٩) المدرسون Docents ، ومساعدو المدرسون Privadocents (وكلاهما لقب ألمانى للمدرسين ومساعديهم فى الجامعات) وكانت هذه الفئة موضع سخرية س . ك . فى كثير من الاحيان . ثم أصبح يردد كلمة « الأستاذ » The professor بعد ان حصل مارتنسن Martensen على هذا اللقب .

(٥٠) قد يكون من الشائق والمفيد أن نضع منتخبا للفقرات التى يتحدث فيها س . ك . عن « العذراء المباركة » ، فمن المؤكد أنه لا يوجد بروتستانتى واحد اهتم بهذا الموضوع اهتمام س . ك . ربما لا يوجد كاثوليكى يحمل مثل هذا التقدير العميق لوضع السيدة مريم الفريد .

(٥١) فى Auszuge aus den Literatur-Briefen طبعة Mazahn — المجلد السادس ، صفحة ٢٥٠ وما بعدها .

(٥٢) على سبيل المثال كتاب هيجل « المنطق » Logik ، الجزء الثانى ، الكتاب الثانى ، فقرة ٣ ، Cap. C (الاعمال الكاملة Werke المجلد الرابع ، صفحة ١٧٧ وما بعدها ، والموسوعة Encyclopedie المجلد الاول ١٤٠ (الاعمال الكاملة المجلد السادس ، ص ٢٧٥ وما بعدها) .

(٥٣) يبدو من « اليوميات » (I A 273) أن س . ك . يقصد كتاب شلايرماخر Schleiermacher « لاهوت الشعور » Theology Feeling وكذلك (دون تبرير واضح) الدجماطيقيين (القطعيين) الذين ينتمون للمدرسة الهيجلية . والمحررون الدنماركيون يشيرون الى كتاب مارهاينكه Marheineke Dogmatik الطبعة الثانية . صص ٧٠و ٧١ و ٨٦ .

(٥٤) دون توقع ، أو على غير انتظار .

(٥٥) فى هذا المثل بالذات يستطيع س . ك أن يحدد بدقة ما يفهمه

من أسحق ، أعنى ريجينا ، وخلو هذه الجملة من الشكل شيء مقصود ـ انه ستار من الدخان للتعمية .

(٥٦) يشير المحررون الدنماركيون الى مصطلح برتشنايدر Bretschneider Lexicon ولكن ، ليست هناك لغة تفتقر الى مساعدين مفسرين يخدمون بهدف تخنيث « العهد القديم » . وفى هذا المثل يتم اضعاف الكلمة المطلقة « الكراهية » على التوالى بواسطة كل مصطلح استخدم لتعريفها : « يشعر بالنفور » ، « يحب أقل » ، « يضع فى مكان ثانوى » ، « لا يبدى اى توقير » ، « يعتبره عدما » .

(٥٧) يشير المقطعان العبريان yodl و vav أصلا الى أصوات متحركة وعندما أصبحت أصوات الحركة تكتب تحت الحروف الساكنة ، صارت هذه الحروف زائدة فى هذا الوضع ، وقيل عنها أنها تستقر (Hvile) فى الصوت المتحرك . وعلى هذا النحو فهم س . ك الموقف فى يومياته IIA406 ، ولكنه عكسها فى هذا الموضع .

(٥٨) هو فابيوس ماكسيموس Fabius Maximus الذى قاد عام ٢١٧ قبل الميلاد الحرب ضد هانيبال ، ولقب بالمسوف (او المماطل) نظرا لاستراتيجيته الناجحة فى التسويف والمماطلة .

(٥٩) ومعناها « ملكية عامة » .

(٦٠) مسرحية من تأليف أولوس Olussen ، وتتحدث فى الفصل الثانى ، المشهد العاشر ، وفى غير ذلك من المواضع عن « شناهدين » ، ولا تتحدث عن شمامسة Stokkemaedene ، وتعنى اربعة رجال عينوا لحضور الاجراءات القانونية كشهود .

(٦١) الفقرة المقابلة هى سفر التثنية Deuteronomy (من أسفار العهد القديم) ١٣ : ٦ وما بعدها ، و ٣٣ : ٩ ، وانجيل متى (من أسفار العهد الجديد) ١٠ : ٣٧ ، ١٩ : ٢٩ وفى المخطوط ، الرسالة الاولى الى أهل كورنثوس (من أسفار العهد الجديد) ٧ : ١١ يدور الحديث عن فقرة « مماثلة » ، ولكن دون حجة قوية .

(٦٢) يتصل بهذا الموضوع قسمان من الاسطورة هما : التغير والتعرف ، (أعنى الموضوع الذى كان يتحدث عنه س . ك) .

(٦٣) الكلمة خرفيا هى carrom . ويشرح المحررون الدنماركيون بأنها تعنى هنا المطابقة فى نفس اللحظة . وهكذا ، عندما يتعرف « أوديب » على هويته ، يحدث « تغييرا » فى نصيبه أو حظه .

(٦٤) أوديب فى مأساة سوفوكليس المعروفة بهذا الاسم .

(٦٥) افيجينيا فى مسرحية يوريبيديز « افيجينيا فى توريس » . Iphigenia in Tauris

(٦٦) فى كتابه « التاريخ الطبيعى » Natural History ، الجزء الخامس ، ٤ و ٧ . قارن « اليوميات » .

(٦٧) الكتاب الثامن (٥) ،

(٦٨) لقب للكهانة الرومانية يستخدمه Cap. 3, 3 س . ك هنا (ولا أدرى لأى سبب) على الكهنة الاغريق .

(٦٩) المجلد الاول ، ا و ٢ — ص ١٠ — فى طبعة مالتسان

(٧٠) لاهوت الحجاج — فى مضاد لاهوت السعادة Theologia beatorum وهذا تقسيم عتيق لم يعد شائعا الآن .

(٧١) يجب أن نعيد التذكير بأن س . ك . كان يعتقد أن زواجه أمر محظور بـ « فيتو الهى » . ومن ثم فان عريس المقبل يمثل أقرب مشابه لموقفه . والواقع ، أن « اليوميات » تبين أن كل خط من السلوك تعرض للتأمل فى هذه الفترة — بحثه س . ك بحثا جديا — حتى أمكانية الذى يتم بلا زواج — ولكنه اختار الاتحاد الرومانسى » Romantic union على كل حال الخط الثانى للسلوك .

(٧٢) يعد آكسل وفالبورج أتعس عاشقين وأشهرهما فى الأدب الدنماركى . وكانت الكنيسة قد حرمت زواجهما نظرا لقرابتهما الوثنية .

(٧٣) كان هذا فى الواقع هو وضع س . ك .

(٧٤) قارن لسنج فى كتابه Hamburgische Dramaturgie المجلد الاول ، المقال ٢٢ (فى طبعة مالتسان Maltzahn ، المجلد ٧ ، صـ ٩٦) .

(٧٥) لم يصف س . ك ، فى أى موضع آخر ، ولا حتى فى

« اليوميات » ، الثقة المتواضعة التى التزمت بها ريجينا نحوه ـــ بمثل هذا الوصف الكامل الوارد فى هذه الفقرة .

(٧٦) توجد فى القصة الخرافية « الجميلة (Molbeck, No. 7) ولكنها لا توجد فى أسطورة « آجنس والغرانق » .

(٧٧) قارن كتابه « مراحل » ، ص ١٩٣ ومـــا بعدها .

(٧٨) يستخدم س . ك . هنا كلمة « عاطفة » Emotion ، ولكن من الواضح أن ما يدور فى ذهنه هو مايسميه علم النفس الحديث بـ « الليبيدو »

(٧٩) خطاب ضمان على السعادة . انظر « تسليم » شيلر فى المقطع الثالث (تاريخ ـــ المرحلة الثانية .

(٨٠) (يورد و . لاورى) الترجمـــــة الانجليزية للفقرم التى أوردهـــا باللاتينية فى المتن . لونجوس ، دافنى وخلوى .
المقدمة ٤ ـــ قاقرن « اليوميات IV A 30 .

(٨١) من سوء الحظ أن الكلمة الدنماركية bedrage تعنى الاحتيال لسلب المال defraund ، كما تعنى الخداع فى الوقت نفسه deceive وقد حاولت المباعدة بين المعنيين (على نحو ناقص) باللجوء الى كلمة « غش » .

(٨٢) وعلى هذا النحو اعتاد س . ك . أن يفكر عن نفسه . وكم كان عبقريا عندما جعل هذه القصة تتلاءم مع حالته بتلك الحيلة الا وهى « افتراض » أن ســاره كانت رجلا !

(٨٣) « اليهودى » The Jew وهى مسرحية من تأليف كمبرلاند ، وعرضها مرارا كثيرة المسرح الملكى فى كوبنهاجن فيما بين عامى ١٧٩٥ و١٨٣٣ ، ونشرت فى ترجمة انجليزية عام ١٧٩٦ . وتدور المسرحية حول شيفا Scheva اليهودى الذى كان الناس جميعا يعتبرونه شحيحا ومرابيا ، ولكنه كان يقوم سرا بأعمال خيرية عظيمة .

(٨٤) فى كتاب Kirkegaarden in Sobradise .

(٨٥) لم توجد قط عبقرية عظيمة دون شىء من الجنون . والجملة كما استشهد بهـــا سنكا Seneca فى كتابه de tranquilite animi

(عن طمأنينة النفس) هى باللاتينية Sine mixtura dementiae . وقد اوردها س . ك فى « اليوميات » (IV A 1480) فى وقت كان يبحث فيه تلقينا عما اذا لم تكن حالته قريبة من الجنون .

(٨٦) لو كان س . ك معروفا على نطاق واسع فى أوروبا قبل بداية هذا القرن ، لأرجعنا اليه ، لا الى دستويفسكى او الى كاتب محدث آخر الانشغال بمثل هذه الموضوعات .

(٨٧) ينبغى أن نتذكر أن س . ك . كان مهتما اهتماما يصل الى حد الاستغراق فى الاساطير التى حيكت عن فاوست ودونجوان وآهفيرس Ahsverus (اليهودى التائه) ، وهى أساطير اعتبرها نموذجية فى الشك والشهوانية واليأس . ويتناول الهامش التالى موضوعات أخرى اهتم بها فى ذلك الوقت نفسه . وقد الف كتابا ضخما (هو رسالته لنيل درجة الماجستير) عن « مفهوم التهكم » ، كما قام باعداد كتاب آخر عن « الهجاء » .

(٨٨) فى احدى الازمات المالية ، نجح والد س . ك . فى زيادة ثروته عن طريق استثمار سندات أصدرها التاج The Crown (أى على ضمان الحاكم المطلق) ، وفى أزمة لاحقة خسر س . ك . جزءا كبيرا من أمواله حين استثمرها فى نفس هـــذه الاوراق الائتمانية .

(٨٩) شرف التدمير . فقـــد قام هيروستراتوس Herostratus ــ رغبة منه فى تخليـــد اسمـــــه ــ الى احراق معبـــد آرتميس فى افيسوس Ephesus عام ٣٥٦ ق.م .

(٩٠) جلاد الاطفال . وقد أطلق هـــذا اللقب على ذلك الراهب الأوغسطينى (الذى كان استاذا فى جامعة باريس وتوفى سنة ١٣٥٨) لأنه كان يعتنق الراى القائل بأن الاطفال الذين لم يتم تعميدهم يحشرون فى جهنم ــ بدلا من المطهر Limbo الذى يخصصه لهم الراى الكاثوليكى الشائع . وكلمة Tortor Heroeum معناها معذب (جلاد) الابطال .

(٩١) مسـرحيـــة هولبرج Holberg « اراسموس مونتـــانوس » Erasmus Montanus الفصـل الاول ، المشـهد الثالث : ويقول بيترديكون Peter Deacon عن مساومته فى ثمن المقبرة) ، « أستطيع ان اقول لفلاح : « هل تريد رملا ناعما ام مجرد تربة عادية ؟ » .

(٩٢) الاعمال الكاملة Werke (الطبعة الثانية) ، المجلـد الثامن ، صفحة ١٩٥ وما بعدها ، والمجلد العاشر ــ الجزء الاول ، ص ٨٤ وما بعدها ، والمجلد الرابع عشر ، ص ٥٣ وما بعدها ، والمجلد السادس عشر ص ٤٨٦ وما بعدها .

(٩٣) انصـار جروندفيج Grundtvig الذين كانوا يدعون الى مذهبه فى الكنيسـة .

(٩٤) هذه هى عبارة س . ك ، وفى هذا الموضع تعنى الوثوب من نقطة الى اخرى بهدف انارة الموضـوع من كافة جوانبه ، أو بغرض تحطيم عدم الوضـوح الى شـظاياه المتعددة .

(٩٥) مسـرحية شـكسبير « الملك رتشـارد الثالث » الفصـل الثانى ــ المشـهد الاول .

(٩٦) « دفاع » افلاطون Cap. 25 وأفضـل النصـوص هى التى تقرا هذه العبارة الآن على أنها « ثلاثون صـوتا » ، ولكن الطبعات الأقدم تذكر عادة انها « ثلاثة » أصـوات فحسـب .

(٩٧) « الحائك فى السـماء » The Tailor in Heaven هى احدى حكايات جريم Grimm الخرافية Fairy Tales . وان كان « جريم » يذهب الى ان الحائك مات فعلا (الطبعة الألمانية الثانية ، ج ١ ، ص ١٧٧) .

(٩٨) قارن « اليوميات » . IV A 58

تمـت

بسم الله الرحمن الرحيم

تـــــذييل

لم ترد تضحية ابراهيم — عليه السلام — فى القــرآن الكريم فى السورة المسماة باسمه ، وانما وردت فى آيات بينات من سورة الصافات على النحو التالى :

«وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين(٩٩)رب هب لى من الصالحين (١٠٠) فبشرناه بغلام حليم (١٠١) فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين (١٠٢) فلما اسلما وتله للجبين (١٠٣) وناديناه ان يا ابراهيم (١٠٤) قـــــد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين (١٠٥) ان هذا لهو البلاء المبين (١٠٦) وفديناه بذبح عظيم (١٠٧) وتركنا عليه فى الآخرين (١٠٨) سلام على ابراهيم (١٠٩) كذلك نجزى المحسنين (١١٠) انـــه من عبادنا المؤمنين (١١١) وبشرنـــاه باسحق نبيا من الصالحين (٦١٢) وباركنا عليه وعلى اسحق ... »

صدق الله العظيم

وهذا النص القرآنى المبين لم يحدد صرحة اسم الابن الذبيح ، ولكننا نستطيع ان نستخلص منه فيما يشبه اليقين انه لم يكن اسحق بحال من الاحوال ، والا لما ذكره بعد قصة الفداء مباشرة فى هذه الآية الكريمة : **«وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين»**. فهذه البشرى كانت تالية لقصة التضحية التضحية ولم تكن قبلها . ونحن نعلم من النصوص القرآنية ان الله سبحانه وتعالى قد انعم على ابراهيم بعد ان طعن فى السن وكانت امراته — وهى السيدة سارة — عقيما ، بابن صالح ونبى كريم هو اسحق عليه السلام . وعندما جاءته البشرى فى تلك السن المتأخرة ضحكت ساره من

هذا النبأ لاعتقادها فى استحالته ، وكيف يكون نسل بين شيخ وامرأة عاقر قد بلغت من الكبر عتيا ؟ ولما ولدته ساره اسمته « يصحق » وترجمتها « يضحك » تريد أن كل من سمع بولادة هذا الولد من أبويه هذين يضحك لما فى هذه الولادة من الغرابة ، وقد آل أمره الى ان يكون نبيا لقوله تعالى « وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين » وقوله « وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين » .

والضمير فى « عليه » فى الآية السابقة التى أوردناها آنفا عائد الى الذبيح .

ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه « قصص الأنبياء » : فالآيتان ابلبشرى باسحاق بعد ذكر القصة صريح فى أن اسحاق غير الغلام الذى ابتلى الله ابراهيم بذبحه ، وعود الضمير الى الغلام الذبيح وذكر اسم اسحاق معه صريحا .. يقتضى التغاير بين الذبيح واسحاق (١) . وهذا كلام منطقى سليم لا يداخله أى شك .

أما التوراة (العهد القديم) فيذكر اسم اسحاق صريحا فى قصة التضحية وأنه هو الذبيح الذى نزل عنه الفداء من السماء ، وذلك فى سفر التكوين ، الاصحاح الثانى والعشرين ، على النحو الذى كتب عنه كيركجور انشودته الجدلية « خوف ورعدة » .

فالاختلاف بين القرآن وبين هذا السفر من العهد القديم يقوم فى أمرين : تحديد اسم الذبيح فى التوراه باسحق وعدم تحديده فى القرآن ، وان كانت الحجة الواضحة السليمة تشير الى أنه ابن آخر غير اسحق ، والأمر الثانى هو الموضع الذى وقعت فيه هذه القصة . فمن الثابت فى القرآن الكريم ان ابراهيم اسكن اسماعيل وأمه مكان مكة قبل مسألة الذبح ، وانها حدثت بنواحى مكة لا فى جبل المريا كما يذهب الى ذلك العهد القديم (فقال الرب : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه « اسحق » واذهب الى ارض الموريا ...) على حين يذكر القرآن الكريم أن ابراهيم واسماعيل هما اللذان وضعا اول بيت للناس « ببكة مباركا وهدى للعالمين »

---

(١) راجع « قصص الأنبياء » تأليف المرحوم عبد الوهاب النجار ، طبعة الجلبى ص ١٠٢ وما بعدها .

(آل عمران : ٩٦) ، ويقول أيضا : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » (البقرة : ١٢٧) .

على اننا نلتمس في العهد القديم نفسه ما يشير الى ان اسحاق لم يكن هو الابن الذى طلب الله من ابراهيم التضحية به . اذ تذكر الآية الثانية من الاصحاح من سفر التكوين قول الرب الى ابراهيم عليه السلام : « خذ إبنك **وحيدك** الذى تحبه اسحق ... » فكيف يكون اسحق « وحيده » في تلك السين المتأخرة ؟ اننا نعلم بالتأكيد أن ابراهيم رزق باسماعيل قبل إسحق . فإن كان الله قد أمر ابراهيم أن يأخذ « ابنه الوحيد » ليذبحه ، فلا يمكن أن يكون هذا الابن اسحق الذى بشر به ابراهيم وهو شيخ كبير . وفي هذه المسألة يقول الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله : « ودليلى على ان الذبيح هو اسماعيل من التوراه نفسها ان الذبيح وصف بانه ابن ابراهيم الوحيد — أى الذى ليس له سواه ، اذ سخاوة نفس ابراهيم بولده الوحيد يذبحه امتثالا لامر ربه له فى منام ادل على نهاية الطاعة والامتثال لأمر الله . وهذا هو الاسلام بعينه . اذ الاسلام هو الطاعة والامتثال ، وهو دين الله فى الأولين والآخرين . واذا رجعنا الى اسحاق لم نجده وحيداً لابراهيم فى يوم من الايام ، لأن اسحاق ولد ولاسماعيل نحو أربع عشرة سنه — كما هو صريح التوراة — وبقى اسماعيل الى أن مات ابراهيم ، وحضر اسماعيل وفاته ودفنه . وأيضا فان ذبح إسحاق يناقض الوعد الذى وعد به ابراهيم أن اسحاق سيكون له نسل » (٢) .

اما عن المكان الذى دارت فيه أحداث هذه القصة ، فهو مكة ، والدليل يمكن أن يؤخذ هنا أيضا من العهد القديم .

ففى الآية العشرين من الاصحاح ٢١ من سفر التكوين أن ابن هاجر (وهو اسماعيل) « .. سكن فى برية فاران » وأخذت لــه أمــه زوجة من أرض مصر » . وفاران تطلق على مواضع منها جبال مكة . وقد ورد فى « لسان العرب » هذا النص : « وفى الحديث ذكر فاران ، وهو اسم عبرانى لجبال مكة — شرفها الله — ذكر فى أعلام النبوة » .

---

(٢) المرجع المذكور ، ص ١٠٢ — ١٠٣ .

ويدل على أن اسماعيل سكن مكة الآية ١٨ من الاصحاح ٢٥ تكوين ونصها فى الترجمة العربية : « وسكنوا من حويلة الى شور التى أمام مصر ، حينما تجىء نحو اشور ، أمام جميع اخوته نزل » .

وحويلـــة : هى خولان . وخولان : قبيلـــة يمانية تســكن سراة اليمن مما يلى الحجاز ، وهذا دليل على أن مكة تشملها مساكن اسماعيل وبنيه (٣) .

أما سبب ذكر اسحاق فى التوراه بدلا من اسماعيل ، على حين أن الدلائل جميعا تشير الى أن اسماعيل كان هو المقصود بالتضحية ــ فذلك لأن اليهود كانوا حريصين على أن يكون أبوهم الذى انحدرت منه سلالاتهم هو الذبيح الذى جاد بنفسه فى طاعة ربه وهو فى حالة صغره (٤) .

وسواء أكان بطل القصة هو اسماعيل كما يشير القرآن الكريم ، أم هو اسحاق ، كما ورد فى التوراه ــ فان هذا الأمر لا يغير من التحليلات الوجودية التى أجراها كيركجور فى انشودته الجدلية « خوف ورعدة » . ذلك أن هذه التحليلات تنصب على جوهر التضحية التى عاناها « فارس الايمان » ابراهيم عليه السلام ، والتى لا يقدر عليها الا أولو العزم من الرسل . وانما سقنا هذا التذييل لنثبت وجهة نظر الاسلام فى هذه القصة الخالدة .

فؤاد كامل

---

(٣) المرجع المذكور . هامشة ص ١٠٤ .

(٤) المرجع المذكور ، ص ١٠٢ .

محتويات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب أخرى للمترجم

مؤلفـــات

١ ـ الغير فى فلسفة سارتر
٢ ـ الفرد فى فلسفة شوبنهور
٣ ـ فلاسفة وجوديون
٤ ـ آندريه مالرو شاعر الغربة والنضال
٥ ـ ألحان الحرية
٦ ـ الشخصية بين الحرية والعبودية
٧ ـ مدخل الى فلسفة الدين (ومقالات أخرى) — تحت الطبع
٨ ـ الوجوديون والسياسة — تحت الطبع

مترجمات

(أ) فى الفلسفة

اسم الكتـــاب	المؤلف
٩ ـ العزلة والمجتمع	نيقولا برديائف
١٠ـ الحلم والواقع	نيقولا برديائف
١١ـ أصل الشيوعية الروسية	نيقولا برديائف
١٢ـ المذاهب الوجودية	ريجيس جولفيه
١٣ـ الله فى الفلسفة الحديثة	جيمس كولينز
١٤ـ الفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر	جان فال
١٥ـ تاريخ الفلسفة الروسية	نيقولاى لوسكى
١٦ـ مارتن هيدجر (مقالتان : ما المتيافيزيقا ؟ هيلدرلن وماهية الشعر)	مارتن هيدجر

اسم الكتاب		المؤلف
١٧ـ خوف ورعدة		سورين كيركجور
١٨ـ مثل عليا سياسية		برتراند رسل
١٩ـ ألف باء النسبية		براتراند رسل
٢٠ـ جماليات الابداع الموسيقى		جيزيل بروليه
٢١ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة (مع آخرين)		مجموعة من الكتاب
(ب) فى علم النفس		
٢٢ـ الدين والتحليل النفسى		اريك فروم
٢٣ ـ دراسات معاصرة فى علم النفس		مجموعة من العلماء (تحت الطبع)
(ج) مسرحيات		
٢٤ـ الذباب		جان بول سارتر
٢٥ ـ رجل الله	فى مجلدواحد	جبرييل مارسل
و		
٢٦ـ القلوب النهمة		جبرييل مارسل
٢٧ـ روما لم تعد فى روما	فى مجلدواحد	جبرييل مارسل
و		
٢٨ـ طريق القمة		جبرييل مارسل
٢٩ـ مصباح النعش	فى مجلدواحد	جبرييل مارسل
و		
٣٠ـ العالم المكسور		جبرييل مارسل
٣١ـ الآباء الاشقياء	فى مجلدواحد	جان كوكتو
و		
٣٢ـ فرسان المائدة المستديرة		جان كوكتو
(د) روايات وقصص		
٣٣ـ قدر الانسان	(نفدت)	آندريه مالرو
٣٤ـ الأمل (جائزة الدول سنة ١٩٦٩)	(نفدت)	آندريه مالرو
٣٥ ـ سيدهارتا		هرمان هسه

اسم الكتـــاب		المؤلف
٣٦ـ السر المحرق	(نفدت)	ستيفان اتسفايج
٣٧ـ ديزيريه	(نفدت)	أينمارو سينكو
٣٨ـ الكنز وقصص أخرى (نفدت)		

(هـ) موضوعات متنوعة

٣٩ـ ابسن النرويجى	(مع الاستاذ كامل يوسف)	برادبردك
٤٠ـ تشيكوف	(مع د. عبد القادر القط)	فلاديمير يرميلوف
٤١ـ الاتصال بالجماهير	(مع آخرين)	اريك بارنو
٤٢ـ السينما آلة وفن	(مع آخرين)	آلبرت فولتون
٤٣ـ أصدقائى الوحوش		بوريس ادر

تصويب الاخطاء

الصفحة	السطر	الكلمة	تصويبها
٥	١٣	كتابه	كتابته
١١	١٣	لقو	لقد
١٢	٦	دلاله	دلالة
١٢	٧	مثل	مثلا
١٢	١٧	كلتاب	لكتاب
١٣	٥	بوضعه	بوصفه
٢١	١٠	متلفها	متلهفا
٢٦	١١	الموريا	المريا
٣٤	١٥	محلصة	مخلصة
٤٢	٧	كاملة	كلمة
٤٤	١٤	تدبح	تدبج
٤٦	١٢	احد	احدا
٦٢	٤	تعتمد	يعتمد
٦٤	١٥	حركة	الحركة

رقم الايداع بدار الكتب المصرية

٤٧٩٣ لسنة ١٩٨٣

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني
تليفون ٩٠٤٦٩٦